النقيب غاستون دوفور

تاريخ
العمليات العسكرية في موريتانيا
ق 17- 1920

تعريب وتعليق
المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيّه

الناشر

مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع
انــواكشوط ـ موريتانيا

.....ما إن وطئت جيوش المستعمر أرض موريتانيا بنية الاستقرار حتى تداعت القبائل من كل صوب وحدب ومن كل جهة وفئة، فشارك أهل الحوض في جهاد أهل تَـگـانَتْ وقاتل أهل الشمال إلى جانب أهل الجنوب ولجأ أهل آدرار إلى أهل الشرق، في تلاحم وتكاتف يدلاّن على إحساس عميق بوحدة الانتماء والمصلحة والمصير. وقد شكّل أهلُ البلاد شَبَكة علاقات قوية ومتشعبة لنقل الأخبار والتواصل بين المقاومين وإمدادهم بالمؤن والأنصار....

تاريخ العمليات
العسكرية في موريتانيا
ق 17- 1920

النقيب غاستون دوفور

تاريخ
العمليات العسكرية في موريتانيا
ق 17– 1920

تعريب وتعليق
المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيّه

رقم الإيداع القانوني بالمكتبة الوطنية : 1121
الرقم الدولي : ISBN : 978-2-36681-008-0

الطبعة الاولى : 2012



الناشر
مكتبة القرنين 21/15
شارع كندي، عمارة اللامي – انواكشوط – موريتانيا
ص.ب : 6425 – هاتف : 00222 36308939
البريد الالكتروني : ahme65delmeki@yahoo.fr

"...وأهـــل البـــدو لتفـــردهم عـــن المجتمـــع وتوحـــشهم فـــي الـــضواحي، وبعـــدهم عـــن الحاميـــة، وانتبـــاذهم عـــن الأســـوار والأبـــواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلـى سـواهم، ولا يثقـون فيها بغيـرهم. فهـم دائمـا يحملون الـسلاح ويتلفتـون عـن كـل جانـب فـي الطـرق، ويتجـافون عـن الهجـوع إلا غِـرَارًا فـي المجـــالس وعلـــى الرحـــال فـــوق الأقتـــاب، ويتوجـسون للنبـآتِ والهيعـات، ويتفـردون فـي القفـــر والبيـــداء، مُـــدِلِّين ببأســـهم، واثقـــين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا والـشجاعة ســـجية يرجعـــون إليهـــا متـــى دعـــاهم داع أو استنفرهم صارخ. . .":

عبد الرحمن إبن خلدون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حين كنت في الثانوية أدرس تاريخ حركات التحرير في إفريقيا والعالم الثالث، كنت وزملائي نتساءل ونحن بين الشك والحزن: ألم يقاوم الموريتانيون الاستعمار؟ ألم تكن لبلدنا مقاومة ولا ثورة على الاستعمار تستحقان الذكر والتدريس وتبعثان الاعتزاز بالذات وبالوطن؟

وقد ظلَّ هذا الهمّ المعرفي يسكنني أينما حللت ويستحثني إلى البحث والتنقيب في خبايا تاريخنا. وهكذا اطلعت على كثير مما كتب عن هذه الفترة وتحصّلت من هنا وهناك على كمية كبيرة من الوثائق التي أنارت لي هذا الجانب المغمور المتعلق بالمقاومة فاكتشفت أن الموريتانيين قاوموا كل الغزاة بعناد نادر واستقتال عجيب يزكيه طول صمودهم، على قلة ناصرهم واختلال موازين القوى بينهم وعدوهم.

ومن أهم الوثائق التي عثرت عليها وثيقة فرنسية مرقونة تحت عنوان "تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا"، تتناول بدقة ووضوح مقاومة الموريتانيين وأهم مراحل علاقاتهم بالأوروبيين عامة ثم الفرنسيين خاصة، منذ القرن السادس عشر حتى سنة 1920.

ولأهمية هذه الوثيقة عزمت على إخراجها إلى النور، صونا لها عن الضياع وتعميما لفائدتها على القراء. وقد شجعني على ترجمتها قلة المراجع العربية الجادة والموثقة عن التاريخ الموريتاني الحديث واقتصار ما كتب فيه على كتب فرنسية

قديمة لم يعرَّب منها الا القليل بل وأصبحت نادرة إلا لدى الخاصة من الباحثين، لأنها قليلا ما أعيد طبعها.

طريقة الترجمة: حاولت ما استطعت الالتصاق بالنص لنقله كما هو إلى العربية. ولم أغيّر في ترتيب فقراته وإن كنت اضطررت إلى بعض التقديم والتأخير في بعض الجمل مما يفرضه الأسلوب العربي السليم. وتصرفت في بدايات ونهايات أقسام الوثيقة وعنونت معاركها، تسهيلا للقراءة والفهم وحرصا على القارىء من الضياع في سيل المعلومات المتصل. ولنفس الغرض، وضعت بين معقوفتين كلمات توضح مراد المؤلف أو ترفع لبسا يخشى منه.

وقد أثبت أسماء الأعلام العربية والمواضع كما ينطقها أهلها، تأصيلا لها وحفظا لها من تعريب يفقدها نكهتها المحلية وحتى لا أطمس تراثا ابتغيت بهذا العمل إبرازه وحفظه. ولم أستثن من ذلك، أحيانا، إلا أسماء قليلة أصبح القارىء العربي يعرفها بنطقها الفصيح كشنقيط. وكتبت الجيم المصرية التي تكثر في أسماء المواضع بكاف فارسية (گ) حينما يتعذر إرجاعها إلى أصل عربي. أما الكلمات التي استطعت إرجاعها إلى أصل عربي فقد كتبت جيمها المصرية قافا معقودة عليها ثلاثة نقاط (ڨ). واخترت زاءً فوقها ثلاث نقاط (ژ) لكتابة الزاء الصنهاجية المغلظة كما في أژواد.

كما اخترت تثبيت الاسم الموريتاني العربي لمدينة **Saint-Louis** وهو اَنْــدَرْ. وهو، كما يرى البعض، من فعل ندَر أي ارتفع وبرز. وكذلك المدينة بالنسبة لما جاورها من الماء.

أما أسماء الأعلام الأوربيين، فقد أثبتها بالأحرف اللاتينية، تفاديا لكتابة بالأحرف العربية تحرفها غالبا وتعقد مهمة الباحث إن أراد الاستزادة من المعلومات

حولها. ولكن، حتى لا أثقل الكتاب بها، اخترت أن أثبت كل اسم منها بالأحرف اللاتينية عند وروده لأول مرة ثم أكتبه بعد ذلك بالأحرف العربية.

تقديم الوثيقة:

- **المؤلف:** ظلت هذه الوثيقة مجهولة المؤلف لسنوات طويلة. وقد بذلت جهودا متنوعة للتعرف على مؤلفها وما إذا كانت قد نشرت أم لا. قابلتها بأكثر المراجع الموجودة بحتاولي عن تلك الفترة فلم أجد لها مطابقا. ثم اتصلت بأهم مظان وجودها برأيي، كمكتبة جورج بومبيدو والمكتبة الوطنية في باريس ومكتبة التوثيق العالمي الحديث (BDIC)[1] وغيرها، واصفا الوثيقة وسائلا عن مؤلفها وعن ما إذا كانت قد سبق نشرها. وكان الجواب بالنفي بعد تأكد من راسلتهم من مقتنياتهم ومن مراكز الأبحاث والتوثيق الأخرى. وبعد ذلك، أرسلت فقرة كاملة من الصفحة الأولى من الوثيقة، سائلا من أي كتاب هي. وكان الجواب هو نفسه[2]. ثمّ اكتشفت في آخر مراحل إعداد هذا الكتاب أن الوثيقة هي النسخة الأصلية لكتاب نشر سنة 2004في باريس ضمن منشورات دار "Terre des hommes" بعنوان: "موريتانيا: أرض المحاربين" Mauritanie : terre des guerriers", حيث لم نلاحظ أي اختلاف بين النص المطبوع ونص الوثيقة الأصل التي عثرنا عليها. ومؤلف هذا الكتاب هو النقيب گاستون دفور " Capitaine Gaston Dufour". وهو ضابط فرنسي شارك في مختلف مراحل احتلال موريتانيا منذ

[1] Bibliothèque de Documentation Internationale Contemporaine

[2] وأنتهز هنا هذه الفرصة لأشكر القائمين على خدمات القراء في تلك المؤسسات العلمية على سرعة ردودهم وجديتها فقد كانت تصلني أحيانا في نفس اليوم الذي أبعث فيه أسئلتي.

سنة 1903. وقد نبه الناشر إلى أن المؤلف طبع نسخا قليلة جدا من كتابه هذا سنة 1924 في منشورات قيادة الأركان بدكار (السنغال). كمـــا نبَّـــه إلى أن الرائد جليه **Commandant Gillier** استفاد كثيرا من هذه الوثيقة في كتابـــه المـــشهور "الـــدخول إلى موريتانيـــا" **La pénétration en Mauritanie**.

-الشكل والأسلوب واللغة: تتكون الوثيقة من مائة وتسع عـــشرة صـــفحة مرقونة على ورق من حجم A4 من نوعين مختلفين. النوع الأول، من الـــورق الخفيف عدده 61 صفحة تنتهي عند قوله:"استطاعوا الهرب متسترين بالنباتات التي تغطي المنطقة". أما النوع الثاني فورق عاد يبدأ مـــن عنـــوان "الحـــوادث العسكرية" أي ما ورد في الصفحة 60 من الورق الأول ويستمر حـــتى نهايـــة النص، وهو مرقم من 55 حتى 119"[1]. لذلك، نظن الوثيقة مؤلفة من نسختين منفصلتين من نفس الكتاب، وأن الموثّق أكمل النسخة الأولى الناقـــصة الآخـــر بنسخة ثانية ناقصة الأول فاكتمل النص بجمع النسختين.

ويتراوح أسلوب الوثيقة بين السرد والجمل الطويلة وبين جمل قـــصيرة أشـــبه بالملاحظات. ولغتها متوسطة تستعمل أحيانا مفردات مـــن الفرنـــسية المولـــدة المستعملة آنذاك في افريقيا الفرنسية مثل **Laptots** أو **Tatas**.

وفي الوثيقة ثلاث كلمات، على الأقل، تحتاج بعض التوضيح.

الأولى: المنشقون(**Dissidents**)كوصف للمقاومين. يوحي هذا الوصف وكأن الاحتلال عمل شرعي وأخلاقي من قاومه قاوم الاستقامة ومن خرج عنه خرج على الإجماع والشرعية. ولو أن المؤلف قصر ذلك الوصف على مـــن وقعـــوا

[1] انظر الملحقين 1 و2: .الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الوثيقة.

اتفاقيات حماية أو تنازل عن السلطات مع قوة أجنبية في مرحلة ما، لالتمسنا له بعض العذر؛ لكنه عممه حتى على من لم يعترف أبدا بأية سلطة مركزية لا أجنبية ولا محلية.

الثانية: المتعاونون(Auxilliaires) والأنصار(Partisans): كان هؤلاء من السنغاليين حتى ما بعد 1903 ثم بعد ذلك أطلقت الصفتان، غالبا، على بعض البيظان الموالين للقوات الفرنسية. وقد شكل الفرنسيون من هؤلاء الموالين وحدات مستقلة بينما نظموا أغلب السنغاليين وسودان ما وراء النهر ومالي وساحل العاج في وحدات عرفت بالرماة السنغاليين. ونادرا ما شكلوا منهم وحدات جمالة ميزها الوثيقة في موضعها بوصف: السود.

تتميز الوثيقة عموما بالرصانة في الأسلوب، إذا استثنينا أوصافا كاللصوصية والنهب وشتائم لرجال المقاومة هنا وهناك، غالبا ما تكون عند ذكر المؤلف لمعركة تكبد فيها الفرنسيون خسائر جسيمة. وفي المقابل، نرى الكاتب يعترف بشجاعة الموريتانيين وقدرهم العظيمة على الصمود ويثني على مهاراتهم التكتيكية ويبدي إعجابه الشديد بها.

ومن الخواص الحميدة لهذا النص أنه لا يتحدث عن رسالة حضارية تمدينية للاستعمار بل عن حاجة فرنسا لوصل مستعمراتها وبحثها عن المواد الأولية. وتحمد للمؤلف صراحته هذه وعدم تستره وراء حجج لا تقنع حتى من يحاول إقناع الآخرين بها.

ومعلومات الوثيقة دقيقة في تطابقها، إلا نادرا، مع كتابات الفرنسيين عن أحداث تلك المرحلة. ولا غرابة في ذلك فقد كان لضباط الحملة الفرنسية من عظم الهمم وحب التوثيق ما جعلهم يسجّلون الأحداث بدقة عالية في مذكراتهم

الشخصية ومراسلاتهم الرسمية. ولعلَّ في ما قاموا به رغم قساوة ظروف عملهم وانفرادهم عن أهلهم وأوطانهم على ظهـور الإبل في الصحاري، ما نقتدي بـه فنهتم ببعث وثائق تاريخنا من مراقدها بل ونسجِّل ولو منذ الآن حاضرنا الـذي هو تاريخ أجيالنا المقبلة.

-**المضمون**: يمكننا بعد قراءة هذه الوثيقة واستخدام المصادر الأخرى المتاحـة حول بعض ما تذكره من أحـداث وتحليلات، أن نخرج بالاستنتاجات التالية:..

أولا: حول فترة ما قبل الاستعمار: تعطينا الوثيقة فكرة مختصرة وواضحة عـن التنافس الأوروبي على الشواطئ الموريتانية منذ أواسط القرن الخامس عشر وعن الدور الكبير الذي اضطلعت به تجارة الصمغ في ذلك التنافس وما أدت إليه من ربط للبلاد الموريتانية بالتجارة الأوروبية وما انتهت إليه مـن تعـاظم للـدور الفرنسي، لا على الساحل الأطلسي وضفتي نهر السنغال فقط، بل وفي داخـل البلاد الموريتانية ذاتها. وقد تسارع هذا التأثير منذ أواسط القرن التاسع عـشر بعد حروب الفرنسيين مع الامارات الموريتانية المحاذية لهم والتي انتهت بتخلـي هذه الامارات عن ما كان تحت سيطرتها من بلاد ما وراء النهر.وقد فتح ذلـك التغير الطريق أمام بعثات الاستكشاف وغير قواعد التبادل التجـاري وخـول الفرنسيين دورا أكبر في تحديد موازين القوى الداخلية في الإمارات وأصـبحت هداياهم والإتاوات التي يدفعونها أحد رموز شرعية السلطة وخصوصا في إمارتيْ اَتْرَارْزَه ولبراكنه. وتجلى هذا التأثير في سلسلة الاتفاقيات التي عقـدتها هاتـان الإمارتان وإمارة تَـگـاَنْتْ مع الفرنسيين بين سَنَتَيْ 1890 و1894. وكـان التأثير أقل في إمارة آدْرَارْ لبعدها عن الصمغ إنتاجا وبيعا.

ثانيا:دخول الاستعمار: تظهر الوثيقة مناورات اللحظات الأخيرة التي قام بها الفرنسيون قبيل مواصلة تقدمهم داخل هذا الجزء من "اتراب البيظان". وقد اجتمعت عوامل عدة جعلت الفرنسيين يحسمون أمرهم بدخول البلاد:

أ. الاهتمام المبكر بثروات البلاد المعدنية توالي البعثات "العلمية" منذ تصالح الأمير محمد لحبيب وفيديرب.

ب. اعتبار الفرنسيين أن الحل النهائي لتأمين وجودهم في السنغال وتقدمهم في باقي غرب افريقيا هو الاستيلاء على المنطقة كلها، بما فيها موريتانيا التي تشكل جزءً رئيسيا منها بل هي قلبها الثقافي والحضاري.

ج. لم يكن من المعقول أن تستولي فرنسا على كل المنطقة من تونس حتى ليبرفيل وتبقى موريتانيا خارج يدها.

د. ليس في المنطق الامبريالي أن تبقى مناطق فارغة من نفوذ القوى الكبرى. لذا سارعت فرنسا لملء هذا الفراغ قبل أن تملأه قوة أوروبية أخرى؛ خصوصا سبق أن حاولت اسبانيا التزول في شمال اتراب البيظان منذ أواخر القرن 19.

هـ. كان تصارع القوى الأوروبية على المغرب الأقصى في أوجه بعد أن تحول إلى "رجل المغرب العربي المريض" وسنرى لاحقا كيف استمر التزاع عليه حتى كاد يشعل الحرب العالمية الأولى قبل أوانها، في ما عرف بأزمتي المغرب سنتي 1905 و1911. ولعل بعض الوعي بهذا الواقع واليأس من عون المغرب أقرب الدول الإسلامية شبه المستقلة إلى البلاد من ما عزز يقين بعض أعيان البلاد بحتمية دخول الفرنسيين إلى البلد ففضلوا التعامل معهم والإستفادة منهم بدل مواجهتهم عسكريا.

وتتمثّل البداية الحقيقية لاستعمار موريتانيا في عبور القوات الفرنسية إلى الضفة الموريتانيّة وإقامتها مركزا في كَيْهَيْدِيِ 29.7.1890 وإلغاء دولة الأئمة في الفوتا[1]. وهذا خلاف ما هو شائع من أنه بدأ بقدوم كوبولاني في الأسبوع الأخير من سنة 1902. على أن الإسْبان سبق وأن أقاموا سنة 1884 منشآت عسكرية وتجارية في الدَّاخْلَةْ سرعان ما حطَّمَها المقاومون في نفس السنة.

في سبيل التمهيد للمشروع الاستعماري، قام كوبولاني **Coppolani** سنة 1898 بزيارة استطلاعية للقسم الشرقي من البلاد الموريتانية الحالية ووقع اتفاقيات مع أعيان المنطقة أهمها اتفاقية وارگيطه مع محمد المختار ولد محمد محمود رئيس مشظوف. ثم تم توقيع اتفاقية بين فرنسا واسبانيا سنة 1899 أصبح بها جزء من أرض البيظان فرنسيا دون أن يعلم أهله. وأخيرا رَسم هذان البلدان حدود نصيب اسبانيا من التراب البيظان في اتفاقية 27. 05. 1900.

وقد شكل التدخل الفرنسي الكبير في الخلافات على السلطة داخل إمارة اَتْرَارْزَه بين احمد سالم ولد اعل وابني محمد فال سيدي وأخوه احمد ولد الديد، اللمسة الأخيرة على خطة التقدم داخل البلاد؛ حيث تفاقمَتْ الصِّراعات داخلَ البيت الأميري في اَتْرَارْزَه وأرسلت الإدارة في مارس سنة 1902 قوة إلى سَهْوَةْ الْمَاء لمساندة الأمير احمد سالم وَلْد اَعْلِ. وبذلك، مهدت لاتفاقية دَگَـاله التي تخلى فيها الأمير عن حقوقه لصالح الفرنسيين يوم 15 دجمبر1902 ودخل بعدها كوبولاني في 22 دجمبر إلى البر الموريتاني لتوسيع وتثبيت الوجود فرنسي في البلاد، عبر اَتْرَارْزَه. وبدت التقارير الأولى من الحملة مبشرة للفرنسيين.

[1] Oumar(Dioum) : La pénétration coloniale française dans le Fuuta Tooro : La résistance d'Abdul Bookar Kan : 1862-1891. Mémoire de fin d'études. Série Histoire et Géographie. Année 1982-1983. P 77-79.

ولعل هذا الدخول عبر تلك المنطقة وليس من كَيْهَيْدِيي المحتلـة منـذ 1890، راجع إلى ما استطاع كوبولاني أن ينسجه من علاقات في اَتْرَارْزَه ولقرب هـذه المنطقة من اَنْدَرْ والمحيط معا. ولعله كذلك راجع إلى حال العلاقات بـين الإدارة الفرنسية في السنغال وإمارتي لبراكنة وإدوعيش المحاذيتين لمنطقتي كيدي ماغـا وگـورگـل على الحدود السنغالية. لقد كانت باردة مع الأولى وسـيئة مـع الثانية. ولذلك لم يستطع الفرنسيون توسيع رأس الجسر الذي أقاموه في كيهيدي والتقدم منه، سلما، داخل البلاد الموريتانية.

وقد اعتمد المستعمر في سياسته على تنازع الإمارات في ما بينها كما استفاد من عدم الاستقرار السياسي داخل كل واحدة منها على حده.

وقد كثر الكلام حول دور بعض الفئات الاجتماعية في تمهيد الطريق للمستعمر وقيل إنها، بحكم امتعاضها من الواقع السياسي ، فضلت التعاون مع المـستعمر وهيأت له أسباب النجاح. وعلى كل حال فنحن لا نظن موالاة هذه الفئـة أو عداوة تلك كانت ستغير مجرى التاريخ. لقد كان الأمر أكبر من ذلك.

ثالثا:المقاومة: إن المقاومة المسلحة التي خاضها الموريتانيون في القرن العشرين ما هي إلا استمرار لمعاركهم السابقة ضد الفرنسيين والإسبان وغيرهـم ممـن حاولوا السيطرة على مواردهم أو على بلادهم. لكن هجمة هؤلاء في ملتقـى القرنين التاسع عشر والعشرين كانت لها طبيعة خاصة وتسارعت خطاها للنفاذ إلى قلب اَتْرَابْ البيظان والسيطرة عليها.

وإذا كانت الوثيقة تنتهي بذكر أحداث سنة 1920، فإننـا نعـرف أن آخـر المعارك المشهورة التي خاضتها المقاومة المسلحة كانت معركـة أم التونـسي في اغسطس سنة 1934. وبين التاريخين، وقعت معارك عديدة وسالت دماء كثيرة.

ومن أشهر أيام تلك السنوات يوم أَمْ آغْوابَه بتاريخ 28 نوفمبر 1923 ويـــوم آگـــوَيْنيتْ ويوم لَـــڤْـــدَيْمْ ويوم اَطْرَيْفيَّه الذي دام ثلاثة أيـــام مـــن 2 إلى 5 ابريل 1925 ويوم آزْوَيْـــگـــه ويوم آغَسْرَمْتْ ويوم آڤْـــلَيِّلْ ويوم تـــوجنين ويوم تـــگيـــگل. وفيه أسر سيني ولد ادرويش ويوم وديان الخـــروب. ومـــن أشهر قادة الجهاد في هذه المرحلة وجاهه ولد اعل الشيخ (1924) ومحمد عبد الله ولد عبد الوهاب (1925) ومحمد المامون لد اعل الشيخ (1927) واعل ولد ميَّاره (1933). ويمكننا تقسيم فترة المقاومة إلى:

المرحلة الأولى: بدأت المقاومة سريعا وبالضبط بعد سبعة أشهر مـــن وصـــول كوبولاني فالمعركة الأولى كانت يوم السابع يونيو **1903** عند سهْوَةْ الْمَاء. وهذا ما لم يكن الفرنسيون يتوقعونه خصوصا وأن العملية حدثت في المنطقـــة شـــبه الآمنة التي تمتعوا بصلات قوية مع كثير من رموزها الدينية والسياسية. أو هكذا تصوروا. وإن كان المهاجمون من غير المنطقة.

وقد حدث هذا الهجوم والأمير بكار ولد اسويد احمد ينادي بالجهاد ويدعو لـــه كل حليف. بل ويهدد من يتعاون مع المحتل بالغزو في اَتْرَارْزَه ذاتها[1]. كمـــا أن رسل ووعود الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ كانت قد بدأت تتوالى من معقله في اَصْـــمَارَه بشمال أرض البيظان.

وهكذا، لم يكن أمام الوافدين الجدد إلا مراجعة حـــساباتهم وتغـــيير أســـلوبهم والاستعداد لفرض سلمهم بالحرب. لذا شهدت هذه الفترة استمرار عمليـــات المقاومة في لَبْرَاكْنَه وتَـــگَـــانَتْ واتْرَارْزَه وغيرها من المناطق المحتلـــة القريبـــة. ويمكننا القول إنها، بتناقضاتها، قد انتهت بغيـــاب أبـــرز وجهـــين للمقاومـــة

---

1 تقرير فرنسي بحوزتنا.

والاستعمار. استشهد شيخ الأمراء المجاهدين بكار ولد اسويد احمد وهو في التسعين من عمره وبندقيته بيده عند رَاسْ الْفِيلْ يوم الأول من ابريل سنة 1905. وبعد أقل من ستة أسابيع من هذا الحدث الجلل، قتل المجاهدون بقيادة الشريف القظفي سيدي ولد مولاي الزين رأس الحملة الفرنسية كوبولاني في تجكجه مغرب 12 مايو 1905. وقد اضطربت أحوال الوجود الفرنسي بعيد هذا الهجوم وكادت الحكومة المركزية تسحب الحملة بعد أن بدا لبعض الأوساط أن كوبولاني ورط فرنسا في أمر لم تكن تريده ولا كانت مستعدة لنتائجه التي بدت غير ما خيل لها في البداية.

المرحلة الثانية: تمتد هذه المرحلة من مقتل كوبولاني حتى انسحاب مبعوث سلطان المغرب منتصف سنة 1907. اتسمت بداية هذه المرحلة بتوقف نسبي على جبهة تَكَانْتْ في انتظار السفارة التي ذهبت إلى الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ. ثم استمر ذلك الوضع أثناء أشهر التحشد حول الشريف مولاي إدريس بين مايو واكتوبر 1906 وبسبب نشوب بعض الخلافات بين زعماء المقاومة وبينهم وبين هذا المبعوث. ورغم أن أشهر حصار تِجَكْجَه نهاية 1906 شهدت معارك تكبد فيها المحتلون خسائر كبيرة كادت عصف بتقدم الحملة الفرنسية شمالا إلا أن ذلك لا يغير الصورة العامة لهذه الفترة التي كانت فيها المقاومة تتلمس طريقها باحثة عن صيغة لتنظيم الصفوف واستنهاض مختلف جهات البلاد وعن العون الخارجي.

وقد انتهى هذا الاضطراب حين أفلحت الضغوط الفرنسية على سلطان المغرب في دفعه إلى استدعاء إدريس في أغسطس 1907 فتحررت المقاومة من

الاستراتيجيته التي حاول فرضها، لتكون بعده سنة 1908 أعنف سنوات النضال ويتكبد فيها الفرنسيون أفدح الخسائر.

ثم جاءت تطورات أخرى أضرت بزخم العمليات كان أهمها بلا شك احتلال آدْرَارْ في يناير 1909 الذي ألحق ضربة قوية بالمقاومة ودفع عددا هاما من الزعماء والوجوه في المنطقة وما جاورها إلى قبول الحماية الفرنسية؛ كمحمد ولد اخليل أحد زعماء ارقيبات. وبعض وجهاء أولاد اَدْلَيْمْ في الشمال حيث حضر إلى المركز الفرنسي في نواذيبو يوم 22 سبتمبر ناطقا باسم ثلاث عشائر من قبيلته[1]. وفي المنطقة الجنوبية الغربية، شهدت نهاية السنة، تصالح المنافس على إمارة اَتْرَارْزَه أحمد وَلْد الدَّيْدْ مع الفرنسيين في 18 دجمبر 1909 فكان لذلك أثر كبير أمنيا ومعنويا على حركة المقاومة العسكرية في المناطق المحتلة.

ورغم هذه العوامل السلبية، لم تتوقف المقاومة المسلحة ولا فت ذلك في عضد قوادها في المناطق الوسطى والشمالية فابتعد كثير من المخيمات إلى الشمال ونفذت في تلك الفترة غارات جريئة مثل أَغَسْرَمْتْ في 28 إبريل والجريه في 03 يونيو واكْصَيْرْ الطَّرْشَانْ في 27 يوليو.

أما المناطق الشرقية فلم يمنعها بعد الشقة من الاهتمام بما يجري في باقي البلاد. فهذه منطقة الحوض مثلا لم يمنعها بعدها من مركز ثقل الوجود الفرنسي أن تتطلع للمشاركة في التصدي للخطر الداهم. وقد شهدت حراكا، من مظاهره إمداد المقاومة بالرجال والمساعدات المادية. تذكر حوليات ولاته أنه في سنة 1324هـ / 1906 قدم إلى ولاته اعل محمود وَلْد محمد محمود أحد وجوه أهل

[1] تقرير للنقيب Rouyer المقيم في انواذيبو موجه إلى الوالي العام والحاكم العسكري في موريتانيا بتاريخ 18. 12. 1909. التقرير بحوزتنا. (المترجم).

لَمْحَيْمِيدْ بيت الرياسة في مشظوف الحوض، يريد العون على حرب النصارى فأعطوه 50 بيصة.[1]

وقد توجه اَعْلِ ومعه عشرات المقاتلين إلى الشمال حيث تحشد المقاومة للقتال. وقد كان ضمن هذا المدد رجال معروفون في الحوض كاحمد سالم ولد الكيمي وبعض تلامذة القظف من مريدي الشيخ محمد محمود ولد بيه، منهم احمد ولد آبييك وأخوه بَرْصُ ولد آبييك رؤساء لمساعيد وشاركوا في معركة التِيمْلاَنْ ثم في الوفد الذي ذهب إلى الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ[2]. وقد ضم الوفد الذي توجه إلى الشيخ ماء العينين سنة 1906 لطلب العون من السلطان عبد العزيز سلطان المغرب أمراء وزعماء آخرين من قبائل الشرق منهم الأمير المختار ولد محمد أمير اشراتيت وبناهي ولد سيد المختار ولد عبد الله زعيم أهل سيدي محمود والأمير عثمان ولد بكار ولد اسويد احمد الخ[3]

وقد احتضنت منطقة الحوض المقاومة في فترات لاحقة حين نزل إليها أمير آدْرَارْ سِيدَ احْمَدْ في يونيو 1910 ثم تبعه اليها أنصاره واتخذوا من شمالها الشرقي قاعدة للإغارة على القوات الفرنسية في تَـگـاَكتْ حتى أسر الأمير أثناء المعركة واحتلت تيشيت وولاتة في يناير 1912. وتذكر بعض الوثائق الاستخباراتية الاستعمارية أنه في سنة 1913 حصل حراك عظيمٌ في الحوض وجرت نقاشات حادة بين قادة القبائل وساسة الرأي حول ضرورة الجهاد. وتذكر أن اعل محمود ولد محمد محمود وأخوه المختار كانا من المؤيدين للتحالف

---

[1] Chroniques de Oualata et de Nema, édité par Paul Marty, in Revue des études islamiques, année 1927, cahier III, Paris, Geuthner ; 1927, p 401.

[2] تقرير فرنسي عن قبيلة مشظوف في الحوض. بحوزتنا. (المترجم).

[3] انظر الأسماء في الملحق 3.

مع أحمد الهيبه ولد الشيخ ماء العينين لطرد المستعمر من الحوض.[1] وتذكر وثيقة أخرى أن اعل ولد محمد محمود لم يقبل سلطة المستعمر إلا على مضض وظل طوال السنوات الأولى من إدراته لعامة قبائل مشظوف يحاول الابتعاد من المراكز الإدارية.[2]

المرحلة الثالثة: امتدت هذه الفترة من أسر أمير آدْرَارْ واحتلال الحوض مطلع 1912 وحتى نهاية 1913. وتميَّزت بعمليات نوعية نفذها المقاومون، من أهل الصحراء الغربية خاصة، كعملية لَبَيْرَاتْ في 10 يناير 1913 التي كان غزو اَصْمَارَهْ في فبراير ردا عليها ومعركة واذْ التـفـلْيَّاتْ[3] يومي 09 و10 من مارس أثناء عودة القوات التي دكت تلك الزاوية وأحرقت مكتباتها.

وساهمت انتصارات المقاومة في هاتين المعركتين في تشجيع من انضم من ارْقَيْبَاتْ إلى الفرنسيين على الانسحاب شمالا واللحاق بالمقاومة. بل إن المحيمد ولد محمد ولد الخليل أجبر والده على الهجرة شمالا ويعتقد البعض أن الأمر من تدبير الشيخ نفسه. كما شهدت هذه الفترة معركة بوتْلَيِّسْ في 18 سبتمبر المشابهة لمعركة لَبَيْرَاتْ.

وإذا كانت تلك المعارك تعتبر من أعنف ما خاضه الفرنسيون في المنطقة، بل إن معركة واذْ التَّـفْـلَيَّاتْ هي بحق أعنف ما خاضوه في إفريقيا الغربية كما تورد الوثيقة، فإن الانشقاقات بدأت تتسلل في نفس الفترة إلى داخل قبائل المقاومة في

---

[1] وثيقة بحوزتنا:
Fiches de renseignements sur les chefs Meschdouf Ely, Ahmedou et Mocktar fils de Mohamed Mahmoud ould Mheimid, par le commandant du cercle de Nema pour les années 1943 et 1944.

[2] وثيقة بحوزتنا:
Fiche de renseignements sur Ely ould Mohamed Mahmoud, daté du 1913, par le commandant de cercle à Oualata.

[3] قادها المجاهد احمد ولد حمادي. (المترجم).

الشمال. كما تكاثر عدد الداخلين تحت الحماية الفرنسية في المناطق الأخرى .
بل إن بعض من كانوا يقاتلون الفرنسيين حولوا بنادقهم الى صدور رفاقهم في الجهاد وتصدوا لغارات المقاومة في أكثر من موضع.

وكان لتحوّل موقف شخصية هامة وذات سمعة كبيرة كأمير آدْرَارْ المعزول سِيدَ احْمَدْ إلى جانب الفرنسيين صدى مثبطا لدى المقاومين. وقد شارك الأمير سِيدَ احْمَدْ، بتفان شهد له به الفرنسيون[1]، في الحملة على اصْمارَه. وساعد ذلك في حسم الفرنسيين لأمرهم وتعيينه أميرا مؤقتا لآدْرارْ. ولكننا سنرى الأمير سِيدَ احْمَدْ يختلف مع الفرنسيين لاحقا في مناسبتين، أولاهما في مايو سنة 1917، أبعد على إثرها إلى أَنْدَرْ وجمدت الإمارة حتى سنة 1920 ثم أعيد إلى منصبه بشروط مجحفة واستمر حتى 1932 حين توجه إلى الشمال مخالفا على السلطة الفرنسية للمرة الثانية فأدركته قواتها واستشهد في وَدْيَانْ الْخَرُوبْ يوم 19 مارس 1932.

وكان إلى جانب الأمير سِيدَ احْمَدْ في رتل اَصْمارَه، الأمير احمدْ وَلْد الدَّيْدْ الذي سبق أن شارك في رتل تِيشِّيتْ الذي أسر الأمير سِيدَ احْمَدْ. كما حضر ولد الديد احتلال ولاته. وللأمير أَعْلِ وَلْد محمد محمود ولد الحيميد في ذلك:

إلْ دَارْ اِيْحَجُّلْ * وايْزِيدْ التَّوْحِيدْ
إلاَّ يجب تَلْ * ولاتَه، لَمْسِيدْ
عندُ كولَلْ * وعندُ ول ادَّيدْ

ثم إن عاملا جديدا طرأ على المنطقة وأهلها ساهم في تشتيت الجهود وتحويلها ولو جزئيا إلى وجهة أخرى وذلك هو إعلان الشيخ أحمد الْهَيْبَه ولد الشيخ مَاء

---

[1] انظر كلامهم عن ذلك في موضعه من هذه الوثيقة.

الْعَيْنِينْ نفسه سلطانا على المغرب[1] يوم 06 مايو 1912 وما رافق ذلك الاعلان من محاولاته وبعض إخوته توجيه جهود الصحراويين ومن التحق بهم من مجاهدي المناطق الموريتانية الأخرى إلى الجبهة الجديدة. وتذكر برقية فرنسية من أَطَارْ إلى انْدَرْ[2] اعتراض محمد لَقْظَفْ مثلا على ذهاب غزي اَعْلِ وَلْد مَيَارَه الذي هـاجم الفرنسيين في بوتَلِيسْ وإصراره على توجيه الجهود كلها لدعم أخيه في الشمال.

وقد أدت هزيمة الشيخ أحمد الهيبه إلى إعادة توجيه بنادق المقاومـة كلـها إلى الفرنسيين في موريتانيا وتركيز المقاومين جهودهم على بلادهم.

ولقد كان من انعكاسات تسوية المسألة المغربية لصالح فرنسا ثم قيـام الحـرب العالميـة الأولى أن اشتد الحصار على المقاومة وانقطع النزر اليسير الذي كانت تحصل عليه من الأسلحة من الألمان والإسبان. وبلغت قلة السلاح والـذخيرة برجال المقاومة كل مبلغ. وساءت الحال بانتشار مرض الحمى الـصفراء سـنة 1917. وانخفض عدد العمليات نظرا للأسباب السالفة لكنها لم تتوقف، فقـد شهدت تلك الفترة عمليات "غَزِّي ارْقَـيْبَاتْ وأَوْلاَدْ بَسْبَعْ" سـنة 1914 في الحوض و"غَزِّي لَحْفَيْرَه" سنة 1915 في الزُّمُّورْ و"غَزِّي لَحْمَرْ" في الحوظ نفس السنة والذي ظل مضرب المثل لدى سكان الحوظ لشدة بأسه و"غَـزِّي بَـيرْ الْبَيِّظْ" شمال أَرْوَانْ في مالي سنة 1916 و"غَزِّي الْحَـوْظْ" المعـروف أيـضا ب"غَزِّي الْخَيْلْ" في الحوظ سنة 1917 وتبعه في سنة 1918 "غَزِّي كَدَامَـه"

[1] كان الفرنسيون قد أعلنوا حمايتهم على المغرب يوم 30 مارس 1912.

[2] Télégramme officiel à St-Louis N°:22/Atar. . En date du 24. 11. 1913. Signé: Déleste. بحوزتنا .

في نفس المنطقة ثم "غَزّي الجنْكَة" وغيرها من الغارات التي تركزت على الجهة الجنوبية الشرقية من البلاد[1].

ولعل عدم ذكر الوثيقة لهذه الغارات راجع إلى أن رجال المقاومة استهدفوا الموالين للفرنسيين ومحكوميهم وتفادوا الاصطدام بالوحدات الفرنسية.

ولم تتعرض الوثيقة كذلك لحركة المقاومة التي شهدتها منطقة الحوض سنة 1916 على يد مجموعة أهل عبدوكه ومجاهدين من شتى قبائل المنطقة مثل الدّاه ولد عثمان وسيداتي ولد اعل مولود ودشّق ولد سيدي ولد هتّون[2]. ومن أشهر أيامها يَغْرَفْ وزُرُوقْ واكْرَاعْ الجيش وشَلْخَتْ اَصْنَاَدْرَه وَاَطْلَيْحْ وَاَفْـويْسِ لَكْلاَبْ.[3] واشتهرت هذه المقاومة في الحوض باسم أهل الكدية لأن المقاومين كانوا يلجأون إلى الكُدى والجبال للتمنع بقممها ومسالكها الوعرة. وقد انتهت هذه الحركة إثر القبض على قادة المقاومين واستشهاد الكثير منهم. ولعل عدم ذكر الوثيقة لها يرجع إلى أن الحوض كان في تلك المرحلة يتبع لمستعمرة السودان الفرنسي.

وكان تحقيق الربط بين الوحدات الفرنسية في موريتانيا والجزائر عند بئر لَمْزَرَّبْ يوم 24 دجمبر 1920 الدليل الأقوى على إحكام الفرنسيين سيطرتهم على البلاد. أو هكذا ظنوا. وستثبت السنوات اللاحقة أن المقاومة العسكرية لم تتوقف وأن استراحة مقاتليها لن تدوم طويلا.

---

[1] بحمان(محمد):إسماعيل ولد الباردي. سلسلة أعلام من الجنوب. منشورات مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي. مطبعة المعارف الجديدة-الرباط 1999م. ص:33. (المترجم).

[2] الدكتور محمد المحجوب ولد محمد المختار ولد بيّه: موريتانيا، جذور وجسور، المقاومة السوننكية للاستعمار في كيدي ماغه، ص 186. كتاب تحت النشر قدّم لنيل جائزة شنقيط

[3] نقلا عن مقابلة مسجلة بالصوت أجراها الدكتور محمد المحجوب ولد بيّه مع النائب البرلماني السابق السيد ابُوه ولد حمين سنة 1976.

ملاحظات

يمكننا في نهاية هذا التقديم عرض بعض الملاحظات العامة:

الملاحظة الأولى: ضراوة المقاومة التي واجه بها الموريتانيون المستعمر الفرنسي. وهي ضراوة استمرت أكثر من ثلاثين سنة. ولم يكن الفرنسيون الذين احتلوا معظم إفريقيا الغربية في فترة قصيرة نسبيا ينتظرونها ولا يقدرونها.

ولعل من أصدق ما يدلُّ على الرُّوح الاستشهادية التي قاتل بها المجاهدون أن الوثيقة لم تذكر تمكن المستعمر من أسر أحد منهم إلا في ثلاث معارك فقط على امتداد سبعة عشر عاما.

الملاحظة الثانية: وطنية المقاومة: ما إن وطئت جيوش المستعمر أرض موريتانيا بنية الاستقرار حتى تداعى الناس من كل صوب وحدب ومن كل جهة وفئة، فشارك أهل الحوض في جهاد أهل تَـگَـانْتْ ونزح أهل تكانت الى آدرار وقاتل أهل الشمال إلى جانب أهل الجنوب ولجأ أهل آدرار إلى أهل الشرق، في تلاحم وتكاتف يدلُّ على إحساس عميق بوحدة الانتماء والمصلحة والمصير. وقد شكَّل أهلُ البلاد شَبَكة علاقات متشعبة وقوية لنقل الأخبار وتأمين التواصل بين المقاومين وإمدادهم بالمؤن والأنصار. وهكذا نجد الشيخ أحمد بن عبد الله الذي يقطن مدينة ألاگ مكلَّفا بنقل المراسلات بين أحد قادة المقاومة في الشمال الشيخ محمد المامون ولد اعل الشيخ إلى أهل المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية، مثل أمير مشظوف اعل ولد محمّد محمود[1] وبعض أعيان أسرة أهل اعْمَرْ دِكْرَهْ قرب النواره. وقد نشرنا في الملحق رسالة للشيخ محمد المامون يحرّض الأمير اعل ولد محمد محمود للجهاد.

---

1 الرسالة بحوزتنا

لقد كان المجاهدون يفضلون الشّهادة على الأسر حين يتعيَّن الاختيار، وثوقا بما عند الله وأنفة من ذل القيد ورق الأسر رغم خسائرهم الكبيرة.

وإذا أحصينا ما ورد في الوثيقة رغم ما سبق أن أشرنا إليه من إغفالها بعض الغارات والمناوشات لوجدنا أن المقاومة بين سنتي 1903 و1920 قد تكبدت 963 شهيدا و116 جريحا، مقابل 603 قتيل و240 جريح أقر هم الفرنسيون[1]. وتلك خسائر فادحة إذا قيست بنسبة السكان عموما وبنسبة الأحياء التي تحملت العبء الأكبر من هذه المقاومة.

الملاحظة الثالثة: تنوع الأسلحة: ومن أهم خصائص المقاومة الموريتانية أنها كانت تستخدم شتى الوسائل المتاحة من سلاح وثقافة وأدب وأساليب اجتماعية ونفسية لمكافحة العدو. ومن أطرف ما عثرنا عليه من هذا النمط أن الشيخ محمد المأمون أرسل طلسما على شكل جدول إلى الشيخ محمد ولد اعمر دكره في قرية مرجه بضواحي النواره[2] وخاطبه قائلا بخصوص هذا الطلسم بما نصه : "...لتسير بنفسك به وتأخذ حوتة من البحر وتطوي هذه الورقة وتعلقها عليها بسلوك الحرير الأحمر بعد أن تسمِّيَ سبع مرات وترسلها في البحر...لترى فتحا قريبا وفشلا في دولة الكفر غريبا).[3]

---

[1] ينظر الملحق 6

2 انظر الملحق 4

3. انظر الملحق 4. ومما أدركنا الناس يتداولونه من كرامات الشيخ محمد محمود ولد بيّه أنّه أيّام قدوم جيش المستعمر على الحوض فزع الناس وهموا بالجلاء فأرسل اعلي ولد محمد محمود إلى الشيخ يطلبه الدعاء ليصرف النصارى عن أرضه فقفل الرسول ولم يأت الشيخ إلأ بعد القضاء جزء من النهار، فأقسم الشيخ لا يبرحون مكانهم وكانوا قد بلغوا شجرة من الطلح إلى الغرب من تنبدغه ، فنزلوا بها وما يزال الناس يسمونها "طلحاية برتزان".

وقد كتب الشيخ محمد المامون في بعض رسائله إلى أهل حكامة ول اعل بـــابي (سيلبابي حاليا)، أنه نُصِرَ من الله بـــثلاث:«... الأولى لا تـــتكلّمُ مـــدافعهم [الفرنسيين] في نفر نحنُ فيه، الثانية تكثير القليل نائبا عن بيت المـــال، الثالثـــة علّمنا الله جميع ما عندهم من الهنادس وكفى بهذا حظا».[1]

ومن الأساليب التي استخدمها المقاومون في گيدي ماغه تسميم المقيم الفرنسي والعاملين في المركز الإداري الاستعماري في سيلبابي مرتين، حتى دفعـــوهم إلى إخلاء المركز.[2]

وقد عانى المجاهدون من حملة دعائية قوية حاولت تشويه صـــورهم في المجتمـــع وصدَّ الناس عنهم بإلصاق تهم الإفساد والتخريب وادعاء الباطـــل بهـــم. وفي رسالة للشيخ محمد المامون إلى الشيخ التراد نجده يتبرأ من تهمة ادعاء المهدوية[3].

الملاحظة الرابعة: لقد كان استشهاد الأمير بكار في وقت مبكر مـــن عمـــر المقاومة ضربة كبيرة أفقدها وجها متميزا وزعامة كانت في أشد الحاجة إليهـــا. ومما يتداوله الناس في هذا الصدد أن أحد الأعيان ألحَّ على الفرنسيين نصحا أن يعاجلوا الأميرَ الشّيخَ بعد معارك تَـــگَـــانَتْ الأولى قبل أن يتـــسامع النـــاس بصموده ويسارعوا إلى الانضمام إليه والالتفاف حوله وبين هم أهم إن انتـــهوا من أمره ضعفت همم من كان يأمل في الصمود والمقاومة. ولقد عثرنـــا علـــى

---

1 الرسالة بحوزتنا.

2 وثيقة بحوزتنا:

Rapport politique annuel du territoire de la Mauritanie, année 1907 par le commandant militaire de la Mauritanie, le Colonel Montané-Capdebosc.

3 الرسالة بحوزتنا.

القريب تتمان بنفس الدرجة من الجد والاجتهاد. ولعل هذا التقلب من الموقف إلى نقيضه أو ما أسميناه «**قلق الولاء**»، أحد الجوانب السلبية لسلوك بدوي ألف الترحال في كل شيء حتى في المواقف المصيرية أحيانا.

الملاحظة السادسة: الغلو في موالاة الفرنسيين: إن بعض من تعاون مع الفرنسيين منذ البداية وإن لم يقاتل معهم بالسلاح إلا نادرا، قام بدعوتهم وجند لهم واستحثهم على احتلال باقي البلاد[1]. ومن هؤلاء من زوّدهم بالأخبار حتى عن أقرب المقرّبين إليه وعرّض عليهم من الخدمات ما أحرجهم أحيانا. ويتحدَّث تقرير فرنسي بحوزتنا عن رجل مشهور طلب من صاحب التقرير اكتتابه مخبرا رسميا للإدارة لكن المسؤول الفرنسي تغافل عنه مفسرا ذلك للجهة التي بعث إليها تقريره بأن هذا السيد لا يعي درجة الضرر التي سيلحقه اكتتابه بمكانته الاجتماعية والسياسية. وقد سبق أن ذكرنا التحريض على الأمير بكار واستعجال غزو آدرار.

وقد تزايد الاتجاه الى قبول الفرنسيين قوة بعد ان استقروا في البلد وانتجت المراسلات المرفوعة اليهم بالاخبار واقتضاء الحوائج والمدائح تراثا تاريخيا وأدبيا من نوع آخر جديد وطريف؛ فمن الشعراء من امتدح الضُّبَّاط المستعمرين ومنهم من مجَّد القوة الاستعمارية وحضَّ الناس على دعمها بما أوتوا من قوة. يقول أحدهم بمناسبة قيام الحرب العالمية الثانية داعيا الموريتانيين إلى إعانة ومؤازرة "أهل الدولة الفرنساوية" في حربها على الألمان[2]:

حتم على الناس بذل المال في الحين لدولة قد أعانتهم على الدين
يا أيها الناس جودوا بالمئين لهم وبالألوف وجودوا بالملايين

1 انظر الملحق 3
2 انظر الملحق 7

فالمال في حقهم نزر فقد بذلوا ... أموالهم كل حين للبياضين

ولتبعثوا ثمن الطيار عن عجل ... لكي يطير إلى الأعداء في الحين

ويقذف الله رعبا في قلوبهم ... حتى يلينوا لهم من غير تليين

إن الفرانس لا ينجو محاربهم ... ولو تغيب بين الماء والطين

ظن المحارب أن الحرب ينقض ما ... من عزمهم شاع في كل الأراضين

فخيب الله ما ظنوا وما عملوا ... وأدبروا بعد تخريب وتحصين

إن الضراغم لا تقوى لصولتهم ... في مأزق الحرب صولات السراحين

بل توصَّل بعضهم إلى أساليب غاية في الرقي الفكري والأدبي، لتبرير وتأصيل هذا الموقف، أثناء الحرب العالمية الثانية فهاجم النازية وجعل من الواجب الديني إعانة "الدول المتحالفة على حرب أعدائها العادين المنكرين لحقوق الإنسانية المعترفين لأنفسهم بالفضل على سائر الشعوب الآدمية المخلوقين في زعمهم من طينة غير طينة بقية البشر... والمقتول في هذه الحرب يعتبر شهيدا، إذا نوى المدافعة عن نفسه والذب عن حريمه ونوعه الإنساني ودينه الإسلامي".[1]

ومن يطلع على حجم ونوع المراسلات التي تبادلها الفرنسيون مع كثير من المشايخ والشيوخ والأمراء يجد عجبا. ولعلهم اجتهدوا بما ظنوا فيه مصلحة البلد وأهله فغفر الله لنا ولهم.

ونحن نعتقد أن عدم إغفال هذا الجانب السلبي لتلك المرحلة يعطي صورة أقرب إلى الحقيقة عن ما حدث فعلا. لذلك أشرت إلى ذلك الجانب السلبي في مواضع من هذه المقدمة وفي بعض الهوامش وألحقت بالنص ما يدل عليه من وثائق محوها أسماء كاتبيها، صونا لأعراضهم وتنزها عن الخوض فيها.

---

[1] انظر الملحق 8

ولا نظن ذلك ينقص من قيمة المقاومة التي خاضها الموريتانيون بل هو يزيدها لأنها تمت في ظروف صعبة داخلية وخارجية. ولأن الرجال الذين قاتلوا الاستعمار تلك العقود المتتالية، صمدوا أمام الدعاية المعادية وتعالوا على النكسات التي لحقت بروح المقاومين وعددهم من جراء تعاون هذه الشخصية المؤثرة أو تلك. وربما كانوا أفقه ممن أفتوا في نازلة دخول الاحتلال بالقبول والتعاون أو أوجبوا الهجرة عن الديار وإن كان كل قد اشتهد وأراد خيرا. وهم قطعا أشرف عملا وأطيب ذكرا ممن قاتلوا إلى جانب المحتل.

ونستخلص من تحليل الظروف التاريخية التي أرت كثيرا من الأعيان والعامة معا مصلحة البلاد في ذلك التعاون، أن الأوطان تسقط من الداخل أولا وأن الشروخ الداخلية هي أول ما يتسرب منه الاستعمار إلى البلدان.

ولعل في اهتمام الرحالة الفرنسي **Mage** بالسُّودان في تَكَّانْتْ أثناء رحلته إليها ملتقى سنتي 1859 و1860 دليلا ساطعا على البحث المبكر عن فجوات ومنافذ لتفتيت البلاد من داخلها تمهيدا للدخول إليها.

وقد واصل كوبولاني في نفس النَّهج بسياسته التي استطاعت تشتيت مجتمع البيظان لصالح المشروع الفرنسي أربعين سنة بعد ذلك فاستحق ثناء خاصا من كاتب الوثيقة.

الملاحظة السابعة: استنزاف البلاد لصالح المستعمر: وليس أدل على ذلك من ما يذكره المؤلف نفسه من تجنيد 2148 موريتاني من منطقة النهر خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. وهو عدد يمثل حولي 5% من مجموع السكان كما يقول.

وتبرز الوثائق كذلك أن المستعمر لم يتورع عن تلقي الدعم المـادي لجهـوده الحربي. وكان ذلك الدعم مطلوبا ومأمورا به ولم يك قط بطيب خاطر رغم ما يسوقه المتبرعون من حجج تبرز تعلقهم بفرنسا وطيـب نفوسـهم بأنفـسهم وأموالهم للدفاع عنها.[1]

كانت تلك ملاحظات متنوعة بدت لنا ونحن ندرس فترة من أهم فترات التاريخ الموريتاني وأكثرها سطوة هي فترة دخول الاستعمار ومقاومة الموريتانيين له.

وإننا إذ نقدم هذا العمل لنعترف بكثير من الثغرات التي تتخلله. ولعل أهمهـا عدم التعريف بأعلامه البشرية والجغرافية.

أما عدم تعريف الأعلام الجغرافية فمرده إلى ضيق الوقت وصـعوبة البحـث الدقيق لتحديد المواضع التي جرت فيها أحداث فترة ما قبل دخول كـوبولاني لأن تلك الأحداث والوقائع جرت غالبا في الضفة الجنوبية من النهر.

أما تحديد مواقع الأحداث بعد ذلك فلا نراه مستحيلا، على أنه يحتاج من الجهد والبحث، ما لا تتيحه لنا الآن ظروف العمل .

وتعترضه تعريف الأعلام البشرية الواردة في الوثيقة عقبة أخرى: نحن نعتقد أن الذين استشهدوا أحق بالتعريف والذكر من أعلام كثر تغص بهم الكتابات التي تناولت تلك الفترة. ويليهم المجاهدون الذين امتدت بهم الأعمار إلى ما بعد ذلك وضبطت إلى حد مـا تواريخ وفياتهم. إلا أن سرد أسماء أبطال وشهداء معارك المقاومة تراث ما يزال شفهيا في معظمه وكثير من مظان تحصيله يقع اليـوم في مناطق خارج حدود الجمهورية الإسلامية الموريتانية ويتعذر الوصـول إليهـا لأسباب عدة.

---

[1] انظر الملحق9

وننتهز هذه الفرصة لنلتمس من الجميع أن يتنبهوا لأهمية تسجيل ذلك التراث البطولي الذي يتسرب من أيدينا وذاكرتنا مع كل شيخ أو عجوز يغادران هذه الدنيا.

المترجم

مقدمة

توطئة

إن حدود موريتانيا صعبة التدقيق، فالْبِيظَانُ يختلطون بالمجموعات السكانية المغاربية بين السَّاقْيَه الْحَمْرَه ووَادْ نوُنْ في الشمال، بينما لا يتجاوزون، في الشمال الشرقي، إِگِيدِي والجوفْ. أما في الشرق فيصلون حتى تَنْبُكْتُو. بل إن بعض أحيائهم تعيش وراءها في عمق بلاد الطوارق. وأخيرا، من انجاگو إلى كيهيدي في الجنوب، يمثل نهر السنغال والخط الوهمي المار قرب الحافة الشمالية لسَنْلِيبَابِي وأَنْيورُو وگُومْبُو الحد الفاصل[1] بين السودان[2] والبيظان.

لم تكن موريتانيا دائما بهذا الاتساع وقد ظل السودان، إلى القرن الحادي عشر، ينتشرون فيها حتى أكثر من خمسمائة كيلومتر شمال نهر السنغال، وذلك قبل أن يدفعوا تدريجيا إلى الجنوب. ولا تزال أطلال قراهم ماثلة في تَگَانْتْ وآدْرَارْ.

---

1 الواقع أن هذا الحد الفاصل هو حد وهمي بدرجة كبيرة فلم تعرف المنطقة التصنيف اللوني قبل الاستعمار وكتاباته وسياساته إذ لم يكن الناس في منطقة غرب افريقيا الصحراية يولون اللون أهمية في ترتيب المنازل الاجتماعية فكم من شريف فيهم سوده وهو أسود اللون وكم من ذي منزلة اجتماعية دون تلك كان واضح اللون أو "أبيض" بمصطلحات الكاتب ومن هم على شاكلته. للتوسع في هذا المبحث تنظر الدراسة القيمة التي كتبتها الباحثة الاجتماعية ماريلا فيلاانتي:
La Négritude : une forme de racisme héritée de la colonisation française? Réflexions sur l'idéologie négro-africaine en Mauritanie, par Mariella Villasante Cervello. In Marc Ferro : Le livre noir du colonialisme XVI-XXI xiecle : de l'extermination à la repentance, Hachette Litteratures, ed Robert Laffont, 2003.

2 اخترنا تعريب Noirs بالسودان بدلا عن السود لما تحمله هذه من شحنة سلبية ولأن التطابق الذي يريده المؤلف بين دلالتها العرقية ودلالتها اللونية غير صحيح. (المترجم).

بدأ البيظان، في بداية القرن التاسع عشر، غزو الضفة اليسرى لنهر السنغال. وقد كان أمراء والو يعترفون بتبعيتهم لأَتْرَارْزَه الـذين امتـدت سـلطتهم وأعمـالهم التخريبية رويدا رويدا إلى جُولُوفْ وكَايُورْ.

تدعي أغلب القبائل البيظانية أصولا عربية، بل إن مجموعة كبيرة منها تتخذ أسد بن أنصار[1] أحد صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جدا لها.

أما الحقيقة فهي أن أغلب البيظان بربر[2] لأن عرب الغزوة الهلالية الـذين دخلـوا الصحراء الغربية، رغم نجاحهم في فرض لغتهم وسيادتهم على البلاد، كانوا قليلـي العدد. وهم اليوم بطون متفرقة في آدْرَارْ والترارزة ولَبْرَاكْنَه والْحَوْظْ.

لم تصل البلاد إلى توازن سياسي واجتماعي إلا في نهاية القرن السابع عشر وتكونت منذ ذلك الوقت من أربع ممالـك صـغيرة كانـت، وبوصـف أدق، تحالفـات قبلية(آدْرَارْ-اَتْرَارْزَه- تَـگَـانْتْ-لَبْرَاكْنَه) ومن مناطق بلا تنظيم سياسي محـدد هي ارْقَـيْبَه والْحَوْظْ وأَزْوَادْ.

كان المجتمع، في هذه البلاد الفوضوية التي شكلت فيها القوة الأسـاس الوحيـد للحق، إقطاعيا قائما على مبدإ الحماية التي يجب على الضعفاء أن يـشتروها مـن الأقوياء.

---

[1] لم نجد ذكرا لهذا الصحابي ولا نعرف قبيلة تنتسب إليه. (المترجم).

[2] هذه " الحقيقة" غير مجمع عليها لسببين على الأقل:

الأول: الخلاف حول عروبة صنهاجة وهم أغلب سكان البلاد قبل الهجرات الهلالية الأولى في القرن 13. لقد أجمع أغلب الإخباريين والمؤرخين العرب على حميرية صنهاجة ولم ينفها إلا ابن خلدون وابن حزم. وبالتالي فمن ينسبهم الكاتب بربرا هم حمير عند أغلبية مؤرخينا.

الثاني: الخلاف الأكبر حول معنى العروبة أهي بالجنس والعرق أم بالإنتماء والثقافة. فإن كانت الأولى فماذا كان سيقول من هم على مذهب صاحبنا عن بربر المغرب العربي وفراعنة وأقباط مصر وكلدان وآشور ونبط العراق؟ فإن نفى عروبة هذه البلدان رضينا منه أن يجعلنا معها وإن أقر عروبتها قلنا له كيف يضيق عنا ما اتسع لها؟ (المترجم).

تربعت المجموعات العربية الأصيلة على قمة الهرم فسيطرت على البلاد وألجبت في آدْرَارْ وَاتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه الأمراء أو السلاطين (أَوْلاَدْ عَمَّنْ وأَوْلاَدْ آكْــشاَرْ وأَوْلاَدْ اللَّبْ في آدْرَارْ، أَوْلاَدْ اَحْمَدْ بَنْ دَمَانْ وأَوْلاَدْ دَمَانْ في اَتْرَارْزَه، أَوْلاَدْ عبــد الله في لَبْرَاكْنَه، أَوْلاَدْ امْبَارَكْ وأَوْلاَدْ النَّاصَرْ في تَــكَــاَنتْ).

تلت هذه المجموعات، مجموعات أخرى غالبا ما تم الخلط بينها وبــين الأولى مثــل أولاد شفلان[1] الذين يظل أصلهم العربي أقل تأكيدا [2] رغم أنهم لا يــدفعون أيــة غرامة. تشكل هاتان المجموعتان بَنِي حَسَّانْ الذين نازعتهم القبائل المرابطية [الطُّلْبَه أو الزوايا[3]] على الرياسة طويلا؛ لكنها بعد هزيمتها النهائية أواخر القرن الــسابع عشر أجبرت على وضع سلاحها ومعاناة حمايتهم الباهظة التي فرضوها عليها.

أما آزْنَاكَــه، أحفاد قبائل البيض القديمة التي سكنت موريتانيا، فقد أنــزلهم بنــو حسان منزلة الأقنان وأخضعوهم لغرامة ثقيلة. وكان شــراؤهم متاحــا وبــذلك حصلهم الزوايا من المحاربين وملكوهم وسموهم غالبا التلاميد.

أما الدرجات السفلى من السلم الإجتماعي فقد تشكلت من لَحْرَاطِينْ وهم عبيــد تحرروا لأسباب متعددة وظلوا يحافظــون هم وذريتهم على نــوع مــن الــولاء لسادتهم السابقين. كما تضم هذه الفئة العبيد المشترَين من السودان أو المــسروقين منهم.

شهد هذا التنظيم بعض التغييرات في بعض المناطق كتحرر إِدَوْعِيشْ-آزْنَاكَــــه في مطلع القرن التاسع عشر مــن وصــاية العــرب أولاد الناصــر وأولاد امْبــارَكْ

---

[1] هكذا في الأصل والأرجح أنه قصد أولاد غيلان فصحف. (المترجم).
[2] لا نعلم خلافا في نسب أولاد غيلان. (المترجم).
[3] التوضيح من المترجم.

وطردهم إياهم إلى الحوظ وانتصار مَشْظُوفْ، غارمي إِدَوْعِيشْ، على سادهم حوالى 1830 وانتزاعهم لاستقلالهم ليصبحوا اليوم أكثر القبائل قوة في الحوظ.
ولا يعترف عرب أولاد اَدْلَيْمْ ولا أَوْلَادْ بَسْبَعْ ولا القبائل الكثيرة من تَكْنَه وَاَرْقَيْبَاتْ في الشمال والشمال الشرقي من آدْرَارْ وعلى التخوم المغربية، بأية سلطة[1].

وفي الختام، لا بد من الإشارة إلى أن بعض المجموعات هي في نفس الوقت زاوية ومحاربة مثل كَنْتَه وتَجَكَانَتْ الذين نكاد نجدهم في كل مكان من الصحراء.
وكذلك حال أهل سيدي محمود الذين ينحدرون من إِدَوَلْحَاجْ، وقد أصبحوا يضاهون إِدَوْعِيشْ ويهيمنون على اَرْقَيْبَه.
كانت موارد بني حسان الرئيسية تنحصر في الضرائب شبه الشرعية[2]، التي يقبضونها من الزوايا وآزْنَاكَه من جهة وفي ما تدره الغزوات من جهة ثانية وهو الأهم.
ظلت حالة الحرب دائمة بين القبائل ولم يكن أي من سكان البلاد يستطيع أن يخلد إلى النوم ليلا في مخيمه وبين مواشيه، مطمئنا إلى أنه لن يسلب تماما أو يقتل قبل الصباح.
كان الزوايا، وهم القسم الأكثر ثراء وإثارة للإهتمام[3]، يمارسون الزراعة والتجارة. وبينما ظل شعورهم الديني عميقا وتذوقهم للدراسة شديدا، لم يكن لدى حسان من الإسلام غالبا إلا الإسم وكادوا يعتبرون معرفة القراءة والكتابة عيبا ومنمة[4].

---

[1] ومع ذلك فإن تكنه يعتبرون ارقيبات آزناكه تابعين لهم.(المؤلف).
[2] هكذا ! (المترجم).
3 لماذا؟ وأي نوع من الإهتمام يثيرون لديه أكثر من غيرهم؟(المترجم).
4 قد يكون هذا الحكم جائرا عن الواقع فرغم ابتعاد أغلب بني حسان آنذاك عن طلب العلم إلا أنهم يتباينون في ذلك. وإذا كان طلب العلم واتخاذه مهنة أمرا ذهب به الزوايا وبه تميزوا فإن بعض قبائل بني حسان أنجبت علماء أجلاء وكادت تعيد داخلها إنتاج التمايز

وسيظل هذا العرض القصير عن مجتمع البيظان ناقصا، مالم نذكر المشايخ الكبار كالشيخ سِدِياٌ[بابَه[1]] والشيخ سَعْدْ بُوهْ والشيخ مَاء الْعَيْنِينْ، ذلك أن البيظان، وهم بربر حقا من هذه الزاوية[2]، يكنون احتراما شبه وثني لذوي البركة هؤلاء ولأن باستطاعتنا القول إن أحد العوامل الرئيسية لنجاح "نشر السلم في موريتانيا" كان التأثير المعنوي الكبير الذي تمتع به السيد كوبولاني على الشيخ سيدياٌ بابَه.

أصبح بنو حسان أعداءنا منذ اليوم الذي أردنا فيه استعمار السنغال فقد رأوا في هذه السياسة الجديدة تقليصا لفتوحاتهم ومنعا لغزواتهم المربحة وسيطرة قريبة على بلادهم وهدما لسلطتهم ومنابع ثروتهم.

ولذلك، فإن شرفهم ومصلحتهم كانا العاملين الوحيدين اللذين دفعاهم إلى مواجهتنا ولم يكن الجهاد، غالبا، سوى ذريعة لأعمال النهب.

أما الزوايا، وكانوا يرغبون في الإفلات من نير المحاربين الثقيل، قد فهموا أيضا أن الأقدار ستدفعنا إلى احتلال بلادهم فأرادوا أن يجري هذا الاحتلال لصالحهم. ولذلك استقبلونا بالترحاب، بل إن بعضهم قد طلب تدخلنا!.

ورغم هذا التعارض فإن تدخلنا لم يكن كافيا ليقطع نهائيا الروابط الإجتماعية بين مستويات هذا المجتمع الأرستقراطي، لقوة تلك الروابط في موريتانيا كما في باقي أجزاء الصحراء، من جهة أولى، ومن جهة ثانية لأن الزوايا، ولم يكونوا قد تأكدوا

الوظيفي بين السيف والكتاب الذي يميز مجتمع البيظان عموما. ولعل أولاد الناصر أحسن مثال على ما ذهبنا إليه فحسانهم حسان وزواياهم زوايا. وإضافة إلى ما سبق فإن بني حسان وإن تباينوا في الإهتمام بالعلم درجات فقد أجمعوا على إكرام أهله والتبرك بهم والإعتقاد فيهم. (المترجم).

1 التوضيح من المترجم.

2 إن كان إجلال المشايخ مما يبربر به الكاتب الموريتانيين فإن شعوبا كثيرة أخرى في العالم الإسلامي وغيره ستنقلب بربرا!! ثم ماهي المشكلة أن يكون اصل كل سكان البلاد بربرا؟ وما العيب في ذلك؟ (المترجم).

من بقاء احتلالنا، ظلوا يخشون انتقام ســادتهم الــسابقين ويــساعدوهم ضــدنا بالمعلومات والتموين. وأخيرا فقد استعصت تلك الــروابط علـــى التفكـــك لأن التطرف![1] دفع عددا من هؤلاء الزوايا إلى الجهاد. وكـــان اتْلاَمِيـــذْ [التلاميـــذ][2] الذين سببوا لنا أكبر الخسائر بين سنتي 1903 و1909، مجندين في أكثر الأحيان، منهم.

لقد برز البيظان خصوما جديين لنا وأبدوا في كثير من المناسبات شجاعة حقيقيـــة. وعوض ذكاءهم المتقد وبعض ما تمتعوا به من حس سليم في أمور الحـــرب وكـــذا حركيتهم ومهارتهم في استخدام الميدان، النواقص الناتجة عن افتقارهم إلى التنظـــيم والقيادة وعن غياب كل انضباط بينهم.

يستند تكتيك البيظان العفوي[3] إلى المفاجأة والتطويق. ولئن كانوا عـــاجزين أمـــام المراكز وكذلك أمام كل مفرزة محروسة جيدا، إلا إذا تمتعوا بتفوق عددي كـــبير، فإنهم يحسنون استغلال كل هفوات وأخطاء الخصم ويكادون لا يهاجمون أبـــدا إلا إذا حصلوا على المعلومات الاستخبارية الضرورية وتحروا اللحظة المناسبة.

لم يكن البيظان شديدي الخطورة في بداية الغزو وهم لا يملكون إلا بنادق الحجـــر والبنادق ذات المكبس إلا أنهم حين حصلوا على أسلحة سريعة الرمي، كشفوا عن قدرتهم على مقاومة رماتنا.

يكمن تفوقنا في الانضباط والتدريب والتأطير ولا سيما في ما تتيحه هذه الخـــصال لمفارزنا من قدرة على المناورة.

---

[1] هكذا! (المترجم).

[2] التوضيح من المؤلف.

[3] naturel . أي الذي لم يدرس علميا وإنما هدت إليه الفطرة السليمة. (المترجم).

القسم الأول

العمليات المنفذة من طرف "وحدات السنغال المختارة"

نهاية القرن 17 وبداية القرن 18.

ظلت علاقاتنا بالبيظان، حتى الثورة[1]، تجارية فقط، تستهدف، حصريا، تجارة الصمغ التي تمارس على نهر السنغال في شبه معارض سنوية تدعى محطات[2]. وكانت تلك التجارة تتم وفق شروط مجحفة ومذلة، فلكي يسمح زعماء البيظان ببيع الصمغ لهم، لم يكن التجار[3] الفرنسيون مرغمين فقط على أن يدفعوا لهم غرامات حقيقية كنا نسميها "العوائد" بل وكانوا كذلك مجبرين على الاستجابة لكل نزواتهم.

ورغم ذلك، فقد كانت هذه التجارة، وهي أحد الموارد الرئيسة لتلك الشركات المحظوظة، عالية الأرباح لتجعل تلك الشركات تصر على احتكارها وتعمل بجهد وبكل الوسائل المتاحة لمنع المهربين من منافستها فيها على الشواطىء الموريتانية.

وهذا ما يفسر الصعوبات التي واجهتها تلك الشركات مع الهولنديين في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر.

---

[1] أي الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة 1779. (المترجم).

[2] نعرف اليوم من هذه المحطات:1.محطة لبراكنة التي يسميها الفرنسيون le terrier rouge وهي من أقدم المحطات التجارية بمنطقة النهر. إذ ذكرها رحالة فرنسي زارها في نهاية العقد الرابع من القرن 17. يعتقد أن أطلالها توجد على بعد بضع عشرات من الكيلومترات شرق اِدّوذِنْ. 2. محطة اترارزه ويسميها الفرنسيون أحيانا L'escale du desert تقع على الضفة الموريتانية من النهر على بعد حوالى 10 كلم شمال غربي مدينة روصو.ظهر ذكرها في الكتابات الفرنسية منذ النصف الثاني من القرن 17. 3. محطة دارمانكور escale de darmancour مرسى تجاري على بعد حوالي 100كلم شمال مركز اندر. (بتصرف عن: د محمدو ولد محمذن: وثائق من التاريخ الموريتاني. ص:89.) (المترجم).

[3] أي التجار الفرنسيون (المترجم).

منذ منتصف القرن الخامس عشر، جاء البرتغاليون ليتاجروا مع البيظان على شاطيء الأطلسي وتقدموا حتى دخلوا آدْرَارْ حيث أقاموا مراكز قرب أَطَارْ ووَدَانْ.

وفي سنة 1555، أمر الملك الفونسو الخامس ببناء قلعة في جزيرة آرْكـِينْ استولى عليها الهولنديون بعد ذلك سنة 1638 وحصنوها بانتظام، بالاستحكامات الدفاعية والخنادق العميقة والطرق المغطاة والمعاقل المنفصلة. ومع ذلك فقد أجبروا على تسليم هذه القلعة للإنجليز سنة 1645، لكنهم استعادوها منهم في السنة الموالية.

تاجر الهولنديون مع زعماء البيظان واستخدموا كل الوسائل لجذب القسم الأكبر من تجارة الصمغ لأنفسهم.

وعندما رأت شركة السنغال البيظان يهجرون محطات النهر وضعت سنة 1678 تحت إمرة **Ducasse** –الذي أصبح بعد زمن قائدا للجيوش البحرية– سفينة تقل ستة وخمسين مدفعا وطاقما من أربعمائة وخمسين رجلا وكلفته بالاستيلاء على آرْكـِينْ.

نزل دوكاس دون مشكلة قرب الميناء في الثاني والعشرين من أغسطس. وكان مدير شركة السنغال قد أمده بتسعين رجلا.

بحلول السادس والعشرين، كان الطريق المغطى قد انْتُزِع. وفي الثامن والعشرين فُتِحت الثغرة. استسلم الوالي الهولندي يوم التاسع والعشرين فاكتفت الشركة بتفكيك التحصينات والاستيلاء على المدافع.

استغل الهولنديون، في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر، من حروبنا البائسة والأزمات التي كانت الشركات المتعاقبة[على المنطقة][1] تتخبط فيها، فاستعادوا آرْكـِينْ باسم ألكتر [أمير[2]] **Brandburg** وظلوا فيها حتى 1721.

1 التوضيح من المترجم.
2 التوضيح من المترجم.

وفي هذه الفترة، سلحت شركة الهند في ميناءي Lorient وLe Havre ثلاث سفن إنزال وفرقاطة وثلاثة زوارق حراسة تقل القوات الضرورية لاستعادة القلعة.

يوم السادس والعشرين فبراير، رست هذه العمـــارة الـــتي قادهـــا Periet de Salvere قريبا من الجزيرة وجهزت ست قطع مدفعية استطاعت فـــتح ثغـــرة في التحصينات.[1]

لكن، في الثامن من مارس، لحظة الأمر بالصولة، اكتشف المهـــاجمون أن القلعـــة تم إخلاؤها. لم تكن الحامية تتجكون إلا من أربعة أوروبيين وقوة مـــن البيظـــان وقـــد استطاعت الانسحاب إلى اليابسة. ترك بيريه دي سالفير مفرزة صـــغيرة في القلعـــة يقودها السيد Duval.

أثناء استيلاء السيد بيريه على آرگـــيِنْ، كانت سفينة هولندية تنقل من أوروبا بعـــض التعزيزات وواليا جديدا هو السيد Jean[2]Deers. توجه الـــوالي الهولنـــدي إلى Portendik[3] حيث حصل بدأ بأن حصل من اَعْلِ شَنْظوَرَه ملك اَتْرَارْزَه علـــى الإذن بإقامة مركز فيه.

وبعد ذلك تآمر هذا الوالي ليساعده اَعْلِ شَنْظوَرَه على اســـتعادة آرگـــيِنْ. وممـــا يؤسف له أن أخطاء وفظائع دوفال، قد سهلت هذه السياسة.

في الخامس والعشرين اكتوبر 1721، طوق بعض الهولنديين مـــع اَعْـــلِ شَـــنْظوَرَه وألف وخمسمائة من البيظان القلعة. صمد الوالي de Both، الذي كان دوفال قد سلمه القيادة، حتى نفذت الذخائر ثم استسلم. وقد كانت الحامية قد تقلصت كثيرا

---

[1] انظر الملحقين 9 و 10.

2 لعل المقصود Jean Reers (المترجم).

3 يرجح البعض أن يكون اسمها في الأصل ميناء تندغه Portandgha أو ميناء هدي Porthaddyتدعى اليوم اَجْرَيْدَه وتقع على شاطيء البحر على بعد 30 كلم شمال نواكشوط (المترجم).

بفعل السكوربيت وتناقص عدد أ فرادها من ثمانية وأربعين إلى ثلاثة عشر رجل فقط.

ما إن علمت شركة الهند بهذه الأحداث حتى سلحت في لوريان عمارة من أربع فرقاطات وغليون وسلمت قيادتها إلى نقيب البحرية الملكية **Froger De La Rigaudiere**.

تم الإنزال في آرگـينْ يوم السابع عشر من فبراير 1723 لكن الهولنديين كانوا قد ردموا أحواض الجزيرة ولم يتيسر للمهاجمين تنظيفها.

رفع فروجيه دي لاريغورديير الحصار وتوجه إلى اجريده حيث جدد مع أَعْلِ شَنْظُورَه اتفاقية 1707 وترك حامية صغيرة في المركز الذي كان الهولنديون قد أخلوه من قبل ثم أبحر إلى فرنسا، إلا أن هذه الحامية ركبت البحر إلى فرنسا في نفس اللحظة تقريبا بعد أن لغمت القلعة. لم تعط الحملة إذن أية نتيجة.

في بداية سنة 1724 جهزت الشركة عمارة حملت ثلاث سرايا بحرية وأعطت قيادتها للسيد بيرييه الذي سبق أن استولى على آرگـينْ ثلاث سنوات قبل ذلك.

نزل بيرييه يوم الخامس عشر فبراير 1724 وبسرعة كبيرة جعلت الهولنديين لا يجدون الوقت لردم الأحواض. يوم السابع عشر سلحت البطارية فاستسلم الهولنديون عند القذيفة الثالثة.

لم يدم الإحتفاظ بهذا الحصن إلا سنوات قليلة بعد ذلك إذ لم يكن الغرض من امتلاكه إلا منع التهريب. وفي سنة 1727 تم تخريبه وهجر.

القسم الثاني

إعادة احتلال السنغال

الصراعات التي خاضها فيديرب بين سنتي 1854 و1858

طرد البيظان من الضفة اليسرى لنهر السنغال.

1. منذ إعادة احتلال السنغال، أصبح على الحكومة أن تقلق من ادعاء البيظان السيادة على الوَالُو. ولأننا كنا قد عقدنا اتفاقية مع اَبْرَاكْ[1] والو للحصول على إقطاعات وأراضي، بدأ اتْرَارْزَه الأعمال العدوانية وجاؤوا لغزو وحرق كثير من القرى في الْوَالُو. لكن حامية اَلْـدَرْ[2] بقيادة النقيب البحري de Makan طردهم.

وفي سنة 1821 تخلوا لنا عن حقوقهم المزعومة في المنطقة.

بدأ الإنجليز في هذه الفترة مباحثات مع الأمير[3] لجذب تجارة الصمغ إلى بوُرْتاَنْديكْ بل قيل إنهم فكروا في إقامة طريق تجاري تمتد منه أو من آرْگـينْ حتى تَنْبُكْتُو.

---

[1] لقب ملك الوالو. (المترجم).

[2] واسمها الفرنسي سين لوي، أول مركز أقامه الفرنسيون على الساحل السنغالي حوالي 1638. انتزعه الانجليز منهم مرتين إبان تنازع الطرفين على المنطقة. استعاده الفرنسيون من الانجليز سنة 1817. جعله فيديرب عاصمة مستعمرة السنغال وظل كذلك حتى اختيرت داكار بدلا منه سنة 1903. ظل الفرنسيون يحكمون موريتانيا منه حتى سنة 1958. (المترجم).

[3] أي أمير اتْرَارْزَه والمقصود هنا الأمير اَعْمَرْ سَالَمْ والد مُحَمَّدْ لَحْبِيبْ. (المترجم).

ومن أجل وضع حد لهذه المؤامرات، أجاز الوالي في مارس 1823 إنشاء مركز في بورْتانْديكْ لكن هذا المشروع لم يتم.

في سنة 1827، خلف محمد لَحْبيبْ والِدَهُ اَعْمَرْ وَلْدْ الْمَخْتَارْ[1] فأصبح لسنوات طويلة عدونا الأكثر ضراوة. وفي نفس السنة استأنف اَتْرَارْزَه عيثهم في الْوَالُو وعادوا إلى مهاجمة السفن الفرنسية في نهر السنغال.

في سنة 1829 جُرِّدَتْ حملات عدة ضد اَتْرَارْزَه تكون معظمها من الحمالين وعُقِدَتْ اتفاقية جديدة معهم. وكان من النادر أن تمر سنة لا يوقع فيها والي المستعمرة اتفاقيات مع زعماء البيظان لكن هذه الإتفاقيات وإذ لم تدعم بالإظهار شبه الدائم لقوتنا، لم تكن لها أية قيمة.

استُؤْنفت العمليات الحربية سنة 1833 لأن محمد لَحْبيبْ[2] تزوج ابنة براك الْوَالُو ووريثته.

وبعد سنتين من الصراع، تخلى أمير اَتْرَارْزَه عن حقوقه في الخلافة؛[3] لكنه في سنة 1848، استغل الاضطرابات التي حدثت في المستعمرة جراء تحرير العبيد وأعلن ابنه وريثا لعرش الْوَالُو بل وزاد على ذلك بأن حرض سودان انْدَرْ على الثورة. وكان محمد لَحْبيبْ يقول في الملإ إنه سيذهب يوما ما ليصلي في كنيسة انْدَرْ وإنه سيرمي الأوروبيين في البحر.

أصبحت الحالة لا تطاق ولم نكن متقدمين عن ما كنا عليه في منتصف القرن الثامن عشر. ومع أن الوالي Douet Willaumez كان قد وضع منذ

---

[1] أمير اترارزه 1829/1245-1800/1215. (المترجم).
[2] أمير اترارزه 1860/1277-1830/1245. (المترجم).
[3] أي وراثة عرش الوالو. (المترجم).

1844 خطة لمعالجة الوضع إلا أنها لم تعرف طريقها للتنفيذ إلا سنوات بعد ذلك زمن ولاية فيديرب.

بدت حكومة نابوليون الثالث أكثر جرأة من حكومة لويس فيليب وقررت سنة 1854 حسم قضية السنغال. تلخصت التعليمات المعطاة في هذا التاريخ كما يلي:

"يجب أن نملي إرادتنا على زعماء البيظان في ما يتعلق بتجارة الصمغ. يجب إلغاء المحطات سنة 1854 واستخدام القوة إذا لم نتمكن من الحصول على ما نريده، بالإقناع. يجب إلغاء كل إتاوة ندفعها إلى دول النهر إلا ما نعطيه متى شئنا، للزعماء الذين نرضى عنهم، دليلا على أريحيتنا. يجب أن نكون سادة النهر. يجب تحرير الْوَالُو تماما بانتزاعه من اَتْرَارْزَه. وبصفة أعم، علينا أن نحمي من البيظان، السكان المزارعين على الضفة اليسرى. وأخيرا يجب الشروع في هذه الخطة باقتناع وتصميم. "

طلب سكان المستعمرة الفرنسيون، الراغبون في أن تتبع هذه السياسة بمواظبة وثبات، من وزير المستعمرات أن يكون الولاة أكثر استقرارا- تتابع على السنغال تسعة عشر وال بين سنتي 1840 و1853- وأن توكل هذه المهام إلى نقيب الهندسة فيديرب، المقيم بالمستعمرة منذ سنوات عدة حيث يحظى بالتقدير.

رُقِّيَ فيديرب إلى رتبة رائد وعينه وزير المستعمرات واليا في مايو 1854.

جعل تفطرس محمد لَحْبِيبْ وملكة الْوَالُو كل تفاوض عديم الجدوى فاستعد فيديرب لمهاجمتهما في نفس الوقت، كلا على حده، رغم تواضع القوات التي كانت لديه والمتكونة من:

- أربع سرايا مشاة بحرية.
- سرية رماة مكونة سنة 1848 من عبيد محررين.
- سرية خيالة
- سرية مدفعية بحرية.
- سرية من العمال المهنيين في البحرية.
- مفرزة من[كتيبة[1]]الهندسة الثالثة.
- وكان في المحطة البحرية:
- أربعة زوارق حراسة(avisos).
- زورقا مدفعية.
- سفينتان لحمل الخيول.

كما قدم سودان الدر كل ما احتجنا له من المتطوعين. وكانوا شجعانا ولكن غير منضبطين.

وفي سنة 1857، أنشأ المقرر الصادر في الواحد والعشرين يوليو، كتيبة الرماة السنغاليين واكتمل عديدها في أغسطس سنة 1858.

2 : إحتلال والو:

خلال شتاء 1854_1855 استقرت قبائل أَتْرَارْزَه، كما هو الحال كل سنة، على الضفة اليسرى لنهر السنغال. بدا أن اكتساح هذه القبائل سيكون سهلا إذا جعلنا حامية اَلْدَرْ والأسطول يعملان في نفس الوقت. لكن البيظان، وقد أُنْذِروا، قطعوا النهر وتوغلوا داخل الْوَالُو[2]. أمكن اجتياح قبيلة عَزُونَه وهي

[1] التوضيح من المترجم.
[2] إنما على الضفة الموريتانية من النهر(المترجم).

الوحيدة التي بقيت بين دِيكْتَنْ وَاتْيَاقَارْ فقتل منها النقيب **Bilhau** ستة رجـال أو سبعة وأسر سبعين وغنم سبعمائة رأس من البقر.

3: أحداث سنة 1855:

كتب الوالي إلى زعماء الْوَالُو يعلمهم أنه سيكمل قريبا طرد البيظان من هـذه المنطقة ولم يهمل أي شيء لجعل الملكة اَنْدَتْ يَالَا [جمبت[1]] وشعبها يفهمـون مصالحهم الحقيقية وينضمون إلينا في الصراع الذي بدأ.

ظل كل هذا بلا جدوى وبدأ الْوَالُو العمليات العدوانية ضدنا حـين فاجـأت مفرزة من فرسانه ومشاته فصيلا من خيالتنا كان متوجهـا مـن دَكَـانَهْ إلى رِيشَارْتُولْ تحت قيادة النقيب **Bilhau**.

ولولا الزورق البخاري **Le Grand Bassam** الذي تمكن من نجدته لهلـك هذا الفصيل ولتمكن العدو بعدده الكبير من إبادته.

في الواحد والعشرين من فبراير، غادر فيديرب الْدَرْ برتل من أربعمائـة رجـل تقريبا من كل الصنوف وبمثلهم من المتطوعين. كما ضم هذا الرتل قذافين اثنين وفصيل خيالة.

ونتيجة لنقص وسائل النقل، اضطر الرتل إلى ترك الأمتعة والحقائب والأغطية في لاَمْبْسَارْ يوم الثاني والعشرين وأُعْطِيَ كلّ رجل اثني عشرة قطعة بسكويت زادا لخمسة أيام.

في الخامس والعشرين، وجد الرتل نفسه أمام البيظان وأهل الْوَالُو متجمعين في أحواز اَدْيُوبُولْدُو. بعد طلقتين من القذاف، دحرت صولة بالحراب قـام بهـا

---

[1] التوضيح من المترجم.

الكارابيني [الرجال المسلحون ببنادق الكارابين][1] يقودهم النقيب **Benoit** القسمَ الرئيسي من قوات العدو، بينما كانت الساقة بإمرة النقيب **Bruyas** تصد مفرزة من الخيالة والمشاة البيظان حاولت الالتفاف على ميسرتنا وتطويقنا. وأكمل النقيب **Latouloudre** بخيالته هزيمة العدو.

لم يكلفنا هذا الاشتباك الظافر إلا ثلاثة قتلى وثلاثة جرحى. تقدم الرتل إلى اَنْدوُرْ ثم رجع إلى اَنْدَرْ عبر جزء من أراضي الْوَالُو.

خلال عشرة أيام، كنا قد قتلنا مائة رجل وأسرنا مائة وخمسين آخرين وغنمنا ألفي رأس من البقر وثلاثين فرسا وخمسين حمارا وعددا كبيرا من الأغنام. كما أحرقنا خمسا وعشرين قرية.

في مارس ويونيو، جاب رتلان آخران الْوَالُو في كل الإتجاهات ولم يكن زعماؤه ومحاربوه ليجرؤوا على مغالبتنا.

على إثر هذه العمليات، تجمع سكان الضفة اليسرى فأعيدت لهم قراهم وأحيطت بنقاط دفاعية وحميت بحراس مقيمين وبطرادات الأسطول فجاهر القرويون بالعداوة لاَتْرَارْزَه وأدوا لنا أفضل الخدمات.

كان ما يريده فيديرب، في البداية، إحياءُ مملكة الْوَالُو مقابل شرط واحد هو تحالفها معنا ضد البيظان. لكن إصرار زعماء هذه المنطقة على ولائهم للملك اَتْرَارْزَه دفع إلى إعلانها أرضا فرنسية قسمت إلى خمس دوائر (دجمبر 1855). وقد شارك المتمردون في صراع اَتْرَارْزَه ضدنا حتى إبرام اتفاقية السلام في سنة 1858.

---

[1] التوضيح من المترجم.

الحرب ضد أترارزه وحلفائهم من لبراكنه:

بعد اكتساح قبيلة عَزُّونه واحتلال الْوَالُو، لم يعد بإمكان محمد لَحْبِيبْ تجنب محاربتنا. كتب إليه فيديرب أن السلم لن تستتب إلا بالشروط التالية: إلغاء العوائد، إلغاء المحطات، التخلي عن الْوَالُو، إيقاف أعمال النهب على الضفة اليمنى[1]، فأتى جواب محمد لَحْبِيبْ على النحو التالي: "تلقيت شروطك وهذه شروطي: زيادة عوائد اَتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه والْوَالُو، التدمير الفوري لكل الحصون التي أقامها الفرنسيون في البلاد[2]، منع كل سفينة حربية من دخول النهر، سن إتاوات جديدة على أخذ الماء والحطب في گَـتْ اَنْدَرْ وبُوبْ اَنْـدَيْوْ وأخيرا وقبل كل مفاوضات: إرجاع فيديرب صاغرا إلى فرنسا".

كانت العمليات ضد البيظان، باستثناء بعض الأرتال المتوسطة التي سنذكرها لاحقا، غارات جريئة وعمليات اكتساح متواترة نفذها مفارز من القوات النظامية وقام بها، خصوصا، متطوعون من اَنْدَرْ ومن سكان الضفة اليسرى الذين كانوا يزدادون جرأة كلما تضاءلت هيبة البيظان وقل الرعب منهم.

أخذت سفن الأسطول من زوارق حراسة وزوارق مدفعية وزوارق شراعية وغيرها، قسطا هاما جدا بل وبطوليا من هذه الحملات، ناقلة وحامية الأرتال الصغيرة. وفي أحيان كثيرة، شاركت تلك السفن بسرايا إنزالها وحماليها، في العمليات، إلى جانب تلك الأرتال. وهكذا كان الاتحاد التام بين البحرية والقوات البرية أحد أفضل عوامل النجاح في الصراع الذي خاضه فيديرب.

---

[1] أي الضفة الموريتانية. إلا أن يكون الأمر قد التبس عليه فأراد اليسرى أي السنغالية الآن فكتب اليمنى وذلك ما نرجحه لأن الصراع حينئذ كان حول السيادة عليها. (المترجم).
[2] أي بلاد السنغال الآن. (المترجم).

في ابريل 1855، قرر فيديرب القيام بعملية مشاغلة على أرض اَتْرَارْزَه ذاتهـــا، آملا بهذه المناورة أن يجبر البيظان الباقين في الْوَالُوعلى مغادرته وأن يستخبر عن القوات التي جمعها محمد لَحْبِيبْ وهي قوات مهمة كما قيل.

في الثاني عشر من الشهر، غادر فيديرب اَنْدَرْ برتل من ألف وخمسمائة رجل بمن فيهم المتطوعون، محمولين علـــى الـــسفن التجاريـــة: le Marabout, Le Serpent, Le Grand Bassam Rubis, L'ancreon, وسفينتي Le حظائر.

في اليوم التالي، جاء النبأ إلى رِيشَارْتُولْ أن محمد لَحْبِيبْ جمع كل قواتـــه لغـــزو الْوَالُو، لكن فيديرب ظل على إصراره، مطمئنا إلى مراكز حراسة المنطقـــة وإلى برج لَيْبَارْ المقام حديثا للدفاع عن المناطق القريبة من اَنْدَرْ.

نزل الرتل في الليلة الفاصلة بين الرابع عشر والخامس عشر من الشهر قـــرب أضاة مُورْگَـــنْ. وعلى بعد خمسة عشر كيلومترا داخل اَتْرَارْزَه عثر على بعض الأحياء فاكتسحها.

في الثامن عشر ابريل 1855، عاد فيديرب إلى رِيشَارْتُولْ آملا أن يجد محمـــد لَحْبِيبْ، لكن ملك اَتْرَارْزَه، طبقا للمعلومات المستفادة، كان قـــد توجـــه إلى لاَمْبْسَارْ واَنْدَرْ. ولما كانت كل الترتيبات قد اتخذت سابقا للدفاع عن المدينـــة، فقد قرر الوالي اجتياح أحياء مهمة علم بوجودها شمال بُوكْ.

نزلت القوات على اليابسة ليلة الواحد والعشرين وبلغت الأحياء المقصودة عند طلوع النهار. غنمنا ثلاثة آلاف رأس من البقر وأخذنا عشرة أسرى.

وفي يوم 24، قفل الرتل عائدا إلى اَنْدَرْ.

أثناء هذه الأحداث، كان برج لَيّارْ مسرحا لعمل بطولي متميـــز هكـــذا رواه فيديرب: ". . جاء إذن محمد لَحْبِيبْ مع كامل جيشه ليهاجم البرج الذي يدافع عنه رقيب مشاة البحرية Brunier وأحد عشر رجلا من وحدته ومـــدفعيان. كان في الطابق العلوي لهذا البرج السداسي الأضلاع، قذاف جبلي يرمي مـــن نوافذ تمثل فتحـــات الرماية بينما كان الطابق الأرضي مثقوبا بثماني فتحـــات أخرى.

انقض البيظان على البرج باستماتة غير معقولة منذ الـــسابعة صـــباحا وحـــتى منتصف نهار الحادي والعشرين. وكان الفرسان يأتون لسد فتحـــات الطـــابق الأرضي بينما يحاول آخرون تخريب الجدران بخناجرهم. أحرق المحاصِرون كوخا قريبا من البرج كان يستخدم مطبخا وكذلك امرأة كانت تحاول إنقاذ أمتعتـــها ولم تخرج بالسرعة الكافية[1]. امتلأ البرج بالدخان والشرارات وكان المـــدافعون يخشون أن تنفجر ذخائرهم في أية لحظة. وفي لحظات حرجـــة كهـــذه ورغـــم الصيحات الغاضبة من قرابة الألف من الأعداء الـــذين لم تكـــن الأبـــواب إلا لتزيدهم حنقا، لم يفقد هؤلاء الجنود الشجعان، ولو للحظة واحـــدة، هـــدوء الأعصاب الذي كان جد ضروري لهم. ولقد كانوا قرروا أن يفجروا أنفـــسهم مع بقية ذخائرهم إذا استطاع البيظان تسلق البرج. وأخيرا نالت شجاعة هؤلاء الجنود مكافأتها، فبعد خمس ساعات من الصراع هرب البيظان الذين أضرت بهم قذيفة أخيرة سقطت قرب الملك، تاركين جنب المركز ما يناهز الـــثلاثين جثـــة وحاملين كثيرا من الجرحى. أُصيب الرقيب ابرونيي واثنان من رجاله بجـــروح طفيفة".

[1] الظاهر من سياق الأحداث أنها احترقت ولم يحرقها أحد كما قد يفهم من النص. (المترجم).

انسحب محمد لَحْبِيبْ مسرعا إلى روصو. وبعد فترة، تذرع بأن سلطان آدْرَارْ يهدد بلاده فأخلى الْوَالُو من كل جيشه وقطع النهر مبتعدا مع مخيماته شمالا.

4: أحداث سنة 1856:

تصالح ملك اَتْرَارْزَه وسلطان آدْرَارْ في مطلع سنة 1856، كما عُقِد عند الشيخ سِيدِيًا، الزعيم الديني الكبير في منطقة الترارزه، اجتماعٌ حضره جميع زعماء اَتْرَارْزَه ونوقشت فيه وسائل مواصلة النضال ضدنا.

وكان محمد لَحْبِيبْ، وقد فهم أن الْوَالُو ضاع منه نهائيا، يتوعد رغم ذلك بمحقنا إن دخلنا بلاده. وأما في الجهة الأخرى فكان السودان ينتظرون هذه التجربة الأخيرة ليؤمنوا بتفوقنا النهائي على البيظان.

ولما كنا نجهل حجم القوات التي يمكن لهؤلاء الأعداء أن يجمعوها ولتفادي فشل ربما يكون أثره خطيرا جدا في كامل المستعمرة، جمع الوالي ألف رجل من القوات[1] والبحرية وألفا وخمسمائة متطوع وأربعة قذافات. ومما يؤسف له أن وسائل النقل كانت شبه معدومة، فلم نكن نملك سوى ستة جمال وحوالى أربعين فرسا وبغلا، لنقل ما يحتاجه ألفان وخمسمائة رجل وأربعمائة من الخيول. وكان الهدف بلوغ بحيرة كَايَارْ[اَرْكِيزْ[2]] حيث قدرنا أن اَتْرَارْزَه قد تجمعوا قربها.

نزل الرتل من الأسطول في اَتِيَاوْلَه[3] يوم السادس عشر فبراير 1856 ووصل البحيرة بعد ثلاثة أيام من مسير شاق عانى خلاله شدة العطش فوجد اَتْرَارْزَه قد هربوا. تقدم المتعاونون حتى شمال البحيرة ونهبوا بعض الأسر ورجعوا بخمسمائة

---

[1] أي القوات البرية. (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم.

[3] تدعى الآن امْبِيسَه وهي قرية على النهر شرق مركز اَلتِّيكَانْ في ولاية اَتْرَارْزَه (المترجم).

شاة. قفل الرتل محاذيا الضفة اليمنى حتى أضاة مَارِلْقُوِيْنْ[1] التي وصلها يوم 27 . نفذ المتطوعون بعض الغارات أثناء العودة وكذلك فعلت بعض المفارز الخفيفة.

وكمحصلة نهائية، قتلنا حوالى عشرة رجال وأسرنا ستمائة وغنمنا وألفا وستمائة شاة وستمائة رأس من البقر وعشرين جملا. وهذه نتيجة قليلة الأهمية إذا قيست بالتأثير المعنوي الذي حصلنا عليه.

أما محمد لحبيب، الذي كان يهدد بمحقنا، فقد هرب مع أسرته بعيدا جدا إلى داخل البلاد ، تاركا بلده وقبائله وأموالها تحت رحمتنا.

خلال الأشهر الموالية لهذه العملية، حاول فيدرب الاستفادة من الخلافات التي ظهرت في لَبْرَاكْنَه؛ حيث كان ملكها محمد سِيدِي الخاضع تماما لمحمد لَحْبِيبْ يخلق لنا المصاعب على امتداد النهر وخصوصا في اَبِّـودُورْ. أما منافسه سِيدْ اعْلِ فقد كان على العكس منه مستعدا للدخول معنا في مفاوضات.

ولتسهيل هذا التفاهم، أقيم معسكر عند كُولْدِي على بعد فرسخ[2] شمال اَبودُورْ ترابط فيه كتيبة مشاة وفصيلة مدفعية. وقد شكل هذا المعسكر لاحقا منطلقا لسلسلة عمليات نفذت في اَتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه. بل إن رتلا من خمسمائة جندي وثمانين متعاونا توغل شمال مالو[3] لاكتساح مخيمات تابعة لمحمد سِيدِي.

كلفت سنة 1856 البيظان أكثر من ثمانية عشر ألف رأس من البقر وعشرين ألف شاة وثمانمائة من الإبل وثلاثة آلاف أسير. وقد شاع خلال الأشهر الأخيرة

---

[1] الظاهر أنها مالقويني ,الواقعة جنوب شرقي روصو عاصمة ولاية الترارزة بحوالي 25 كلم. (المترجم).

[2] حوالى أربعة كلم (المترجم).

من السنة أن بعض قبائل منطقة اَتْرَارْزَه تطلب السلم وأن الزوايا يتوسـلون إلى محمد لَحْبِيبْ للتفاوض معنا.

أدى إغلاقُ أسواق النهر والحصارُ الناجح للضفة اليمنى، بالبيظان، إلى المجاعة.

نجح الزوايا في الحصول من محمد لَحْبِيبْ على الإذن بطلب السلم لأنفسهم فمنحهم الفرنسيون نوعا من الهدنة في يناير 1857.

5: أحداث سنة 1857:

خلال فصل الربيع، قرر محمد لَحْبِيبْ أن يبذل جهدا أخيرا فحاول، دون نجاح، جر الْفوُتَا والتُّورُو ضدنا. وخلال ابريل، هاجم البيظانُ في كل مكان؛ فاجتاز رتل يتراوح عدده بين ثلاثمائة وأربعمائة مقاتل النـهرَ واكتسح دائـرتي Merinaghin، و Lampsar حيث كان بعض السكان قد بدؤوا إعادة بناء قراهم رغم تحذيراتنا.

تعرض أنصارنا في هذه الفترة لفشل ذريع حين ذهب مائة وستون فارسا من الْوَالُو وحوالى مائة من اَتْكَارِيرْ اَلْدَرْ للإغارة شمال بحيرة كَايَارْ. بـدأ المغـيرون باكتساح حي مهم لكنهم وبدل الانصراف مباشرة بغنـائمهم، انـساقوا وراء الأمل في غنائم أخرى فأعطى ذلك البيظانَ الوقت للتجمع. استطاع قسم كـبير من فرسان الْوَالُو اجتياز النهر عائدين أما اَتْكَارِيرْ فقد أبيدوا.

ومن أجل مقاومة الأثر السلبي لهذا الحدث، بدا ضروريا الذهابُ مع الـسودان أنفسهم لقتال البيظان على نفس مسرح انتصارهم السابق.

ذهب فيديرب من اَلْدَرْ إذن، يوم السابع من مايو بسبعمائة من القوات النظامية وبألف ومائتين وثلاثين بين المتطوعين وبرجال وحدات الْوَالُو مع قادتهم. التقـى الرتل مع الأعداء في غابة كثيفة على أطراف كَايَارْ يوم الثالث عشر مايو.

اشتبك الرتل مع أحد أبناء محمد لَحْبِيبْ يدعى سِيدِي ومعه أكثر من ألفي رجل فطردنا قواته بصولة بالحراب وقتلنا منها حوالى ثلاثين رجــلا وجرحنــا عــددا كبيرا. خلال ذلك، اجتاز حوالى الثلاثمائة من البيظــان النهر وجاؤوا لإحراق گــُونْدُو في ضاحية أَنْدَرْ نفسها فقتلوا قرابة العشرة رجال وسبوا ثمانين امــرأة وطفلا ثم حاولوا انتزاع برج انْدَيْرْ ولم ينجحوا.

كانت حامية هذا البرج مكونة من العريف الأبيض Valette وعريــف أســود وجندي أبيض وستة جنود سود. حاول هؤلاء الرجال الشجعان مرتين الاستفادة من بنادقهم من طراز Espignole. ولمرتين ســقطت رافعتــا الــبرج فبقــوا مكشوفين أمام نيران العدو. ودون أن ييأسوا، أصلحوا برجهم واستطاعوا إيقاف المهاجمين عند حدهم وطردهم في النهاية بعد أن قتلوا أو جرحوا من تجرؤوا منهم على الاقتراب من البرج حاملين حزما مشتعلة من القش لإحراقه بها.

سقط عشرة من المهاجمين قتلى عند البرج ولم تخسر الحامية إلا قتيلا واحدا. نجــا البيظان طوال خمسة أيام من المفارز المرسلة لملاحقتهم، لكن الفرســان أدركــوا بعضهم وأبادوه قرب جَلْمَخْ يوم 31 مايو.

ضعفت مقاومة البيظان في أواخر سنة 1857 وكان إِدَوْعِيشْ أول المفاوضــين حتى أن ملكهم بَكَّارْ تعهد باستخدام نفوذه لدى لَبْرَاكْنَه واتْــرَارْزَه لإقنــاعهم بقبول شروطنا.

6: أحداث سنة 1858:

بدأت الانشقاقات في هؤلاء[1] فاقترب منا أولاد دمان[2] وتخلى أولاد احمد عــن حزب محمد سِيدِي. وبعد جهود غير مجدية لرد المتمردين، قرر محمــد لَحْبِيــبْ

1 أي اتْرَارْزَه ولبراكنه (المؤلف).
2 الظاهر أنه قصد أولاد دمان.

الدخول في مفاوضات معنا. وفي مايو، وقع اتفاقية السلم. وفي يونيو، حذا محمد سيدي ومنافسه سيدَ أَعْلِ نفس المثال.

وفي دجمبر، أصبح سيدَ أَعْلِ سيّدَ لَبْراَكْنَه الأوحد بعد أن اغتال منافسه. ولما لم يستطع منع أتباعه من الإغارة على اَدْيُولُوفْ، فاجأ رتل من خمسين وستمائة رجل يقودهم الرائد Fobou محلته واجتاحها في يونيو 1859. وكانت تلك آخر عملية يقوم بها فيديرب ضد البيظان.

اعترف زعماء اَتْرَارْزَه ولبراكنه وتَـگَـانَتْ، في كل الإتفاقيات التي عقدوها معنا، بسيادتنا على الضفة اليسرى لنهر السنغال وتعهدوا ألا يجتازوا النهر مسلحين، كما قبلوا حرية التجارة وإلغاء "العوائد". لكن التجار[1] أصبحوا مجبرين على دفع رسوم لإخراج الصمغ من الضفة الموريتانية.

تم بعد ذلك في سنة 1880 إبدال هذه الرسوم على الصمغ بحقوق سنوية ثابتة يدفعها الوالي مباشرة إلى زعماء البيظان وأعيدت تسميتها خطأً عوائدَ.

1 أي الأوروبيين (المؤلف).

القسم الثالث

الرحلات الدراسية والمهام الاستكشافية في موريتانيا 1859-1901.

ما إن تم توقيع السلام مع البيظان، حتى كلف فيديرب ثلاثة ضباط بزيارة لَبْرَاكْنَه وتَـگَـانَتْ وآدْرَارْ.

• كانت المهمة الأولى، تلك التي كلف بها الملازم البحري Mage فذهب من بَكَّلْ[1] يوم 09 دجنبر سنة 1859 ومعه أربعة حمالين وأحد أعيان حي بَكَّارْ يحميه ويدله. بعد أن سار ماجْ بمحاذاة لَعْصَابَه وجرف تَـگَـانَتْ حتى فَمْ الْبَطْحَه[2]، وجد مخيم بَكَّار جنوب تَامُورَتْ انْعَاجْ.

لم تجر المرحلة الأولى من الرحلة دون مشاكل فقد نهبت أمتعة ماج كلها في حي من اَشْرَاتِيتْ رغم وجود دليله وحاميه. لم يسمح بَكَّارْ للرحالة بولوج عمق تَـگَـانَتْ بل وأنكر وجود سودان في هذه المنطقة[3].

رافق ماج إِدَوْعِيشْ أثناء هبوطهم إلى آفْطُوطْ عبر وادي الحُسَيْنِيَّه وممر گَـرَوَلْ حتى فَمْ جَوْكْ[4]. وبعد ذلك، رجع إلى بَكَّلْ متبعا تقريبا نفس المسار الذي جاء معه.

---

[1] مدينة سينغالية على الحدود الموريتانية مما يلي منطقة گيدي ماغ. وهي في الأصل جزء من هذه المنطقة التي كانت تحت سيادة إدوعيش بل إن اسم المدينة مشتق من اسم أمير إدوعيش بكار ولد اعمر ولد محمد (ت 1761). وفي بكل أسس الفرنسيون سنة 1818 مركزا تجاريا وعسكريا وإداريا سرعان ما أصبح نقطة تبادل هامة مع ما يليه من البلاد الموريتانية. (المترجم).

[2] مدخل تجكجه الغربي وهو مدخل البطحاء التي تشق وادي تجگـجه والمقامة على حافته مدينة بهذا الاسم هي اليوم عاصمة ولاية تگـانت. (المترجم).

[3] صدق بكار. لكن الغريب هو اهتمام الفرنسيين المبكر بالسودان. (المترجم).

[4] ممر جبلي يُصعد منه إلى جبل لعصابه من الناحية الغربية. وهو الحاجز بين جبال تگـانت وجبال لعصابه. (المترجم).

• غادر نقيب المشاة Vincent، المكلف باستطلاع آدْرَارْ، دَگَــانه في الثامن من مارس 1860 مصحوبا برقيب من الخيالة وبفارس واحد من أبناء البلاد[السنغال1] وبالمترجم بُلْمَقْدَاد2. توجه فيسان أولا إلى مخيم محمد لَحْبِيــبْ فأحسن استقباله لكنه لم يعطه دليلا إلا بعد أيام كثيرة من التردد والمداولات.

مر فيسان على بتيوَرْوَرْتْ3 وأَجْرَيْلَه وقطع آگــنَيْتِيرْ ثم دخل منطقة تيرس4 حيث لقي يوم 18 ابريل مخيم اَعْلِ وَلْد اَمْحَمَّدْ زعيم أولاد اَدْلَيْمْ. وهنا تعرض لأخطار جمة، إذ تشاور هؤلاء المحاربون الأشداء أكثر من مرة في قتله. ورغــم ذلك، قرر اَعْلِ وَلْد اَمْحَمَّدْ في النهاية، خوفا من محمــد لَحْبِيــبْ، أن يتــرك المسافرين يذهبون. وفي يوم 26 ابريل وصلوا إلى مخيم وَلْد عَيْدَّه في آدْرَارْ.

أحسن السلطان في البداية استقبال مبعوث الوالي ولكن رجال الــدين زرعــوا الريبة في نفسه فرفض أن يتركه يدخل آكار5 وأبقاه في مخيمه لمدة شهرمتذرعا بحجج متنوعة.

وأخيرا سمح له في الرابع والعشرين من مايو بالذهاب فخرج من آدْرَارْ عبر ممر جُولْ وقطع إِينْشِيرِي6 ليصل اَلَتَرْ يوم 14 يونيو.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] بُلمَقْدَاد: المعني هنا من أبناء المقداد هم دُودُو سك الإبن الثاني لإبن المقداد الوالد. (المترجم).

[3] منطقة على بعد 50كلم جنوب انواكشوط اشتهرت بكثرة أشجار الصمغ العربي المسماة محليا أوَرْوَارْ ومنه اشتق اسمها. (المترجم).

4 تطلق على ثلاث مناطق. أولاها وهي المعنية هنا منطقة مستوية غرب آدرار في الشمال الغربي من البلاد وتتصل بالمحيط الاطلسي. والثانية في الشمال الشرقي من البلاد وتدعى تيرس الزمور وهي اليوم ولاية عاصمتها ازويرات حيث مناجم الحديد المشهورة. والثالثة تتصل بالأولى شمالا وهي الطرف الجنوبي الغربي من الصحراء الغربية. (المترجم)

5 الأرجح أنه أراد أطار فصحف. (المترجم)

6 سهل بين آمساگه شمالا وتاقللي جنوبا. وهو اليوم ولاية موريتانية شمال انواكشوط. (المترجم)

في يونيو من 1860 كلف الملازم البحري Bourel باستكـشاف تَبْرَاكْنَه وكان عليه أن يستفيد من حضور مخيم سِيدَ اَعْلِ قرب اَيـُّـودُورْ وأن يـصعد شمالا مع هذا الزعيم في بداية فصل الأمطار.

حظي بوريل باستقبال ممتاز من طرف سِيدَ اَعْلِ وزار قسما من آفْطُوطْ كما زار بحيرة أَلَاكوشَـگـَارْ وگيـِم. وقد عاد الملازم البحري بوريـل مـن إقامته الطويلة في مخيم الأمير بمعلومات قيمة عن المنطقة والقبائل التي تجوبها وكـذلك عن عادات وتقاليد البيظان.

وللذاكرة ، نشير إلى رحلات:

- بُلْمَقْدَادْ الذي سافر إلى مكة سنة 1861 مارا باَتْرَارْزَه وآدْرَارْ والمغرب.
- Paul Soleillet : أراد سنة 1880 الذهاب إلى آدْرَارْ والوصـول إلى تَنْبُكْتُو مرورا بتِيشِّيتْ ووَلَاتَه، لكنه ارتد على عقبه بعد أن نهبه أولاد اَدْلَـيْمْ قبل أن يصل إلى آدْرَارْ. وقد أعاد المحاولة مرتين دون أن يوفق.
- Camille Douls: نزل سنة 1887 وحيدا في رأس كاربي ونجح في إيهام البيظان أنه مسلم فعاش أشهرا طويلة حياة أبناء البلاد في مخيمات أولاد اَدْلَيْمْ.
- Leon Fabert: قام بين 1891 و1894 بأربع رحلات دراسية إلى بلاد اَتْرَارْزَه.
- Gaston Donnet : زار تيرس سنتي 1893 و1894.
- في سنة 1900 تم تنظيم بعثة شبه سرية لدراسة آدْرَارْ وخصوصا منطقة الجَّلْ حيث يقدر وجود النترات.
- تكونت هذه البعثة من الـسيدين Blanchet وDe Reims والملازم الأول Gambetta- Jouinot الذي قاد مفرزة حراسة مـن حـوالي

أربعين من غير النظاميين وقدامى الرماة. استقبلت البعثة في البداية استقبالا حسنا من طرف الأمير المختار وَلْد عَيْدَّه الذي لم يستطع الصمود أمام تطرف حاشيته. استدرج الأوروبيون الثلاثة إلى فخ وتم أسرهم. أما مجموعة الحراسة المحاصرة داخل منزل في أطَارْ فقد أفلحت في الانسحاب والوصول إلى اَلْـدَرْ عبر آدْرَارْ وأَتْرَارْزَه. تفاوض الوالي[مع أمير آدْرَارْ1] عبر الشيخ سَعَدْ بُــوهْ واضطر لدفع غرامة ثقيلة لتحرير الأوروبيين2.

[1] التوضيح من المترجم.
[2] ينظر حول هذه الرحلة والغرامة : ولد محمذن(محمدو): ص:185-228. (المترجم).

القسم الرابع

احتلال موريتانيا

بين سنتي 1890 و1896 وقع ولاة السنغال مع أمــراء أَتْــرَارْزَه ولبراكنــه وتَـگـــاَنتْ سلسلة من الاتفاقيات تضع بلدان البيظان، الواقعة على الـضفة اليمنى للنهر، تحت حماية فرنسا .

تعهد الزعماء الموقعون أن يعاقبوا و يطردوا من بلدالهم، المسلمين أو الأجانب، الذين يتآمرون أو يعملون ضد الحكومة الفرنسية. كما تعهد هــؤلاء الزعمـــاء بالامتناع عن كل هجوم على السكان الخاضعين لفرنسا أو المحالفين لها وبمنـــع السرقات وأعمال النهب التي تمارسها القبائل التابعة لهم ضد ســكان الـضفة اليسرى أو أي تابع لفرنسا أو تحت حمايتها. وقد تعهدوا كذلك بضمان حريـــة التجارة وحماية المحطات وبتأمين طرق القوافل على امتداد بلدالهم. وأخيرا، تعهد هؤلاء الزعماء بأن يسمحوا لسكان الضفة اليسرى من ابناء البلاد الأصـــليين، بالجواز إلى الضفة اليمنى مقابل دفع ضرائب سنوية في بعض الحالات.

ورغم هذه المعاهدات، ظهر سريعا أننا الوحيـــدون الـــذين يحترمـــون مـــواد الإتفاقيات ولم تفتأ السلطات الإدارية في دَگـَــانه وأَبـــوُدُورْ وكَيْهَيْـــدِي ومَاتَامْ تتلقى الشكاوى، المبررة بقوة مع الأسف.

كما ظلت قوافل التجارة القادمة إلى الدوائر الإدارية تنـهب والـــسودانُ المزارعون على الضفة اليمنى يضايقون باستمرار. وأخيرا، لم يكـــن المحـــاربون البيظان يتحرجون من أن يأتوا ويهاجموا قرى الضفة اليسرى.

لم يكن أمراء أَتْرَارْزَه ولبراكنه وتَــكَّــاَنتْ محجمين فقط عن القيام بأي جهـــد لإيقاف ومعاقبة الجناة بل كان من الجائز الظن أهم يشجعون السرقات وأعمال التخريب المنفذة بل ويستفيدون منها.

كانت العوائد، في نظر البيظان، غرامة تجبى من الكفار مما خلق لنا وضعا مذلا. كانت عجرفة وكبرياء المحاربين تزدادان مع تباعد الذكريات المريرة للـــدروس التي لقنهم إياها فيديرب.

وشجعت الحمى الصفراء التي كادت تقـــضي ســـنة 1900 علـــى الـــسكان الأروبيين في السنغال وكذلك تناقص حاميات النهر، البيظان علـــى اســـتعادة مكانتهم السابقة في أعين سودان السنغال. وكانت هذه الاستعادة على حسابنا.

وأخيرا، فقد شاع أن سلطان المغرب دعا قبائل الصحراء إلى إنهـــاء صـــراعاهّا الداخلية والاتحاد ضدنا.

وقد بدا زعيم إِدَوْعِيشْ المسن، بكَّار، الذي كان يظن نفسه آمنا في جبالـــه في تَـــكَّـــانتْ، متعجرفا بشكل خاص.

وعلى العكس من هذا، فإن قبائل الزوايا، التي أهلكتها اعتـــداءات المحـــاربين والعراقيل الموضوعة أمام التجارة، طلبت تـــدخلنا وتعهـــدت بمـــساعدتنا[1] إذا احتللنا البلاد .

لم يكن بوسعنا تأخير تدخلنا لوقت أطول وكان محتملا أن يؤثر استمرار الوضع السائد آنذاك على نفوذنا في المناطق الصحراوية بل وأن يضر بمكانتـــا عنـــد السودان كذلك. ومن جهة أخرى فقد كان ضروريا لتحقيق مشاريعنا بخصوص المغرب، أن نحتل المنطقة الواسعة الممتدة بين هذا البلد والسنغال.

---

[1] لا نعلم شيئا عن هذا الزعم. وإن كان وقع بعض منه فلعله خاص غير علم. (المترجم)

إلا أن أية حملة عسكرية صرف تهدف رسميا لاحتلال بلاد البيظان لم تكن أبـــدا لتلقى موافقة البرلمان. وكان يمكن أيضا أن تسبب لنا خيبات أمل كبيرة.

ولحسن الحظ، فقد ردت صيغة الدخول السلمي على كل الإنتقادات. وكـــان لابد من رجل ذي معرفة كاملة بقضايا المسلمين وعقلية البدو، لتفسير سياسة العمل المباشر الحذرة والماهرة هذه والتي تحترم الدين والعادات، معتمدة علـــى القسم الأكثر حصافة وغنى من السكان.

اختار وزير المستعمرات السيدكوبولاني من إطار إداريي الجزائر وكـــان لفـــت الانتباه بنشره كتابا عن الطرق الصوفية وسبق أن كلفه الجنرال Trentinian سنة 1898 بمهمة لدى قبائل البيظان في منطقة الساحل.

لم يستمر نشاطنا سلميا لوقت طويل وتعين علينا الشروع في عملية غزو حقيقي للبلاد باستثناء منطقة اَتْرَارْزَه. إلا أن السياسة المتبعة مـــن طـــرف كـــوبولاني والنفوذ غير العادي الذي تمتع به سريعا في كل موريتانيا[1] أتاحا لنا حلفاء منـــذ دخولنا إلى البلاد وحالا دون أن نجد الفراغ المطلق أمامنا وقللا غالبا، وبتفرقـــة ذكية، عدد االتجمعات التي ظلت معادية لنا.

1 :احتلال اَترَارْزَه:

في مطلع 1902 وجدنا الفرصة للتدخل في اَتْرَارْزَه لمساعدة احمد ســالم الأمـــير المعترف به من طرفنا، ضد منافسه سِيدِي ولد محمد فَالْ الذي جمع حول نفسه

---

[1] من سياق الكلام يفهم أنه المؤلف يقصد نفوذا معنويا تمتع به كوبولاني. والواقع أن هذا النفوذ لم يتخط المنطقة التي دخلها سلما أي منطقة اترارزه. ولوقت قصير كما سنرى. أما خارج اترارزه فقد قتل كوبولاني وليس له من النفوذ "غير العادي" إلا ما فرضه بالقوة المسلحة بعد معارك احتلال تكانت. وكان نفوذا "عاديا" غير مكتمل على الأرض وغير موجود على القلوب والعقول(المترجم).

القسم الأكبر من أولاد احمد بن دَمَانْ والذي كان بعض المتآمرين من أهل اَنْدَرْ يشجعونه.

خلال شهر مارس، تم إرسال رتل سمي "رتل مراقبة اَتْـرَازْزَه" بقيادة الرائد Delapiane إلى سَهْوَةْ الْمَاء. وتكون هذا الرتل من سرية رماة وفصيلي خيالة.

في نهاية شهر ابريل 1902، تم حل هذا الرتل إلا أن مركزا أقيم في خَيْوَه لحماية ومراقبة احمد سالم.

ومع ذلك فلم تزدد الحال إلا سوء خلال الأشهر الموالية؛ فالأمير يعيش لاجئا في دَكَـانَةْ مع قلة من أنصاره، بينما وسع سِيدِي سلطانه حتى أبواب اَنْدَرْ. وكانت عصابات النهابين تجتاح القبائل المسالمة وتسلب بعض القوافل.

في دجمبر، تم تعيين كوبولاني سكرتيرا عاما واستلم إدارة شؤون البيظان[1]. وفي الرابع عشر غادر اَنْدَرْ إلى دَكَانَةْ حيث التقى احمد سالم وحصل منه في اليوم التالي على تخليه لصالح الحكومة الفرنسية، عن حقوقه وصلاحياته كأمير.

تكونت القوات الموضوعة تحت تصرف كوبولاني، بقيادة النقيب Sadarge من:

- 03 فصائل اسباهي [خيالة[2]]: (النقيب Chauveau، الملازمون الأوائل: Liccoli، Berneval ، Lapeyre).
- فصيلة رماة: (الملازم الأول Aubert).

[1] استلم كُوبُولَانِي عمله في اَنْدَرْ في مكتب مؤقت بالقاعة رقم 22 مقر مجلس إدارة المدرسة الاستعمارية. وثيقة فرنسية بحوزتنا. (المترجم).
[2] التوضيح من المترجم. (المترجم).

توجه كوبولاني في الثاني والعشرين دجمبر 1902 في حراسة فصيل خيالة وفصيلة رماة إلى سَهْوَةْ الْمَاء حيث أقام مركز نشاطه حتى الخامس والعشرين من يناير1903.

جاءت القبائل المجاورة إلى كوبولاني تعطيه الأمان [وتستأمنه][1] وكانت تستقبل جنودنا بصدور رحبة[2] وترى فيهم ضمانا لسلام مرغوب فيه.

قدم أعيان القبائل الدينية[الزوايا[3]] طاعتهم. ورويدا رويدا اتبع المحاربون نهجهم.

وفي الخامس من فبراير 1903، التحق سِيدِي وَلْد محمد فَالْ بالبعثة عند حاسي الْكُوِتِي محاطا بمائتي محارب وأكد ولاء الحزب المنشق.

بعد أن اجتاز كوبولاني اَتْرَارْزَه، خيم يوم 8 من مارس 1903 على شاطىء المحيط واختار بالإتفاق مع ربان Géoland نقطة رسوٍّ وإنزال ملائمة، في انواكشوط، على بعد حوالى ثلاثين كيلومترا جنوب اَيِسُّورْتَانْدِيكْ [اجْرَيْدَه[4]] القديمة.

وفي الواحد والعشرين[5]، عاد إلى اَلْدَرْ، مصطحبا كبار الأعيان والمحاربين ورجال الدين الذين قادوا الحرب وأربكوا البلاد منذ سنتين.

شرعنا في تأسيس مركزين في سَهْوَةْ الْمَاء (الملازم الأول أوبير) واخروفه (الملازم الأول ليكولي) يضمنان خط حماية لشمال السنغال السفلي[مصب النهر[1]]

---

[1] التوضيح من المترجم. (المترجم).
[2] ستظهر الأيام اللاحقة أن تفاؤل الفرنسيين لم يكن في محله. (المترجم).
[3] التوضيح من المترجم. (المترجم).
[4] التوضيح من المترجم. (المترجم).
[5] في النص 21 فبراير. ولكن إما أن يكون المقصود 21 مارس كما نظن أو يكون التخييم على شواطيء نواكشوط كان في 08 فبراير لا 08 مارس وتاريخ القفول إلى الدر 21 مارس وهذا ما نرجحه. (المترجم).

ويشكلان قاعدة أولى لتنظيم البلاد. كما حددنا موقع ما سيصير لاحقا مركـز انواكشوط الذي أنشيء في دجمبر 1903 وكان النقيب Frerejean أول قائـد له. تم تحقيق هذه النتائج دون طلقة واحدة.

ومع ذلك، كان الأولى ألا نغتر بخصوص المستقبل، إذ كان رؤساء اَتْرَارْزَه أشد كبرياء من أن يخضعوا، نهائيا، لسيطرتنا. ولم يكن بوسـع المحـاربين أن يتخلـوا بسهولة عن عاداتهم في النهب. وكان آدْرَارْ يوفر ملجئا آمنا للجميـع فتحـتم علينا أن نحسب لقبائل هذه المنطقة حسابها.

في يومي 07 و13 يونيو[1903[2]] تعرضت قافلة تموين بحرسها بعـض الرمـاة والفرسان لهجوم فاشل بين اَخْرُوفُه وسَهْوَةْ الْمَاء.

وفي الواحد والعشرين، أُنذر الملازم الأول أوبير، المقيم في سَـهْوَةْ الْمَـاء، أن مجموعة من المنشقين تقيم في حي يقع على بعد ساعات من المركز فقرر مفاجأتهم بحوالي عشرة رماة ومثلهم من الخيالة.

هاجمت القوة الصغيرة الحي قبيل الصبح. وبعد قتال تلاحمي، هرب العدو تاركـا ثمانية عشر قتيلا، بينما جرح منا رقيب درك أروبي وخمسة من الخيالة.

2: 1903-1904:

احتلال لَبْرَاكْنَه ومال وكُـورْكُـلْ- اَتْرَارْزَه سنة 1904- التنظيم العـسكري لموريتانيا.

1:احتلال لَبْرَاكْنَه ومَالْ وكُورْكُولْ:

لم يكن احتلال مناطق لَبْرَاكْنَه ومَالْ وكُـورْكُـولْ وهي مجال ظعن أولاد عبدَ اللّه و إِدَوْعِيشْ يبدو سهلا كما كان احتلال بلاد اَتْرَارْزَه.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] هذه أول عملية عسكرية ضد الفرنسيين منذ دخول كُوبُولَانِي البلاد. (المترجم).

جعل الزعيم المسن بَكَّارْ ولد اَسْوَيْدْ اَحْمَدْ من نفسه روح المقاومة وأخذ يبث رسله إلى كل مكان داعيا إلى الحرب المقدسة فجر إلى صفه أمير لَبْراَكْنَه اَحْمَدُو ولد سِيدَ اعْلِ[1] وزعيم اَشْرَاتِيتْ المختار رغم أن كل واحد من هذين سبق أن أكد موقفه الطيب اتجاهنا. ورفع بعض الزوايا كقبيلة إِجَيْجْبَه مثلا، السلاح في وجهنا.

تكونت البعثة التي تجمع القسم الأكبر منها في بُـگـه نهاية شهر نوفمبر [1903[2]] من:

- كتابة قائد البعثة: — السيد Boutonnet مساعدا لشؤون السكان المحليين.
- السيدان Michel Angeli وColombani إداريان.
- المترجمان العسكريان: السيدان Regnieb وCourtier من إطار الجزائر.
- المترجم المدني: بُلْمَقْدادْ[3].
- مصلحة الصحة: الطبيب الرئيس Combours-Mouflet.
- القوات النظامية التابعة للنقيب Chauveau قائد سرية الخيالة السنغاليين:
- 96 من رماة كتيبة الرماة السنغاليين الأولى(الملازمان الأولان Dufour وCheruy).
- 50 فارسا (النقيب Ciccoli).

---

1 حضر الأميراحمدو إلى سَهوَة المَاء وقابل قائد القوة الفرنسية فيها يوم 24 مارس 1902 وأعلن ولاءه للفرنسيين الذين أعلموه أن اهتمامهم ينحصر في اَترارْزَه (وثيقة فرنسية لدينا). (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم.

[3] هو غير الأول فهو ابنه الثاني دودو سك المعروف لدى البيظان بمحمدن. وقد توفي سنة 1943. (المترجم).

- 50 من حرس الحدود و50 فارسا من منطقة الساحل[1] (الملازمان الأولان de Chalain، Arbogast).

تمركزت هذه المفرزة في كَيْهَيْدِي.

في شهر دجمبر 1903، تم تعزيز هذه القوات بفصيلة[هاون[2]]80 جبلية (الملازم الأول Coupaye).

في يناير 1904، غادرت السرية العاشرة من كتيبة الرمـــاة الـــسنغاليين الأولى، أَنْدَرْ للمرابطة في كَيْهَيْدِي وألاَكْ وبُـــكّـــه.

تكونت القوات غير النظامية من:

– وحدة الجمالة السود التابعة لمساعد مكتب شؤون السكان الأصليين المقيم في لَبْراَكْنَه السيد Lestre De Rey : 80 بندقية.

– وحدة الجمالة السود التي يقودها الملازم الأولBriand : 25 بندقية.

– وحدة جمالة البيظان بقيادة الملازم الأول أوبير.

غـادر السيد كوبولاني بُـــكّـــه يوم الأول دجمـــبر [1903][3] ووصـــل الى مشارف بحيرة ألاَكْ في الثالث من الشهر، يحرسه ثمانون من الرماة وخمسون من الفرسان (النقيب شوفو والملازمان الأولان سيروي ودوفور) والجمالة الـــسود الذين يقودهم السيد ليستر دي ري.

---

[1] أي ملّي وما جاورها. (المترجم).
[2] التوضيح من المؤلف.
[3] التوضيح من المترجم.

كان احمدُو قد انسحب حوالى أربعين كيلومترا إلى الشمال الشرقي قرب أضاة شَـقَـــارْ[1] مع أولاد عبد الله وبعض إِدَوْعِيشْ وإَجَيْجْبَه. لم تصل المفاوضات التي تم الشروع فيها إلى نتيجة.

وفي الليلة الفاصلة بين السابع والثامن دجمبر1903، هاجم احمـدُو بأربعمائـة بندقية، معسكر البعثة المقام على هضبة اَكْــوَيْنَاتْ[2] الصخرية حيث المكـان الحالي للمركز. وبعد تبادل قصير لإطلاق النار، فر العدو تاركا بعض الجثـث على الميدان كما خسرنا اثنين من الجمالة وجرح أحد رماتنا. ونفـرت حـوالي خمسة عشر من خيول الفرسان، بسبب الانفجارات، فقطعت قيودها ونـدت، فاستولى عليها المنشقون.

ورغم هذا الفشل فقد ظل احمدو في شَـقَـارْ. ومن جهة أخـرى، تجمعـت أحياء من إِدَوْعِيشْ قرب بحيرة مَاَلْ على بعد سبعين كيلومترا غرب أَلاَكْ.

في الثامن عشر دجمبر 1903، فاجأ النقيب شوفو بقوات تتألف من فصيل خيالة وأربعين من الرماة (قوات الملازم الأول دوفور)[3] وجمالة ليستر دي ري السود، محلة أحمدو واكتسحها.

وفي الثامن والعشرين وخلال استطلاع بقوة من خمسة وعشرين فارسا وسـتين من الرماة (الملازم الأول شيروي) وجمالة ليستر دي ري السود، فرق النقيـب شوفو أحياء إِدَوْعِيشْ عند مَاَلْ وعاد بخمس مائة من الإبل وما يقارب الألـف رأس من الغنم.

---

[1] أضاة توجد في الحدود بين منطقة أفْكان وآفطوط. (المترجم).
[2] هضبة في ولاية لبراكنه عليها أقيمت مدينة ألاك عاصمة الولاية. (المترجم).
[3] التوضيح من المؤلف. (المترجم).

في الرابع عشر فبراير 1904، غادرت البعثة ألاَگْ، الذي كانت يحتله فصيل من السرية العاشرة (الملازم الأول Coussey) وتمركزت قرب بحيرة مَالْ يوم 16 من نفس الشهر.

في نفس الفترة، ذهب النقيب Galland من كَيْهَيْدِي اوحتل مَيْتْ[1] بقوة مؤلفة من فصيلة من السرية العاشرة (الملازم الأول Gruau) وراميين السنين وحرس الحدود الآتين من الساحل وجمالة اتْكَارِيرْ التابعين لعَبْدَ الله كَانْ وجمالة البيظان التابعين لسيدَ أَحْمَدْ ولد أيرا[2].

في صبيحة السابع عشر، هاجمت أعداد غفيرة من إِدَوْعِيشْ وأولاد عبدَالله النقيب جالان فردهم بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة : بقيت ثلاث وثلاثون جثة على ميدان المعركة وعلمنا لاحقا أن عدد القتلى تجاوز الخمسين.

ظلت الأحياء المنشقة متجمعة في گورْگولْ الأسود[3] على بعد أيام شرق مَيْتْ، وكانت خلال ذلك تحتجز[4] بينها عددا من قبائل الزوايا شبه أسيرة.

ولما ظهرت عداوة إِدَوْعِيشْ وأولاد عبدَ الله اللدودة اتجاهنا، أصبح استخدام القوة لا مناص منه.

في يوم 11 مارس، احتشدت في Radadhai مفرزتان كانتا قد تحركتا متزامنتين من مَالْ ومَيْتْ:

[1] بتفخيم الميم. وهي موضع في منطقة لغذَيْلاتْ في الْطوط بولاية لبْراكْنَه. (المترجم).
[2] هكذا في الأصل ولعله ولد أيده. (المترجم).
[3] أحد فرعي وادي گورگولْ المنحدر من جبال تگانت ويصب في نهر السنغال. أما الفرع الثاني فيدعى گورگولْ الأبيض. ويلتقي الفرعان عند مكان يدعى مقطع لعريش قرب قرية الغبره. ويصبان عند فم لـگليته. وباسم گورگولْ سميت ولاية عاصمتها كيهيدي. (المترجم).
[4] هذا غير دقيق ولكنه يصب في التصور الذي أراد المستعمر ترسيخه منذ البداية لدى أهل البلاد وخصوصا الزوايا منهم وهو أنه جاء لنصرتهم والذب عنهم. ولعل في الدور الكبير الذي قام به الزوايا في قتال المستعمر والذي سنرى المؤلف يعترف به لاحقا، ما يدحض هذا الزعم. (المترجم).

- المفرزة الأولى التي يقودها النقيب شوفو وهي مكلفة بحراسة السيد كوبولاني ومكونة من:
- فصيل خيالة (النقيب سيكولي).
- ستين من الرماة (الملازم الأول دوفور).
- قطعة هاون 80 (الملازم الأول كوباي).
- جمالة الملازمين الأولين ابريو وأوبير .
- المفرزة الثانية (النقيب Payn) وتكونت من:
- حراس الحدود بقيادة الملازمين الأولين Aubogast و De Ghalain.
- جمالة ليستر دي ري.
- جمالة اَتْكَارِيرْ التابعين لعبدَ الله كَانْ وصَامْبَا آمَادِي وبوُكَارْ بايْدِي.

أدركت هذه القوات المنشقين الهاربين منذ أيام، قرب بئر گُـومُلْ عند سفح لَعْصَابَه. أجبرت بعض القذائف المنشقين على إخلاء المخيمات بسرعة.

نجح إِدَوْعِيشْ، ليلا، في تمرير أغلب مواشيهم إلى الجهة الأخرى من لَعْصَابَه ومع ذلك فقد أفلحنا صباح اليوم التالي في الاستيلاء على آلاف كثيرة من الابل والغنم والبقر في الجبال. وكانت الغنائم المستولى عليها في مخيماتهم كبيرة كذلك.

كانت هذه العملية، التي لم تكلف أعداءنا خسائر بشرية كبيرة والتي لم نتكبد فيها أية خسارة، خصبة بالنتائج:

- مكنت الزوايا المحتجزين من أن يتحرروا وأن يقدموا طاعتهم.
- طردت إِدَوْعِيشْ من المناطق التي نريد تنظيمها.

• حرمت إِدَوْعِيشْ من مراعيهم في فترة الصيف.

• قطعت إِدَوْعِيشْ عن النهر وهو قاعدة تموينهم.

• إضافة إلى هذا كله، مكنت تلك العملية بالتفاوض لاستسلام لَبْرَاكْنَه.

• وأخيرا فقد أعطتنا عملية گُـومَلْ الوسائل لتعويض اَلْكَارِيرْ النهر عن أعمال النهب التي تعرضوا لها في السنة السابقة.

من أجل تحسين تنظيم منطقة جنوب موريتانيا، كلف السيد كوبولاني السيد ليستر دي ري بالتجوال في گُـورْگُـولْ الأسود والبحث عن مكان ملائم لتأسيس مركز [إداري وعسكري][1] فاختار اَمْبُـودْ الذي احتلته يوم 09 مايو مفرزة من السرية العاشرة كانت قبل ذلك حامية ألاَكْ. وغادر كوبولاني مَـاَلْ يوم العاشر من مايو وقد انتهت مهمته الثانية[2].

تم تنظيم البلد المحتل حديثا، كما يلي:

-منطقة لَبْرَاكْنَه:

- لمركز الإداري في الرَّقْـبَه[3]:
- الملازم الأول خارج الإطار بريو، مقيماً.
- خمسون من الجمالة السود.
- المركز العسكري في ألاَكْ:
- الملازم الأول شيروي.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] المهمة الأولى التي يقصد هنا هي تلك التي انتهت في فبراير1903 حين عاد إلى الندر بوجهاء وأعيان اترارزه. والواقع أن هذه هي المهمة الثالثة لكوبولاني في بلاد البيظان إذا اعتبرنا مهمته الأولى لدى قبائل البيظان في الساحل، نهاية القرن 19 قبل أن يحول إلى السنغال ويكلف بمهمة احتلال موريتانيا. (المترجم).

[3] براء مرققة مشددة. (المترجم).

- خمسون من رماة مفرزة حراسة البعثة.

منطقة مَالْ:

- المركز العسكري والإداري في مَالْ:
- النقيب خارج الإطار باين، مقيماً.
- خمسون من مفرزة الحراسة (الملازم الأول دوفور).
- فصيلة هاون 80 جبلي (الملازم الأول كوباي).
- وحدة جمالة مكونة من حرس الحدود المسرحين.
- المركز العسكري في مَيْتْ:
- الملازم الأول اگرويو .
- خمسون من رماة السرية العاشرة.

منطقة گـُورْگُولْ:

- المركز الإداري والعسكري في اَمْبُودْ:
- النقيب خارج الإطار **Mequelard**، مقيماً.
- ثمانون من رماة السرية العاشرة (الملازم الأول أوبوغاست).

أصبحت كَيْهَيْدِي إقامةً تابعة لأمْبُودْ.

2: اَتْرَارْزَه خلال سنة 1904:

تذمر احمد سالم من الحال التي جُعل فيها وهرب إلى أولاد بَسْبَعْ. وعلى العكس من ذلك تقرب منا سِيدِي حتى إنه قبل الذهاب إلى اَنْدَرْ.

إلا أنه، مثل احمد سالم، أراد التفاوض كأمير مستقل ولم يكن الدور الذي نعطيه له ليلائمه. وفي نهاية 1904، بدأ سِيدِي مفاوضات مع احمـــد ســـالم واســـتعد للانضمام إليه.

خلال أشهر مارس وابريل ومايو، جابت عصابة من أَوْلَادْ بَسْبَعْ يقارب عددها المائة والخمسين رجلا، أَتْوَارْزَه السفلى [الغربية1] . وكان هـؤلاء يظهـرون بدرجة خاصة من الخطورة لأنهم برهنوا على قدر من الشجاعة ولأنهم كـانوا أول بيظان حصلوا على أسلحة سريعة الرمي.

قبيل انبلاج صباح الثاني عشر من مارس، تعرض الرقيب فيليب -وهو قائـد مفرزة من الرماة المحمولة على الجمال من حاميـة أَخْرُوْفَـه- لهجـوم قـرب التاكْـــلاَلْتْ، نفذته مجموعة من أولاد بَسْبَعْ.

فر العدو بعد قتال شديد، حاملا معه كثيرا من الجرحى وتاركا على الميدان قتيلا واحدا. أما خسائرنا فكانت قتيلين وجريحا، ثلاثتهم من الرماة.

في السادس عشر مارس، أُنذر النقيب **Duhalde** حـاكمُ[2] سَـهْوَةْ الْمَـاء بوجود مجموعة من النهابين في مخيم من تَجَكَانَتْ على بعـد كيلـومترين مـن المركز. أسرع النقيب إلى المخيم ومعه عشرون من الرماة، تاركا رقيبا أوروبيـا وعشرة رجال لحراسة المركز.

بعد نصف ساعة من تجاوزه مخيم تَجَكَانَتْ، أدرك دوهالد الغزي يسوق ما نهبه. استدار أَوْلَادْ بَسْبَعْ وكانوا مائة وخمسين رجلا وفتحوا نيرانا عنيفة قتلت راميين وجرحت ثالثا ثم أخذوا يناورون لتطويق المفرزة.

اُضطُر النقيبُ دوهالد إلى التراجع سريعا، فتمكن من التملص إلا أن راميا ثالثا قتل أثناء هذه الحركة كما جُرح رقيبٌ افريقي. رجعت القوة الصغيرة إلى المركز بعد أن أجبرت على ترك جثتي رجلين وسلاحيهما.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] هكذا ترجمنا كلمة **Resident** هنا (المترجم).

تم تعزيز حامية سَهْوَةْ الْمَاء، بُعيد هذا الحادث، بمفرزة قادمة من اَلْدَرْ يقودهـا الملازم الأول Rosfelder.

في الحادي عشر مايو، ذُكر غزي أوْلَادْ بَسْبَعْ هذا قـرب المركـز ، فلاحقـه روسفلدر بخمسين رجل وأدركه قرب حي من أولاد أَبْيَيْرِي على بعد نحو سبعة كيلومترات من المركز.

لم يتراجع أوْلَادْ بَسْبَعْ إلا بعد نصف ساعة من القتال وأمـام تهديـدنا بـصولة بالحراب عليهم وبعد أن خسروا أكثر من خمسة عشر رجلا وتركوا بين أيـدينا ستة عشر جملا وبنادق كثيرة. خسرنا قتيلين وجرح منا اثنان.

أصبحت اَتْرَارْزَه، من وجهة نظر التنظيم الإقليمي، منطقتان إداريتان: اَتْـرَارْزَه الغربية ومركزها انواكشوط واَتْرَارْزَه الشرقية ومركزها سَهْوَةْ الْمَاء في مرحلة أولى ثم بُوتِلِميتْ.

ومن أجل حماية الشيخ بابا ولد الشيخ سيديا، أمر السيد كُوبُـولَانِي في شـهر اغسطس قسما من حامية سَهْوَةْ الْمَاء باحتلال هذه النقطة[1].

خلال شهر اكتوبر، أُقيم مركز شرطة في اَدْيَاكْ قرب أضاة مَالِـگْـوَيْنِي وكلف بمراقبة القوافل القادمة من اَلْدَرْ.

3. تنظيم موريتانيا العسكري:

في دجمبر 1904 أنشئت كتيبة النهر واتخذت دَگـاَنه مركزا لها وتكونت من:

- السرية الثانية عشرة في انواكشوط، بعد إلغاء مركزي اخْرُوفَـه وسَـهْوَةْ الْمَاء.
- السرية السادسة في كَيْهَيْدِي.

---

[1] أي بوتلميت (المترجم).

- السرية العاشرة في مَيْتْ.
- السرية الرابعة عشرة في دَكَّـــاَنه.

استمر الاحتفاظ بفصيلي فرسان في موريتانيا أحدهما في بُوتِلِمِيتْ والآخر في مَيْتْ.

القسم الخامس

احتلال تَــگــاَنتْ– مقتل كوپولاني– حالة موريتانيا خلال سنة 1905– اَتْرَارْزَه سنة 1905–تنظيم موريتانيا في دجمبر 1905.

1. احتلال تَــگــاَنتْ ومقتل كوپولاني:

أظلم الوضع السياسي في موريتانيا خلال الأشهر الأخيرة مــن ســنة 1904. التحق سيدي بأحمد سالم. استمر أَبكَاكْ واَشْرَاَيتْ متحدين ومعادين لنا بجلاء. واصل منشقون في اَتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه ومناطق مَاَلْ وگــورْگــولْ نهب القبائــل الخاضعة لنا وخصوصا [قبائل][1] الزوايا، مظهرين لهم بذلك كم هــي وهميــةٌ الحمايةُ التي ادعينا أننا نوفرها لهم مقابل الضرائب والسخرات الــتي نطلبــها منهم.

سهل فصل المراكز الإدارية والعسكرية عن بعضها عمل النهابين لأن وحــدات الجمالة التي تحتل المراكز الإدارية لم تكن قد نظمت بعد بطريقة جدية ولم يكــن تحت التصرف المباشر للمقيمين[2] إلا وسائل غير كافية. وأثناء ذلك، لم تكــن المراكز العسكرية، وقادتها محرومون من كل فــصيلة سياســية[3] ومــن كــل استخبارات وغالبا من كل وسائل النقل، قادرةً على أداء الخدمات التي كــان مقدرا انتظارُها منها.

وأخيرا، لم تكن توجد وحدات متحركة قادرة على العمل بفعالية ضد عــدو، يصعب –للدرجة كبيرة–، الإمساكُ به.

---

[1] التوضيح من المترجم.
[2] Les résidents. (المترجم).
[3] أي قسم في مركز القيادة مكلف بالقضايا السياسية. ومن الطبيعي أن تكون الفصائل السياسية موجودة في مستويات إدارية وعسكرية عليا فقط (المترجم).

لما م تعط المفاوضات التي شرع فيها مع إِدَوْعِيشْ وقبائل آدْرَارْ أية نتيجة كان لا بد لسياسة التفرقة المتبعة من طرف كوبولاني أن تفشل أمام الكتلة التي شكلها أعداؤنا.

استعد الحسن وهو الابن الأكبر للشيخ بَكّار، للدفاع عن تَـگَـانَتْ بينما جنح أخوه الحسين للسلم غير أنه لم يكن يتمتع بأية سلطة.

لم تتأخر عداوة الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ في الظهور. وكان ابنه الشيخ حَسَنَّه موجودا في إِدَوْعِيشْ يشجعهم على الحرب المقدسة.

كَنْتَه وحدهم كانوا موالين لنا. وقد نافس كنتة إدوعيش طويلا. ولكن إدوعيش قد استطاعوا بعد سلسلة من الحروب أن يجعلوهم في حالة من العجز ألجأت أكثرهم إلى الْحَوْظ مع زعيمهم المختار ولد حامد.

وسيجهد كوبولاني في إرجاعهم إلى تَـگَـانَتْ. وكان محمد المختار في تجَـگْـجَه أثناء هجوم الثاني عشر مايو[1].

قدَّم أهل سِيدِي حَيّبَلَّه[2]، وهم بطن من هذه القبيلة الكبيرة لم يغادروا تَـگَـانَتْ، عونا للبعثة. ظلت قبيلتا أهل سِيدِي محمود ومَشْظُوفْ في الشرق بمعزل عن الصراع الذي بدأ يقترب[3].

تشكلت البعثة التي تجمعت في ألاگْ ومال مطلع فبراير 1905 على النحو التالي:

---

[1] يقصد الهجوم الذي اغتيل فيه كُوبُولَانِي. (المترجم).
[2] بلام مغلظة. (المترجم).
[3] سنرى لاحقا أن هذا الوضع لن يستمر طويلا فسنرى حضور قبائل المنطقة في النيملان ثم ما تلاه (المترجم).

- السكرتارية: السادة: بوتونيه ، ميشيل، آنجيلي وكولومباني مساعدون لشؤون السكان المحليين. أضيف لهم السيد Arnaud الإداري من المجموعات الحضرية المختلطة من الجزائر .
- الأعمال العلمية: نقيب الهندسة Gerard.
- المترجم العسكري:M. Regnier
- المترجم المدني: بَلْمَقْدَادْ.
- حاكم[1] منطقة مَالْ تَـكَـاتْ: النقيب بـاين .
- المصلحة الصحية: الطبيب الرئيس Cambours Mouflet.
- القوات النظامية:

- سبعون من الرماة (الملازمان الأولان شيروي ودوفور).
- قطعة هاون 80 جبلي (الملازمان الأولان Villiers وMoriane).
- جمالة:
- 120 جمالا جزائريون (النقيب Ciccoli ، الملازم الأول De Lavau Guyon).
- 300 جمال أسود مقسمون إلى ثلاث وحدات يقودها النقيب الفريرجان- الملازم الأول Etievent – السيد ليستر دي ري.

احتفظ بجمالة الملازم الأول أتيفان لمدة في مَالْ ثم ألحقوا بالبعثة في الْحُسَيْنِيَّه.

- جمالة البيظان: من اتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه.

القافلة:

– السيدان M. Mère وCoup إداريان بقسم السكان الأصليين.

---

[1] في الأصل Resident (المترجم).

شكل الجزائريون قوة جيدة وجاء أغلبهم من فيالق الرماة والفرسان. لكنهم بدوا شديدي الحساسية لتأثيرات المناخ ثم إن تموينهم كان معقدا لأنهم كانوا يتلقـــون حصصا غذائية تكاد تشابه ما يتلقاه الأوروبيون[1].

أما الجمالة السود المكتتبون على عجلة وغير المدربين فكانت قيمتهم العسكرية ســيئة وكذلك انضباطهم.

كان التموين سيىء الإعداد. ويرجع السبب الأهم في ذلك إلى سوء تنظيم السافة. مع أن كل تأخير كان يعرض البعثة بكاملها للفشل.

كان السيد كوبولاني في أول الأمر يؤمل أن يصل إلى آدْرَارْ مطلع شهر فبرايـــر1905 إلا أنه في هذا التاريخ لم يكن قد حصل إلا على استسلام إِدَوْعِيشْ. منذ الوصـــول إلى تجَـــكْـــجَه أصبحت الحالة في ما يخص المؤن الغذائية ، صعبة.

غادرت البعثة مالْ يوم الخامس عشر فبراير 1905 ووصلت يوم واحد وعـــشرين إلى سفح جوف تــكـــانْتْ أمام ممر جَكَّلْ، متفادية بذلك مضيق فَمْ الْبَطْحَهْ الذي يحتلّـــه إِدَوْعِيشْ. وفي الثاني والعشرين خيمت في تَامُورْتْ اَلعاَجْ2 على شاطيء أضاة اَلتيْتَامْ.

كلف السيد ليستر دي ري مع جمالته باحتلال تل الْبَلْزْ وحماية القافلة التي جـــاء بهـــا ميشيل وآلجيلي من كَيْهَيْدِي، أثناء مرورها من فَمْ الْبَطْحَه. أما بقية البعثة فقد اتجهـــت إلى كَصَرْ الْبَرْكَه حيث شرعت مباشرة في بناء برج هناك.

بينما كان السيد كوبولاني يفاوض إِدَوْعِيشْ، ألحقوا هزيمة ذريعة بالسيد دي ري الذي تقدم بتهور نحو دَرْكَـــــلْ بقـــسم مـــن مفرزتـــه فقـــط. خـــسر هـــذا الموظـــف

---

[1] يا سبحان الله! يطلب منهم سفك دمائهم من أجل بلده ويستكثر عليهم الغذاء ! وكأني بهم لو علموا هذا البيت لأنشدوه:«وإذا تكون عظيمة أدعي لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب لوكانوا» من رواة شعر فارس زبيد عمر وبن معدي كرب أيام القادسية للذكر والأبيات المنسوبة اليه وخصوصا قوله: «نعطى السوية من طعن له نفذ ولا سوية إذ تعطى الدنانير» (المترجم).

[2] أضاة يلتقي فيها الكثير من أودية تـكَانْتْ. على حافتها كثبان تدعى النَبَاكْ أو النَبَيْكَه حيث قرية بهذا الاسم. (المترجم).

المدين، في هذا الاشتباك الذي جرح فيه، ثمانية جمالة وأجبر علـــى الانـــسحاب بسرعة إلى معسكر الْبَلْدْ حيث جـــاء إِدَوْعيشْ لمهاجمته عدة أيام لكنهم صدوا وكبلدوا خسائر هامة.

أرسل السيد كوبولاني حالا وصلته المعلومات الأولية عن هذا الاشتباك، النقيب الفريرجان لنجدة السيد ليستر دي ري لكن إِدَوْعيشْ انـــسحبوا جنوبـــا قبـــل وصوله فتبعهم الفريرجان وهزمهم في العاشر مارس عند تَنْ شَبِّه واستولى منهم على ثلاثة آلاف رأس من الغنم.

في الثامن مارس، ترك السيد كوبولاني حامية صغيرة في كَصَرْ الْبَرْكَه وتوجه مع باقي البعثة إلى الْحُسَيْنِيَّه[1] حيث أقام مركزا يقع تقريبا في منتصف المسافة بـــين ممري فَمْ الْبَطْحَه وكَـــــرَوَلْ الذين ننتظر أن تصلنا عبرهما قوافل كثيرة. بقيت الحالة غير محسومة، فإِدَوْعيشْ يهربون إلى اَرْقَـــــيّه وأَفَلّه بل ويخشى أن يقوموا بغارات في الجنوب.

في 27 مارس، وفي نفس الوقت الذي كان فيه كوبولاني متجها إلى تجَـــكْـــجَه ومعه معظم البعثة، وجه مجددا النقيب الفريرجان ضد إِدَوْعيشْ فأدركهم في غرة ابريل1905 عند بُوفَـــادُومْ[2] واجتاح مخيماتهم. وفي هذه المعركة قتـــل الـــشيخ بَكّارْ.

حضر الحسين خلال ذلك إلى تجَـــكْـــجَه التي كانت البعثة قـــد وصـــلتها في الثاني من ابريل وادعى أنه مرسل من أَبَكَاكْ وَاَشْرَاتيتْ. وبعد مفاوضات طويلة،

---

[1] أحد أودية تَـكَـانت، يصب في تَلمُورْتَ اَنْغَاجْ في منطقة اَلنِيَكَه. (المترجم).

[2] تواترت الروايات أن الفريرجان كاد أن يرجع لولا إصرار بعض أدلائه من أهل البلاد، على مواصلة السير (المترجم).

قبل الشروط المملاة عليه. لم يكن بإمكاننا اعتبار هذا الخضوع طاعة مخلصة فإدَوْعيشْ لا يريدون إلا ربح الوقت والحصول على إذن بالتموين من النهر.

لم تحضر جماعات[1] بطون إدَوْعيشْ المتعددة للتفاوض معنا منفردة كما كان مقررا واستمروا متكتلين ضدنا حتى قدوم الشريف[2].

لم تكن أخبار آدْرَارْ جيدة: أفادت المعلومات أن القبائل المحاربة في هذه المنطقة قد اتحدت مع أوْلَادْ بَسْبَعْ ومنشقي أَتْرَارْزَه لمقاومتنا. وكتب زعيم آدْرَارْ الشاب، تلميذ الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ، إلى السيد كوبولاني يخبره أنه يتبع سلطان المغرب وسيبقى مسالما لنا ما دمنا مسالمين لمولاه.

كانت البعثة مشلولة لانعدام المؤن الغذائية. ولحسن الحظ، أمكنت مصادرة ثلاثمائة جمل من قوافل الملح القادمة من سبخة الجُلْ، ذهب بها النقيب سيكولي للبحث عن مؤن في ألاَكْ وأبُودُوْر.

وفي نفس الوقت، طلب كوبولاني من حاكم أَلْيورُو أن يبعث له قافلة إلى تيشيتْ التي كان قد عزم على التوجه إليها في انتظار رجوع النقيب سيكولي.

سقط قائد البعثة يوم الثاني عشر مايو تحت ضربات عصابة من المتزمتين[3] وكان شريف من آدْرَارْ قد نجح في تجميع حوالى العشرين من إدَيْشَلّي حوله بحجة

---

[1] جماعة القبيلة أو اجْمَاعَه بالحسانية: المجلس القبلي. (المترجم).

[2] الظاهر أنه قصد مولاي ادريس مبعوث سلطان المغرب عبد العزيز والذي سنراه لاحقا محاولا توحيد قبائل البلاد ضد الفرنسيين. لكنه فشل في ذلك لأسباب عدة منها الثقافي والسياسي ومنها التكتيكي. وقد ضغط الفرنسيون على السلطان عبد العزيز فأمره بالرجوع إلى المغرب. وحسنا فعل، فقد كانت فترة وجوده في البلاد فترة شلل للمقاومة لمحاولاته تجميع قوات كبيرة وخوض حرب نظامية ضد الفرنسيين. (المترجم).

[3] من الجائز الظن أن الأمر لم يكن" من سوء الحظ" بل جزء من خطة المهاجمين. (المترجم).

السفر الى الحوظ. وفي الطريق كشف لهم عن مشروعه قائلا إنه رأى في المنام أن كوبولاني سيموت على يده.

وصلت القوة الصغيرة دون حادث إلى القرب من المعسكر ونجحت في التسلل عبر واحة النخيل حتى مائة متر من المدخل. ولسوء الحظ، لفت أحد سكان القرية يحمل بعض اللبن لرئيس البعثة، انتباه الحارس في هذه اللحظة بالضبط[1].

انتهز الشريف وعصابته هذه الهفوة واندفعوا داخل المعسكر. ألقى الملازمان الأولان شيروي وأتيفان المهاجمين خارج المعسكر خلال دقائق، كما قتل أتيفان الشريف بمسدسه بعد أن تلقى ضربة من سيفه أصابته في رأسه. كلفتنا هذه الغارة أربعة قتلى وعشرة جرحى إضافة إلى السيد كوبولاني الذي قُتل عند بدء العملية.

تولى النقيب الفريرجان قيادة البعثة فنشّط أشغال بناء دفاعات المركز وفرض على الحامية خدمة صارمة للحراسة والدوريات. توالت الاستطلاعات دون توقف حول المركز وأرسلت عيون في الإتجاهات الخطيرة. ولم تكن هذه الإجراءات عبثية، فما إن بلغهم نبأ مقتل كوبولاني حتى شرع أوْلَادْ بَسْبَعْ وأهل آدْرَارْ في الهجوم.

في الثالث من يونيو 1905، استولت عصابة من ثمانين رجلا على نحو ألف رأس من الغنم وهاجمت عريفا وبعض الرماة يجمعون الحشيش على بعد ثمانمائة متر من المركز.

---

[1] هكذا! (المترجم).

أجبر المغيرون على ترك غنائمهم حين طاردهم الملازم الأول دي لافوغيون ومعه أربعة عشر جزائريا وعشرون بيظانيا ولحق بهم عند أشَارِيمْ وأجبرهم على التخلي عن غنائمهم. تاه أربعة جزائريون خلال العودة فماتوا عطشا.

يوم 05 يونيو، حاول ما يناهز العشرين من أوْلَادْ سَلْموْنْ اكتساح سوام إِدَوَعْلِي لكن محاولتهم فشلت بفضل وجود تسعة جزائريين كانوا يحرسون جمال المركز قرب المكان.

وفي نفس اليوم، علمنا أن مجموعات كثيرة يقودها وَلْد عَيْدَه قطعت الْخَطْ[1] متجهة إلى تجَكْجَه.

في الساعة الخامسة من صباح 18 يونيو، جاء النذير من مخيم يبعد أربعمائة متر عن المركز [تجَكْجَه[2]]. أسرع جمالة البيظان إلى لقاء العدو المكون من ثلاثة آلاف رجل[3] منهم ستون من أوْلَادْ بَسْبَعْ لكنهم ردوا بسرعة فأرسل النقيب الفريرجان الملازم الأول دي لافوغييون مع ثمانين من الرماة السينغاليين والجزائريين لتخليصهم.

وحدهم، أوْلَادْ بَسْبَعْ أبدوا مقاومة جدية ولم ينسحبوا إلا أمام صولة بالحراب قام بها الرماة يقودهم المساعد Jouxtel. كانت خسائرنا قتيلا واحدا من جمالة البيظان وجريحين من الرماة. أما العدو فقد خسر تسعة قتلى وعشرة جرحى.

في 24 يونيو، وصل المقدم Capdebosc Montane تجَكْجَه ولاحظ أن الحامية رغم أنواع الحرمان والمشاق التي تحملتها منذ أشهر كثيرة، تتمتع بروح معنوية ممتازة.

---

[1] منطقة بين تِـگـانت وآدرار. (المترجم).
[2] التوضيح من المترجم.
[3] لا ندري مدى دقة الرقم. ولا نظن الكاتب يدري.

لم يكد خبر موت كوبولاني يعرف في أَنْدَرْ حتى عين الوالي العام هذا الضابط السامي الذي كان رئيس أركان قوات إفريقيا الغربية ليتولى قيادة موريتانيا وأمره أن يسرع إلى تِجَكْجَه ويترك فيها وفي الْحُسَيْنِيَّه حاميات كافية ويرجع بباقي البعثة. أما لمسيرة نحو آدْرَارْ فقد أخرت إلى حين.

كان على المفوض الجديد أن يكون همه الأول إيصال المؤن الغذائية إلى تِجَكْجَه التي كادت تفقدها نهائيا وأن ينشيء من العدم مصلحة التموين التي مكنت من احتلال تَكَانْتْ في ظروف طبيعية.

قرر المفوض أن يأخذ معه القافلة التي كانت تتجمع في أَلاَكْ وتتكون حراستها من فصيل خيالة الملازم الأول **Reboul** وفصيل من سرية مَيْتْ.

ظل النقيب سيكولي في بودور لتنظيم التموين. ما إن وصل المقدم إلى تِجَكْجَه حتى ألغى "الأفواه" غير الضرورية فكان الخيالة أول الذاهبين يوم 28 يونيو.

في الخامس يوليو، أعيد فصيل مَيْتْ وتسعون من الرماة إلى الجنوب، بقيادة النقيب افريرجان، الذي كُلِّف باكتتاب ثلاثمائة رام في منطقة خَايْ[1] _ بَامَاكُو مختارين، ما أمكن ذلك، من بين قدامى الرماة؛ للحلول محل الجمالة الذين تشرف عقودهم على الانتهاء أوالذين يريدون التسريح.

في غرة أغسطس، أُمرت فصيلة المدفعية التي توجد إحدى قطعها في الْحُسَيْنِيَّه والأخرى في مَالْ بالتحرك إلى أَنْدَرْ. وبذلك تقلصت حامية تِجَكْجَه إلى مائتي رجل وحامية الْحُسَيْنِيَّه إلى مائة رجل مختارين ضمن أحسن عناصر البعثة.

---

[1] مدينة في غرب جمهورية مالي، تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال وكانت مركزا مهما للتبادل بين سودان المنطقة وما يلامسهم من عرب المناطق الموريتانية المجاورة. (المترجم).

لم يبق، كقوات نظامية، سوى سبعون رجلا من رماة حرس البعثة تم اســتبدالهم في شهر سبتمبر بفصيل من سرية مَيْتْ.

1. أتْرَارْزَه خلال سنة 1905:

كانت حالة هذه المنطقة أبعد من أن تكون مرضية مطلع ســنة 1905. ارتــد سيدِي [وَلْد محمد فَالْ[1]] آخذا معه كثيرا من الأنــصار وواصــل المنــشقون بالتعاون مع أوْلَادْ بَسْبَعْ نهب القبائل الخاضعة لنا بل إنهم هاجموا مفارزنا مــرات عدة.

ليلة 28 يناير، فاجأت مجموعة من أوْلَادْ بَــسْبَعْ وأَتْــرَارْزَه، حراســة بريــد أتْوَاكْشوطْ المكونة من رقيب وعريفين وخمسة عشر رام على بعد نحــو ثلاثــين كلم من المركز. كان الرامي المكلف بالحراسة قد خلــد إلى النــوم في فراشــه فاستطاع البيظان أن يقتلوا أو يجرحوا، عن كثب، عريفين وسبعة رجال كمــا أخذوا بندقيتين.

في 25 يناير، هاجمت نفس العصابة قرب آبار بُوهَمَّاتْ، رقيبا إفريقيا وستة رماة كانوا يشكلون حرس الساقة لإحدى القوافل. نجح الرقيب في دحــر النــهابين لكن أحد الرماة كان بعيدا عــن رفاقه فقتل وأخذ سلاحه.

وفي اليوم التالي، تجمع ثمانون من أوْلَادْ بَسْبَعْ وحاولوا اقتحام معسكر الــملازم الأول Moulney في تِيوَرْوَرْتْ لكن البيظان هربوا بعد اشتباك قصير تــاركين كثيرا من الجمال. ولم تلحق بنا أية خسارة.

---

[1] التوضيح من المترجم.

في شهر فبراير، تقدمت طائفة من أولاد أبْيِيْري كنا قد سلحناها بـ74 بنـادق، داخل منطقة تَازْيَازَتْ لنهب أحياء أَوْلَادْ بَسْبَعْ فأبيدوا كلهم تقريبا وانتقلـت الأسلحة المعارة إلى أيدي الأعداء.

في تلك الأثناء، أراد احمد سالم التقرب منا وطلب من الشيخ سـيديا[بـاَبَ][1] تسهيل ذلك التفاهم. وفي ابريل حضر إلى بُوتِلِمِيتْ وأعلن طاعته لكنه قُتل بعد أيام من ذلك عند آبار اَلْوَاكَلْ على أيدي اثنين من أقارب سيدي ولد ابـراهيم السالم وهو ابن عم احمد سالم ومنافسه ولكن سيدي تنصّل من مقتل منافسه ولجأ مع أسرة ابن عمه المقتول إلى مركز Biack ثم أعلن طاعته لنا في بُوتِلِمِيتْ.

كان المدعيان للإمارة قد حاولا استئناف الصراع على أرضنا فحددت إقامـة أحدهما قرب اَخْرُوفَه والآخر قرب بُوتِلِمِيتْ وعادت السكينة إلى اَتْرَارْزَه طوال الأشهر المتبقية من السنة. لكن سِيدِي النشق مرة أخرى مطلع 1906.

نعمت لَبْرَاكْنَه وگُـرْگَلْ بهدوء شبه متصل طوال السنة كلها.

2. تنظيم موريتانيا في دجنبر1905:

هذا التنظيم في حقيقته إعادة تنظيم للمناطق المحتلة وتمثل في:

- تخفيض عدد المناطق وتسميتها بالدوائر: قسمت موريتانيا إلى أربع دوائـر: اَتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه وگُـورْگُـولْ وتَـگَـانْتْ وإقامـة مـستقلة في گِـيدِي مَاغَا.

---

1 التوضيح من المترجم.

- إنشاء خطوط المراحل: أعيد احتلال مركز سَهْوَة الْمَاء واَخرُوفَـه لتعليـم الطرق بين اَيـوُدُورْ وبُوتلميتْ واَلواَكْشُوطْ، كما أنشئ مركـزا گـيم وأگـيَرْتْ بين آلاگْ والْمَجْرِيَه.
- تنظيم القوات غير النظامية: اكتتب الجمالة بعناية ودربوا وأطرهم ضـباط وضباط صف أوروبيون كما خفض عددهم من 700 إلى 400 رجل.

- إنشاء وحدات محمولة على الجمال: تقرر تشكيل فصيلي جمالة أحـدهما في اَتْرَارْزَه والثاني في تَـگـاَنتْ. وبفضل الخبرة الكبيرة التي كان يتمتع بها في هذا المجال السيد **Thevniaud** حاكم دائرة اَتْرَارْزَه، أعطى الفصيل المحول إلى هذه المنطقة نتائج ممتازة وسريعة بينما لم يوجد فصيل تَـگـاَنتْ إلا بالإسم فقط.

اكملت هذه الإجراءات في يناير 1906بوضـع ترتيب جديد للقوات النظاميـة وكانت مواقع هذه القوات وحرس المناطق كالتالي:

<u>دائرة آتْرَارْزَه:</u>

- المركز: اَخرُوفَه.
- حرس المناطق: أربعة وثلاثون رجلا.
- الجمالة: (أربعة وخمسون من حرس المناطق البيظان).
- بُوتلميتْ: السرية السابعة من الكتيبة السنغالية الأولى.
- سَهْوَةْ الْمَاء: عشرون من حرس المناطق.
- اَلْواَكْشُوطْ: ستة وعشرون من حرس المناطق.

ـ دائرة لبْراكْنه:

- المركز: أَلَاگْ: فصيل من السرية الأولى من الكتيبة السنغالية الأولى (السرية 14 سابقا) بقيادة ملازم أول. الفصيل الثاني في اَبِّ وذُورْ ويتبع للسنغال.
- الرَّقْـبَه: فصيل خيالة يقوده ملازم أول.
- بُـگـّـه: سبعة من حرس المناطق.
- گــيمِ: واحد وثلاثون من حرس المناطق.
- أَگَـــيَرْتْ: أربعة وأربعون من حرس المناطق.
- مَالْ: ثمانية وثلاثون من حرس المناطق.
- مَيْتْ: ثلاثة عشر من حرس المناطق.

ـ دائرة گُرْگَلْ:

- المركز: كَيْهَيْدِي: فصيل من السرية الخامسة (السرية العاشرة سابقا) من الكتيبة السنغالية الأولى مع النقيب قائد السرية.
- اَمْبوُدْ: الفصيل الآخر من السرية الخامسة بقيادة ملازم أول.

ـ دائرة تـگـانتْ:

- المركز: تجَـگْـــجَه: السرية السادسة من الكتيبة السينغالية الأولى.
- الْمَجْرِيَّه: أربعة وخمسون من حرس المناطق.

- إقامة[1] كيدي ماغا:

- المركز: سيلبابي: اثنان وثلاثون رجلا من حرس المناطق.
- مصلحة التموين في أيـــودور وبـــكـــه: مـــلازم أول و32 مـــن حـــرس المناطق.

في شهر مايو 1906 أنشئت إقامة مستقلة ثانية في دخلة ألواذيـــو وأرســـل إلى مركز Conoado[2] فصيل من السرية الأولى مـــن الكتيبـــة الـــسنغالية الأولى ليكون حامية فيه.

[1] في الأصل : Résidence.

[2] الأرجح أنها كنصادو أو كاصادو ولكن الراقن صحف. (المترجم).

القسم السادس

سنة 1906: قدوم الشريف مولاي إدريس – معركة النِّيمْلاَنْ – حصار تِجَــگــْجَه – رتل Michard – رتلArnould واحتلال كِيفَه – معركة عَــۆلَةْ النَّعْجَه.

1: قدوم الشريف مولاي إدريس:

كانت الأحداث البارزة خلال سنة 1906 هي تحشد المنشقين في آدْرَارْ ووصول الشريف مولاي إدريس إلى هذه المنطقة مبعوثا من سلطان المغــرب ومحاولتــه الاستيلاء على بلاد البيظان والنتائج الخطيرة المترتبة على هذا العمل السيادي.

منذ السنة المنصرمة، كانت القبائل محل دعاية خفية من مبعوثي مَاء الْعَيْنِينْ الذين جابو أحياء تَــگــاَنتْ وَأَرْۆَــيِّه والْحَوْظْ وحتى الأحيــاء المنظمــة إداريــا الموجودة في مناطق اَتْرَارْزَه ولَبْرَاكْنَه وگــُورْگــُولْ ، داعين إلى الحرب المقدسة ومتعهدين بتقديم المساعدات من الأسلحة والذخائر وبدعم سلطان المغرب.

لجأ إلى آدْرَارْ أكثر الزعماء السابقين مثل سِيدِي ولد مُحمد فَاَلْ واحْمَدُو ولــد سِيدَ اَعْلِ وعثمان ولد بَكَّارْ والمختاروممحمد المختار ولد حاَمَدْ.

في شهر مارس، توجه ركب يضم ممثلين عن كل المناطق برئاسة وَلْد عَيْدَّه[الأمير سِيدَ احْمَدْ أمير آدْرَارْ[1]] إلى اَصْمَارَه وعرضوا مطالبهم أمــام مبعــوث مــن السلطان.

[1] التوضيح من المترجم.

في مايو، وصل الشريف مولاي إدريس إلى آدْرَارْ، قائلا إنه مكلف من سلطان المغرب بطرد الفرنسيين من بلاد البيظان التي تجب إعادتها إلى سلطة حكامها الشرعيين.

اصطدم الشريف بالمنافسات والصراعات الدائمة بين أوْلَادْ بَسْبَعْ وَارْقَـيْبَاتْ وأولاد غَيْلان؛ لكنه وطيلة عدة أشهر، جد في إخماد هذه النزاعات وفي جمع كل القبائل تحت سلطته. لم يكن نجاحه إلا جزئيا ولم يتبعه وَلْد عَيْدَّه ولا قومه حين زحف إلى تَـكَـانْتْ.

مضى الفصلان الأولان من السنة دون حوادث. ظل إدَوْعِيشْ في اَرْقَـيَبَه ولم يقوموا بأيـة أعمال معادية لكن جماعات (مجالس الشورى) بطـونهم رفـضت الحضور إلى تجَـگْـجَه كما أحجموا حتى عن المجيء لجني تمورهم.

خلال الفصل الثالث، جابت عصابتان منطقة لَبْرَاكْنَه وكان يقود إحداهما وَلْـد عَسَّاسْ ابن احْمَدُّو ويقود الثانية عثمان وَلْد بكار. طردت مفرزة مـن حـرس المناطق العصابة الأولى بين أگَـيَرْتْ والْمَجْرِيَه بينما لاحق بعـض الأصـدقاء البيظان الثانية وطردوها.

في سبتمبر، تجمع إدَوْعِيشْ في جنوب تَـگَـانْتْ، أما قبائل الجنوب والجنـوب الشرقي فقد اصطفت قرب الحاجز الجبلي الذي يشكل حـدود المنطقـة مـع آفْطُوطْ وأرْقَـيَبَه.

بدت قبائل أهل سيدي محمود والرُّغْيَانْ واَسْوَاكَرْ ومَشْظُوفْ ولَغْلَالْ معادية أما تَجَكَانَتْ ومَسُّومَه وإدَيْشَسَاتْ فلم تكن توحي بأية شبهة. ورغم ذلـك، فقـد أظهرت الأحداث التالية أن هذه القبائل ما اقتربت مـن تجَـگْـجَه إلا للالتحاق بالشريف.

في نهاية هذا الشهر، جاء مولاي إدريس إلى عيْنْ كَشْلَه واستقر فيها ثم بعث رسالة إلى حاكم دائرة تـگـأَتْ طالبا منه إخلاء المنطقة. وكان الشريف قد نجح في أن يجمع حوله بعضا من أوْلَادْ بَسْبَعْ وإدَوْعيشْ ومَشْظُوفْ ولَعْلَالْ وإدَيْسَاتْ. وفي الأيام الأولى من اكتوبر، تحول الشريف بمعسكره إلى اَقْلَمْبيتْ. أرسل النقيب Tissot الملازمين الأولين Andrieux وde Franssu في مهمة استطلاع لجمع معلومات عن قوة وتكوين معسكر الشريف دون التماس معه وخصوصا دون الاشتباك معه. رجعت المفرزة إلى تِجَگْجَه بعد إكمال مهمتها.

2. معركة النيملان:

على إثر هذه التطورات، جاء مولاي إدريس وعسكر في النَّيمْلاَنْ قاطعا بذلك خطوط مواصلات المركز مع الْمَجْرِيَّه والسنغال. ولم نكن نستطيع ترك هذا التجمع يستمر، خصوصا وأن عدم قيامنا بأي عمل كان بلا شك سيتركه يزداد أكثر. سير النقيب تيسو مساء 24 اكتوبر مفرزة يقودها الملازمان الأولان آندري وديْ فرانسو ومكونة من رقيين أوربيين وستين رام وثمانية من جمالة البيظان.

كان على الملازم الأول آندري، أن يهاجم معسكر الشريف مع طلوع النهار وقد أُمر إن لم تمكنه مفاجئة العدو أن ينسحب في أسرع وقت إلى المركز لأن حراسته تأتي في المقام الأول.

أضلَّ الدليلُ المفرزةَ أثناء الليل فلم تصل إلى النيملان إلا في السابعة صباحا. ورغم ذلك، قرر الملازم الأول آندري الهجوم والقتال بكل قوة. إلا أن مولاي إدريس كان قد أنذره بعض إدَوَعْلِي تِجَگْجَه بقدوم المفرزة فنصب ها

كمينا حقيقيا. ورغم صولات كثيرة بالحراب، لم تستطع المفرزة، وقد تم تطويقها منذ بداية الاشتباك، بلوغ معسكر الشريف.

وبعد أن سقط الملازم الأول آندري[5] والرقيبان فيليب وFleurette وقتل أو جرح نصف الرماة وكادت الذخائر تنفذ، أمر الملازم الأول افرانسو، وهو جريح، بالانسحاب.

كان الانسحاب يجري بنظام أمام عدو أصبح أقل شراسة لما تكبده من خسائر كبيرة، حين حاصر محمد المختار ولد حامَدْ وكَتّته المسلحون ببنادق الكارابين التي كنا قد أعرناهم إياها، الأحياء المتبقين من المفرزة فقتلوا الملازم الأول افرانسو وأكملوا هزيمة الرماة الذين نجحوا رغم ذلك في الوصول إلى المركز جماعات صغيرة متفرقة.

كلفنا هذا الاشتباك أربعة أوروبيين وخمسة عشر رام كما جرح خمسة وعشرون آخرون. أما العدو فقد خسر أكثر من مائة رجل.

3. حصار تِجَگْجَه:

في يوم السادس نوفمبر 1906، ضرب مولاي إدريس الحصار على تِجَگْجَه. وقد رأى سريعا وحدات قادمة من كل أنحاء موريتانيا تتجمع حوله حتى أصبح ممكنا تقدير المحاصرين للمركز بثلاثة آلاف رجل مع نهاية الشهر.

كانت حامية المركز من الأوروبيين لا تكاد تضم ثمانين راميا سليما. ولم يكن لدى النقيب تيسو من الأوروبيين إلا ضابطا صف والطبيب المساعد Commeleran وأمين شؤون السكان المحليين Daireaux.

ورغم ذلك، ظلت الروح المعنوية في الحامية ممتازة وشـارك هـذان السـيدان كملران وديرو بحيوية وكلفا خصوصا بالرشاشين اللذين كانا يحميان الواجهتين الشمالية والجنوبية للمركز.

هاجم الشريف يوم 14 نوفمبر 1906، بقوات مقسمة إلى ثلاثة أرتال سـقط الأول منها تحت نيران مدفع رشاش وخسر خمسين رجلا قبل أن يستمكن مـن إطلاق رصاصة واحـدة وتشتت أما الثاني فانسحب بعد أن قتل منه ثلاثـة بينما رفض الثالث التقدم.

لم يثبط هذا الفشل مولاي إدريس. وكان يعد هجوما جديدا لما علم بقدوم رتل النجدة في 30 نوفمبر فانسحب إلى الرَّشِيدْ على بعد أربعين كيلومترا شمال تِجَـگْـجَه. دام الحصار 24 يوما، خسر خلالها العدو تسعة وستين قتيلا وستة وسبعين جريحا.

4. رتل ميشار Michard :

غادر العقيد ميشار أَلَدَرْ يوم 04 نوفمبر بثلاث سرايا يقودها النقباء: Devaux وGianfarani وTalpomba. وفي 02 دجمبر وصل إلى تِجَـگْـجَه بعـد سلسلة من المسيرات المرهقة في مناخ بارد ودائم المطر.

في انتظار وصول المقدم مونتان كابدبوسك تركت القوات تستريح. لم يستأنف العقيد المسير إلا في 19 دجمبر وحاول بلوغ الشريف الموجود شمال الرشيد لكن هذا السحب إلى آدْرَارْ دون أن يجرأ على مواجهة قواتنا.

5. رتل Arnould واحتلال كيفه :

بينما كان رتل النجدة يتجه إلى تِجَـگْـجَه، كان الرائد آرنولد يزحف مـن أَلْيورْ بسرية من رماة الكتيبة السنغالية الثانية وستين جمالا، إلى كِيفَه وهي نقطة

مياه مهمة توجد في أَرْقَـيَّه[1] على بعد ثمانية أيام جنوب شرقي تِجَـكْـجَه. وكان هدف هذه العملية أن تمنع، إذا استطاعت، قبائل أَرْقَـيَّه من الانـضمام إلى الشريف.

وصل الرائـد آرنولد دون مصاعب إلى كِيفَه في الأيام الأولى من دجمبر.

6. معركة عَـقْلَةْ التَّعْجَه (اَتْرَارْزَه) :

في اكتوبر 1906، تمركز بعض أَوْلَادْ بَسْبَعْ وأولاد اَدْلَيْمْ وبعض مـن منـشقي لَعْلَبْ، في منطقة عَـقْلَةْ التَّعْجَه وشنوا عدة غارات في اَتْرَارْزَه. ولوضـع حـد لنهبهم، أُرسلت للبحث عنهم مفرزة بقيادة الملازم الأول Berger، تكونت من:

- 16 حرسيا من فصيلة الجمالة المتمركزة في اَخْرُوفَه.
- 15 جمالا من البيظان.
- 18 من الرماة المتمركزين في بُوتِلِميتْ تم إركابهم على جمال.
- 63 نصيرا من أولاد أَبْيَيْرِي.

اصطدمت هذه القوة يوم 10 نوفمبر بـأَوْلَادْ بَسْبَعْ ولَعْلَبْ. خسر العدو خلال المعركة ثلاثة عشر قتيلا وسبعة وعشرين جريحا ثم هرب متخليا عـن مخيمـه وتاركا بين أيدينا ثمانين جملا. أما خسائرنا فكانت قتيلين وأربعة جرحى.

---

[1] براء ساكنة مرققة. (المترجم).

القسم السابع

أحداث سنة 1907

الحالة العامة –التنظيم العسكري والترابي– الأحداث العسكرية.

1. الحالة العامة:

لم يصمد التجمع الذي تكون حول الشريف مولاي إدريس، خصوصا بعد معركة النِّيمْلاَنْ، أمام الفشل الذي أصابه عند تجَكْجَه. لجأ المنشقون إلى آدْرَارْ لكن اتفاقهم مع قبائل هذه المنطقة لم يدم طويلا؛ ثم أقنعتهم المجاعة خاصة، رويدا رويدا، بالرجوع إلى ميادين ظعنهم المعتادة إما بتقديم طاعتهم إلينا مباشرة أو بالتسرب داخل المجموعات التي سبق أن خضعت لنا.[1]

وبهذه الطريقة، طلب جل إِدَوْعِيشْ وكُنْته وأهل سيدِي محمود الأمان قبل نهاية السنة وحصلوا عليه. أما الألداء من أعدائنا فقد ظلوا وحدهم في آدْرَارْ منتظرين الإمدادات التي وعدهم بها ماء العينين.

في شهر أغسطس، تبرأ عبد العزيز[2] من مولاي إدريس واستدعاه، نتيجة لجهودنا الدبلوماسية. وعندئذ، أرسل المنشقون ووَلْد عَيْدَّه سفارة إلى [الشيخ][3] مَاء الْعَيْنِينْ الذي قادهم إلى فاس ليتمكن البيظان أنفسهم من الدفاع عن قضيتهم أمام السلطان.

---

[1] تشير وثيقة بحوزتنا إلى أن قبائل الجنوب التي لجأت إلى آدرار بعد معركة النيملان وحصار تجكجه لم تتمكن من التعايش مع أهل المنطقة، حيث يذكر أن أهل آدرار قتلوا محمد ولد المختار ولد اسويد احمد أحد أعيان أبكاك ورجلا آخر من أولاد اعلي التونفه من اشراتيت. انظر الملحق رقم 3.

[2] السلطان عبد العزيز بن الحسن حكم المغرب بين سنتي 1894 و1908. (المترجم).

[3] الإضافة من المترجم.

خلال كامل السنة، جابت عصابات كثيرة مناطق اَتْرَارْزَه وتكانتْ وآفْطُــوطْ وگُورْگُولْ. وإذا كان المنشقون يجتاحون كل ما يجدونـــه وينـــهبون القـــرى السودانية في شَمَامَه بلا هوادة، فإن زيارات هذه العصابات للمخيمات أشبهت عمليات جمع الضرائب أكثر مما كانت أعمال نهب صرف. ولم يكن رجال هذه العصابات يأخذون المواشي والعبيد إلا إذا رفض الضحايا تسليمهم قطع القماش التي يطلبونها.

وكانت هذه العصابات مطمئنة إلى تواطؤ أكثر القبائل الخاضعة لنا والتي دأبت على إبلاغنـــا عنها متأخرة وبصورة سيئة وذلك لشكوك تلك القبائل حـــول المستقبل وخوفها من الأعمال الانتقامية وأحيانا بسبب مصلحة لها في ذلك.

رغم ذلك فقد انتهت السنة بهدوء شبه مطلق بينما تنتظـــر القبائـــل رجـــوع السفارة من المغرب[1]. ويمكن أن يوهمنا هذا الهدوء وهذه السلبية مـــن طـــرف البيظان أن فترة المقاومة الصريحة قد انتهت وأن آدْرَارْ أصبح ثمرة يانعة تقطـــف دون مجهود.

---

[1] تقدر وثيقة فرنسية رسمية مؤرخة ب21 مارس 1908 أن السفارة عادت من مهمتها تلك ب600 بندقية على الأكثر وببعض الذخائر. الوثيقة لدينا. (المترجم). وتشير وثيقة أخرى إلى أن هذه الكمية لم ترض المقاومين وأنهم لم ينالوا التجاوب الذي كانوا يطمحون إليه من السلطان. انظر الملحق رقم 3. وهو ما يؤكده قول الشاعر الشعبي سنين ولد أمقاري أحد المجاهدين من أهل آدرار حيث قال في طلعة له مطلعها:

لحـّق لـي لمـغنّ بيـظان * الـقبلـه واتـراب السـودان

بن اظمين احيَ بن عثمان * ما قط اسع كون اف لصلاح

إلى أن يقول:

وبِرْتْ العِدّه من عند السُّلطان *والجيش ولا طان مطراح.

انظر:

د. محمد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، كتاب تحت النشر، قدّم لجائزة شنقيط. ص 174.

2. التنظيم العسكري والترابي.

تعزز التنظيم العسكري وتحسن على مستوى القوات النظامية كما على مستوى قوات الشرطة؛ فقد زيد حجم القوات النظامية إلى ثلاث سرايا ونصف من الرماة وفصيلتين من الرشاشات وفصيل خيالة وقطعة هاون 80 جبلي.

وفي دجمبر سنة 1907 شُكّلت كتيبة موريتانيا بسريتي تَـگـانَتْ ثم أضيفت لهما، في سنة 1908، سريتان ثم ثلاث سرايا وفصيلة مدفعية. كما شكلت ثلاث فصائل جمالة ملحقة بسرية اَتْرَارْزَه (بُوتلميتْ) وبسريتي تَـگـانَتْ (الْمَجْرِيَّه، تَـگـانَتْ) طبقا للأمر العام رقم 63 بتاريخ 15 دجمبر 1906. وكانت فصيلة السرية السابعة قد شرع في تنظيمها ورأيناها تشارك بشكل ملموس في معركة عَكْلَةْ النَّعْجَه.

لم نقم بأي عمل تقريبا في تَـگـانَتْ حتى وصول النقيب Mangin ولم تشكل الفصيلتان إلا في إبريل 1908.

لم تعد قوات الشرطة تشمل حرس المناطق بل أصبحت تتكون من رماة خارج الإطار مشكلين في ألوية ومن فصيل خيالة خارج الإطار أيضا بالإضافة إلى فصيلتين من الجمالة. وكان من المفترض تشكيل فصيل ثالث في لَبْرَاكْنَه لكن ذلك لم يتم إلا في بداية 1908 ولم يعمر الفصيل طويلا لأن مناخ هذه المنطقة لا يلائم الإبل.

ألغيت حاميات سَهْوَةْ الْمَاءَ واَخْرُوفَه ومَيْتْ. أقيم مركزان جديدان أحدهما بالمذرذره في اَتْرَارْزَه الجنوبية والثاني في اَگْـجَوْجَتْ بإِينْشِيرِي. وأصبح هنا الفصيل قاعدة لفصيلة جمالة السرية السابعة التي سيزيد مدى عملها إلى الشمال بصفة استثنائية.

وكنا نعول على مركز أكجوجت في تطوير عملنا السياسي في آدْرَارْ وأن يكون قاعدة لنا حين يتم تقرير احتلال هذه المنطقة.

في نوفمبر [1908][1]، تولى العقيد **Gouraud** قيادة موريتانيا.

3. الحوادث العسكرية.

ظلت الحالة ممتازة على المستوى العسكري طوال السنة فمفارزنا تتفوق على العدو في كل مكان. ولكن هذه الانتصارات السهلة التي حققناها ملأتنا ثقة زائدة عن الحد واحتقارا لأعدائنا سيكونان أحد الأسباب الرئيسية لإخفاقاتنا سنة 1908.

1. اَتْرَارْزَه:

- خلال النصف الثاني من شهر فبراير، طارد الملازم الأول **Schmitt** مع جمّالة من السرية السابعة، مفرزة كانت قد حرقت قرية مَاقَ، وأدركها عند أغْبَوِيتْ. خسر البيظان في هذا الاشتباك سبعة قتلى وأربعة عشر جملا وثماني بنادق .
- في نفس الفترة، فاجأت مفرزة من فصيل الخدمات المحلية، يقودها الملازم الأول **Gouspy** مفرزة معادية أخرى عند كَنْدَلَكْ وقتلت منها ثلاثة رجال.
- في شهر مارس، لاحق الرقيب **Labobd**[2]، عصابة من لَغْلَبْ كانت قد استاقت ما يناهز مائة ناقة لتجَكَانَتْ سَهْوَةْ الْمَاء وقتل منها رجلين وأسر ثلاثة واستعاد المواشي المسروقة.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] لعل الأصح هو **Laborde** (المترجم).

- خلال شهر إبريل، طارد الملازم الأول اشميت مع سبعة عشر رجل، "عصابة" كانت قد اكتسحت قطيعا من الغنم عند بُوتِلمِيتْ وأجبرها على التخلي عن غنائمها.

- بعد استيلاء العدو على نحو أربعين جمل من تشكيلات الجمالة قرب اَخْرُوفَه، لاحق الملازمان الأولان اشميت وگوسبي النهابين حتى اَلْوَيْزْكْتْ[1] قاتلين اثنين منهم ومسترجعين أكثر المواشي المسروقة.

- في الثالث من يوليو، اصطدم الملازم الأول Labonne الذي ذهب بثلاثين جمالا من بُوتِلمِيتْ للانضمام إلى الملازم الأول اشميت، بغزو من أوْلَادْ بَسْبَعْ في آكْشَارْ فقتل منه ثمانية رجال وغنم ثمانية جمال.

- في اليوم التالي لهذا الحادث، هاجم لابون غزيا يبلغ نحو ثمانين رجلا من أوْلَادْ بَسْبَعْ وأولاد اَدْلَيْمْ عند آبار بُوفْـَطارَه. وبعد قتال دام ما يقارب الست ساعات، هرب العدو تاركا ست عشرة جثة وسبعة بنادق وستة جمال. خسرنا قتيلا واحدا من الرماة وجريحين كما نفقت سبعة من جمالنا.

- في غرة سبتمبر، أدرك الملازم الأول اشميت، في أَگَـنِّي أَمْ اَبْحَرْ، عصابة من ثلاثة عشر منشق استطاعوا الهرب مستترين بالنباتات التي تغطي المنطقة وإنْ قتل قائدهم. وبقيت بين أيدينا ستة جمال وبندقيتان.

- يوم 21 من نفس الشهر، التقت دورية من ثلاثة رجال يقودهم رقيب الحرس الجيلالي، سبعة من أوْلَادْ بَسْبَعْ عند آبار تَنْ بابَ. هاجم الرقيب

---

[1] بير على بعد 190 كلم شمال انواكشوط. (المترجم).

الجيلالي العصابة وأجبرها على الفرار مستوليا على تسع وتسعين بقـــرة وثمانين شاة وعشرين حمارا وبعض العبيد.

2. لَـــبْرَاكْـــنَـــه:

لما كانت هذه المنطقة لا تتوفر على وحدات جمالة، فقد حول فصيل خيالـــة الرَّقْـــبَه[1] إلى بُـــگـــه أولا ثم إلى أَگَـــيَرْتْ لمطاردة عصابات وَلْد عَـــسَّاسْ ابن الأمير السابق وعصابات بكار ولد اَحْمَيَّادَه زعيم أولاد نَغْمَاشْ المنـــشق. إلا أن النهابين، في لَبْرَاكْنَه، ظلوا يجدون تواطؤا في كل مكان كما أن القبائل ظلت تزودنا بالمعلومات بصفة سيئة بل وحتى إنها ساعدت أعـــدائنا علـــى الهروب.

ورغم ذلك، نجح الملازم الأول **Corrard Des Essarts** يـــوم 26 فبراير في مفاجأة وَلْد عَسَّاسْ وعصابته قرب أضاة سَرَكْ فبقي وَلْد عَـــسَّاسْ وواحد وثلاثون من البيظان على ميدان المعركة بينما لم تتجاوز خسائرنا جرح رقيب وخيال واحد.

يمكننا القول إن هذا كان النجاح الوحيد الذي حقـــق في لَبْرَاكْنَـــه خـــلال المطاردات الكثيرة التي نفذها الرماة والخيالة. نجا بكار [ولد احمَّيادَه][2] مـــن كل المطاردات حتى اغتاله أحد رجاله في 31 دجمبر في شَـــقَـــارْ وبـــادر القسم الأكبر من عصابته إلى إعلان ولائهم.

---

[1] براء مرققة. (المترجم).
[2] التوضيح من المترجم.

3. تَـگــــاَنـــتْ:

تمثل النشاط العسكري بهذه المنطقة،خصوصا، في حراسة القوافل والبرد وقد منع انعدام الجمالة من مطاردة مفارز العدو التي ظلت تتجول بكل أمان.

في شهر يوليو، احتلت مفرزة من ثمانين رام يقودهم المــلازم الأول دوفــور واحة الرشيد لمنع المنشقين من جني تمورهم ولتتولي المفرزة ذلك..

4. گــورگـــل.

تجمعت قبائل هذه المنطقة ونجحت في حماية نفسها ضد النهابين. قتـــل أولاد ابراهيم خلال اشتباك، خمسة إِدَوْعِيشْ واسترجعوا قطعاهم التي كان هــؤلاء قد استولوا عليها. ألحق أولاد الطلابه[1] وأولاد غيلان هزيمة كبيرة بغزي من أَوْلَادْ بَسْبَّعْ وقتلوا ثلاثين من رجاله.

5. گيديماغا.

بسبب بعض الحوادث الخطيرة في المنطقة (محاولة تسميم حـــاكم الـــدائرة وحامية سيلبابي) ولتهدئة حالة الغليان التي ظهرت في ســـوننكه، تم إرســـال النقيب **Repoux** قائد السرية الخامسة من الكتيبة السنغالية الأولى وحاكم دائرة گـــُرْگوُلْ إلى سِيلِبَابِي مع أربعين من الرماة فوضع وصول هذه القـــوة حدا لتلك البلبلة[2].

---

[1] لعله قصد أولاد طلحه فصحف. ولعله قصد قبيلة أخرى غير أولاد غيلان فلا يعلم لهم وجود في هذه المنطقة في هذا الوقت المبكر من القرن العشرين. مع أن قبائل البيظان متداخلة ومتساكنة منذ قديم (المترجم).

[2] لمزيد من التفاصيل عن حوادث التسميم هذه انظر المقدمة.

لا يمكن لهذا الملخص أن يعطي فكرة كاملة عن النشاط الذي بذلته القـــوات النظامية وقوات الشرطة. مكنت استطلاعات كثيرة جدا، من وضع خريطـــة كاملة للبلاد سهلت لمفارزنا ما تقوم به من مهمات وانتزعت من النهابين أحد أهم عناصر الأمن، الذي كانوا يتمتعون به.

القسم الثامن

أحداث سنة 1908:

هجوم التلاميذ وقبائل آدْرَارْ والمنشقين:

أم لعويتـــقـــات– اللبه– يغرف– اَغْـــگَـــيْلَةْ الوَّقْـــبَه– دَمَانْ[1]– اَگْـــجَوْجَتْ– اَمْخَيْتِزَاتْ تَمَادي– قافلة Bérger– رتل النقيب الفريوجان– فصيل Solère –لَـــگْـــوَيْشِيشِي– اَلْوَاذِيئُو– اَلْمَيْنَانْ– تَالْمَسْتْ– آرْزَالْ والرشيد– اَلْعَزْلاَتْ– لَتْفَتَارْ– خط التلغراف.

أولا

هجوم اَلْتلاَميذْ وقبائل آدْرَارْ والمنشقين في إينْشِيرِي وأَتْرَارْزَه وَاَلْوَاذِيئُو.

هذه أكثر فترات احتلالنا ضررا لنا، لما تكبدناه خلالها من خسائر كثيرة ومؤلمة. ورغم أن الشهرين الأولين من السنة مضيا بهدوء إلا أن عودة الـــسفارة مـــن المغرب إلى آدْرَارْ مزودة بأسلحة سريعة الرمي ترافقها عصابة من تلاميذ الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ، قد بدلت تماما، الحالة السياسية والعسكرية.

تولى الشيخ حَسَنَّه ابن شيخ السَّاقْيه الْحَمْرَه القيادة الفعلية للـــصراع فـــأظهر ذكاء وعنادا غير عاديين. وبينما كانت غزيان لا تحصى تجوب المناطق التي نحتلها وتجهد في الاستيلاء على كل دواب الحمل، كانت مجموعات مؤلفة أساسا مـــن التلاميذ تهاجم مفارزنا. وبفضل تسليحهم والانضباط الذي يفرضـــونه علـــى أنفسهم وكذلك –ولِتَقُلْهَا–، بفضل شجاعتهم الحقيقية، نجحوا في أن يسببوا لنا

---

[1] بئر قريبة الماء وحولها سهل يزرع في سنوات السيل. على بعد حوالي 80 كلم إلى الجنوب الشرقي من اَكْـجَوْجَتْ. وهناك موضع آخر بنفس الاسم في الحوض الشرقي وقعت عند إحدى معارك المقاومة. (المترجم).

إخفاقات[1] دامية. وكانت الأهداف الرئيسية لهجمات هؤلاء التلاميذ مركز أَكْجَوْجَتْ وفصائل جمالة النقيب مالجين التي تهدد مباشرة آدْرَارْ.

أخلينا أَكْجَوْجَتْ بسبب السكوربوت لكن التلاميذ ادعوا ذلك نجاحا لهم. كما شلوا في المَيْنَانْ وتَالْمَسْتْ جمالة تَكَانْتْ لمدة شهور كثيرة.

1. أم لَعْوَيْتْفَاتْ:

كان مركز أَكْجَوْجَتْ الذي يقوده النقيب رَيُّو يشغله القسم الأكبر من السرية السابعة من الكتيبة السنغالية الأولى. بينما بقيت مفرزة من هذه االسرية حامية في انواكشوط.

أما فصيلة جمالة هذه الوحدة بقيادة الملازم الأول اشميت فكانت آنذاك تنتجع في إينْشِيرِي وتقوم بسلسلة من الاستطلاعات غرب آدْرَارْ بل وفي عمقه.

وفي 19 يناير 1908، وبينما كان مكلفا باستطلاع لتحديد أقصر الطرق بين أَكْجَوْجَتْ وأَلْوَاذِيُو، اشتبك الملازم الأول اشميت عند آبار أَمْ لَعْوَيْتْفَاتْ في تَأَزْيَازَتْ مع عصابة من خمسة وعشرين من أولاد آكْشَارْ وأولاد اللَّبْ[2] فقتل منهم أربعة رجال وسلبهم سبعة جمال وستة بنادق.

2. اللَّبَّه.

في 9 و10 فبراير، اكتسح النقيب ريو، الذي كان في جولة في آدْرَارْ، عند اللَّبَّه وكَبَّيرَاتْ أحياء من أهل الحاج وأهل اَعْمَرْ أَكَدَيْجَه فقتل منهم رجلين وسلبهم اثني عشر جملا وثلاثة وثمانين حمارا وتسعمائة شاة وخمسين ومائتين من البقر وعشر بنادق.

---

[1] يتفادى الكاتب استخدام "هزيمة" ويعوضها ب"إخفاق" أو "فشل" كلما تعلق الأمر بهزيمة أو ضربة قاسية يتعرض لها أصحابه. (المترجم).

[2] بلام مغلظة. (المترجم).

3. اَفْــرارَتْ لَفْرَصْ:

وفي الأيام الأولى من مارس فاجأ نفس الضابط حيا من إدَيْشَلّي عند اَفْـــرارَةْ لَفْرَصْ فقتل منه عشرة رجال.

4. اعــقيلة الرقبه:

لم يكد النقيب رَيــّو يرجع إلى المركز بعد هذه العملية حتى علم أن وَلْد عَيْــنّه يجمع قواته ليهاجم اَكْــجَوْجَتْ فقرر التحرك إلى يغرف لمعاقبة إدَيْشَلّي الذين يأتون باستمرار للتجسس علينا وليتصدي للتجمع الذي يعده ســلطان آدْرَارْ وليفرقه عند الضرورة.

في الثاني عشر [مارس][1]، انطلق [النقيب ريــّو][2] بالملازم الأول اشميت ورقيبين أوربيين وثمانية وعشرين من الرماة واثني عشر جمالا. تجمعت قوة الاستطلاع في اَعْــقَــيْلَةْ الرَّقْــبَه يوم 16 مارس 1908.

رجع الملازم الأول اشميت من دورية على تمام الساعة الواحدة والربـــع بعــد الزوال وكان العدو يتبعه عن قرب. بدأ الهجوم عند الثانية والنــصف ظهــرا بقيادة وَلْد عَيْنّه وسِيدِي مدعي إمــارة اَدْرَارْزَه ومعهما ما يناهز المائتي رجل.

بعد ساعتين من قتال شديد ومتــــقارب، أربك رجـــوع العريـــف موســـى كُولِيبَالِي وبعض الرماة الذين كانوا قد ذهبوا للبحث عن حيوانـــات ضــالة، البيظان فاستفاد الملازم الأول اشميت من ذلك وأثار الرماة فتمكن من إجبـــار العدو على الهرب. ترك العدو اثني عشرة جثة في ميدان المعركة. كلف النصر ثمنا باهظا. قُتِل النقيب ريــّو وراميان وجرح الملازم الأول اشميت ورجل آخر.

---

[1] التوضيح من المترجم.

[2] التوضيح من المترجم.

5. آبار دَمَانْ:

في الخامس ابريل، فاجأ ما يقارب الثلاثين من أَتْلَامِيدْ، عند آبار دَمَانْ، قافلة من الجنود العائدين إلى السنغال على طريق النواكشوط، وهم نائمون ظهرا. كانت القافلة مكونة من مساعد ورقيبين أوروبيين وعشرين من الرماة. قتل الرقيبان الأوروبيان وخمسة عشر سنغاليا وتم الاستيلاء على الأسلحة والذخائر والأمتعة.

6. اَكْـــجُوجَتْ:

في الثاني من مايو 1908، نُهبت رواحل فصيلة جمالة السرية السابعة على بعد أقل من كيلومترين من اَكْـــجُوجَتْ.

تولى النقيب **Bablon** قيادة المركز الذي زيد عدد أفراده إلى خمسين ومائة بندقية.

7. اَمْخَيْنْزَاتْ تَمَادِي:

أثناء عودتها، هوجمت المفرزة التي رافقت النقيب بابلون، عند اَمْخَيْنْزَاتْ تَمَادِي يوم 21 مايو من طرف ما يناهز المائة من البيظان المسلحين كلهم ببنادق سريعة والمزودين بكثير من الذخائر. كان تحت تصرف الملازم الأول أوبير (قائد المفرزة) ضابطان هما الملازمان الأولان **Coutance** وسولير وخمسة ضباط صف وثمانية عشر سنغاليا وأربعون جمالا من البيظان من فصيلي الخدمة المحلية الأول والثاني.

أنذرت دوريات الاستطلاع الملازم الأول أوبير في الوقت المناسب فأخذ احتياطاته القتالية بدرجة محكمة جعلت العدو بعد ثلاثة أرباع الساعة من القتال يهرب تاركا على الميدان خمس عشرة جثة وعشرة بنادق سريعة الرمي وبعض الذخائر.

بلغت خسائرنا رقيبا أوروبيا واحدا جريحا وثلاثة رماة قتلى كما جرح ثلاثة رماة وثلاثة جمالة. أبدى البيظان في هذه المعركة استماتة حقيقية وتقدموا حتى خمسين مترا من خطنا.

وابتداء من هذه اللحظة، حاصر التلاميذ وأهل آدْرَارْ أَكْـجُوجَتْ وبذلوا كل جهودهم لمنع قوافل التموين والمبادلة عن المركز. ساءت الحال كثيرا وانتشر مرضا السكوربيت والبيري بيري في الحامية بسبب رداءة الماء ونقص الغذاء، المكون فقط من أرز الهند الصينية واللحوم المعلبة. في 15 يونيو، أصيب مائة وخمسة وعشرون رجل من أصل خمسين ومائة هم مَلاك المركز . صار ملحا إرسال أغذية طازجة إلى المركز وتبديل كامل الحامية.

8.الهجوم على قافلة بيرجيه:

غادر النقيب بيرجيه انواكشوط يوم 20 يوليو 1908 ومعه قافلة متكونة كالتالي:

- الملازمان الأولان سمون وآندريه والملازم Mugnier-Pollet.
- الطبيب المساعد Dubarry.
- أربعة ضباط صف أوروبيون.
- مائة ستون من الرماة، ذوي الرتب والجنود.
- اثنان وعشرون جمالا ونصيرا من البيظان.
- سبعة وستون جمالا.
- خمسون ومائة جمل.
- خمسون حمارا.

كان احتياطي الماء 2500 لترا، منها 1600 في براميل.

جاء الرماة من مفارز مختلفة : مائة منهم قدمت إلى موريتانيا حديثا وينقصهم التدريب. كان الفصل حارا بشكل خاص. وابتداء من يوم 23 يوليو، لم تتوقف رياح الشرق عن العصف ليلا ونهارا. ولما وصلت القافلة إلى وَادْ لَخْطَبْ يوم 22 لتتزود بالماء كما هو مقرر وجدت أن حمارا سقط في بئر فمات وأفسد ماءها[1] بينما ماء الأخرى زعاق.

ورغم ذلك، كان الوصول إلى نقطة اَنْوَارَامَاشْ[2] المائية ممكنا دون صعوبة كبيرة لولم يضع القتال الذي تعين خوضه عند وَادْ الشُبْكَه يوما كاملا ويزد الرجال إرهاقا.

في صباح 24 يوليو، هاجم القافلة مائة من البيظان مسلحين ببنادق سريعة الرمي فردوا على أعقابهم بعد ساعتين من القتال تاركين ستة قتلى على الميدان؛ بينما جرح منا رقيب أوروبي وقتل أحد الرماة وجرح الثان. تقدم الملازم الأول آندريه على رأس فصيلة من الجنود القدامى والأنصار من قبيلة لَعْلَبْ لاحتلال اَنْوَارَامَاشْ قبل وصول القافلة وكان عليه أن يطرد منه مجموعة من البيظان.

كان العدو قد غور الآبار فتطلب الحصول على قليل من الماء ساعات عمل كثيرة. جاءت القافلة ببطء والرماة منهكون تماما قد تخلف كثيرون منهم على الطريق وتعين أخذ الأسلحة والذخائر من من لم يعودوا قادرين على حملها ومات عدد منهم بعيد وصولهم إلى البئر وارتوائهم منها.

---

[1] الأرجح أن رجال المقاومة كما غوروا الآبار، أسقطوا الجيفة في البئر عمدا لإنهاك القافلة عطشا قبل مهاجمتها. (المترجم).

[2] بئر سطحية موسمية تقع على بعد 120 كلم شمال نواكشوط. (المترجم).

في الثامن والعشرين [يوليو][1]، تحرك النقيب بيرجيه إلى لَبْيْــرَاتْ الــتي ســبق للملازم الأول آندريه أن احتلها يوم 26 بعد أن طرد عنها عصابة من التلاميذ ونظف آبارها.

تمركزت القافلة في بَرْجَيْمَاتْ في اليوم الأول من أغسطس. بلغت الخسائر منــذ مغادرة وَاَذْ لَحْطَبْ نتيجة للتعب والعطش ثمانية وعشرين قتيلا ومفقــودا مــن الرماة ولم يعثر إلا على بندقيتين من بنادقهم.

احتاجت المفرزة لراحة طويلة. كان مؤسفا أن تعتاش المفرزة مما تحمله القافلــة، لذلك، حينما وصل النقيب بيرجيه إلى اَكْــجُوجَتْ يوم 23 أغسطس كانــت كمية الأغذية التي وصلت قليلة جدا.

في الثاني من سبتمبر، رجع بيرجيه للانضمام إلى رتل الرائد الفريرجان فــــي بَرْجَيْمَاتْ. وقد كان الملازم الأول أوبير احتل برجيمات الذي ســبق للرائــد Gaden حاكم دائرة اَتْرَارْزَه أن أرسله في 17 أغسطس بثلاثين من الجمالــة السنغاليين ومائة من البيظان لتعزيز مفرزة بيرجيه.

9. الهجوم على رتل الفريرجان:

تم تشكيل رتل إنقاذ في اَلْدَرْ وغادرها يوم الثاني أغسطس متكونا من:

- الرائد الفريرجان قائد الرتل.
- أربع سرايا من الكتيبة السنغالية الأولى (النقيب **Dureuil** والملازمان الأولان **Dionis** و**Girard Pelud** وملازم الاحتياط **Saint-Père**).
- الطبيب المساعد **Cazenave**.
- ستة ضباط صف.

[1] التوضيح من المترجم.

- مائة وتسعين من الرماة، ذوي الرتب والجنود.
- ثلاثمائة وسبعة من الجمال.
عزز فصيلان من الفرسان تحت قيادة النقيب **Audeoud** حراسة الرتل حتى انواكشوط. كانت مهمة الرائد فريرجان تدمير مركز اَكْجُوجَتْ وإخلاء حاميته وما به من أغذية ومعدات.
وصل الرتل إلى انواكشوط يوم 21 أغسطس ثم استأنف مسيره في 31 من نفس الشهر فوصل اَكْجُوجَتْ يوم 10 سبتمبر وأخلى المركز يوم 14 منه.
أثناء عودة الرتل، هاجمته عند حوالي الساعة الثامنة من صبيحة التاسع عشر سبتمبر، بين بَرْجَيْمَاتْ واَتْوَيْزِكْتْ، مجموعة من ثلاثمائة بندقية فأجبرها على الانسحاب تاركة سبعة قتلى بينما لم نسجل في صفوفنا أية خسارة.
من بَرْجَيْمَاتْ، أرسلت مفرزتا أوبير وبيرجيه إلى الجنوب. أما السرية الرابعة وفصيلة رشاشات ومجموعة من الأنصار فظلوا في إِيِنْشِيرِي بقيادة الرائد فريرجان للمساعدة في حماية اَتْرَارْزَه التي كان يعاد تشكيل وحدات جمالتها.
كان آخر حدثين تشارك فيهما قوات اَتْرَارْزَه [الفرنسية][1] قبل الرتل [رتل آدْرَارْ] كارثتين حقيقيتين.

10. مشكلة فصيل Solère:

غادر الملازم الأول سولير بُوتِلمِيتْ يوم 16 اكتوبر 1908 ومعه مساعد أوروبي ورقيب جزائري وسبعة وعشرون سنغاليا واثنا عشر جمالا. وكانت مهمته مطاردة غزو عمل في منطقة سَهْوَةْ الْمَاء ثم هرب نحو الشمال الشرقي. تم التعرف على آثار النهابين بين بِيرْ الْبَرْكَه وشَـﮕَـارْ.

[1] التوضيح من المترجم.

علم الملازم الأول فور وصوله إلى هذا المكان يوم 19 اكتوبر أن الغـــزي قـــد استولى على قطيع كبير من الغنم وهو يسوقه.

في يوم 20، بلغ الملازم الأول سبخة اَلتِيشِيلِيتْ التي لم يجد فيها مع الأسف ماء صالحا للشرب فقرر المتابعة إلى اَلْمَلْحَس. لكن الرماة القادمين إلى موريتانيا حديثا من ساحل العاج وغير المدربين على المشاق ولا تحمل العطش والمذعورين مـــن المناطق المتصحرة التي جابوها، قد أبدو عدم انضباط حقيقي منذ انفصالهم مـــن شَـــڨَـــارْ مؤخرين باستمرار سير المفرزة ومبذرين الماء رغم المراقبة التي فرضها عليهم الملازم الأول.

أما المساعد **Berard** وكان هذا استطلاعه الأول فلم يكتف بعدم معاونة قائده فقط بل إنه ساهم بسلوكه في إحباط معنويات الرجال.

أعلن الدليلان يوم 21 أنهما تاها، فأرسل دي سولير دورية للبحث عن البئـــر [اَلْمَلْحَس][1] التي ظنها قريبة منه. ولما لم تعد الدورية، عزم الملازم الأول يوم 22 على محاولة الوصول إلى بئر علاَّلي لكنه واجه صعوبات جمة في حمل الرماة على الذهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، تخلى المساعد وآخر الدليلين عن المفرزة. وبعيد ذلـــك كان لابد من التوقف لأن الرماة كانوا مرهقين تماما. وعندما خف الحر، ربـــط الرقيب الجيلالي وجمالة البيظان الأربعة الباقون دي سولير على جمل وأركبـــوا الرماة الثمانية الذين ظهر أنهم مايزالون قادرين على المتابعة ثم انطلقوا بأقـــصى سرعتهم إلى شَـــڨَـــارْ.

---

[1] التوضيح من المترجم.

بقي خمسة سنغاليين علـــى الطريق ولم ينجح الأحياء في الوصول إلى نقطة المياه إلا بفضل مصادفتهم شبه المعجزة لجملين محملين قربا تخلى عنهما صيادون مـــن أولاد أَبْيَيْرِي وفروا هاربين. كان الملازم الأول والرقيـــب وثلاثـــة ســـنغاليين والجمالة الأربعة هم كل من نجا من هذه المغامرة.

11. معركة لَكْوَيْشِيشِي:

غادر الملازم الأ ول ربول الْمَذَّرَذْرَه يوم 26 نوفمبر 1908 ومعه رقيب الدرك Gresp وثلاثة وعشرون فارسا وستة جمالة لمطاردة غزي يقوده وَلْد الدَّيْدْ نهب أحياء من تَنْدْغَه واتجه شمالا عبر آفْطُوطْ السَّاحْلِي. التحق نحـــو خمـــسين مـــن الأنصار بالمفرزة أثناء المسير.

تم اكتشاف مكان الغزي حوالي الساعة الثامنـــة مـــن يـــوم 28 عنـــد آبـــار لَـــكْـــوَيْشِيشِي؛ فتخندق العدو بسرعة بين الكثبان المتناثرة المغطاة بالنباتـــات الكثيفة.

ولما كان استخدام الخيول غير ممكن في ميدان كهذا، أمر ربول بالترجل لكـــن الخيالة غير المدربين على القتال كجنود مشاة وبنعالهم الثقيلة وستراهم الحمراء التي جعلتهم أهدافا حية، لم يستطيعوا طويلا مقاومة عدو يفوق عدده عـــددهم خمس مرات، جيد التسليح ويستخدم الميدان بمهارة تستـــحق الإعجاب.

سقط الملازم الأول واثنا عشر فارسا منذ اللحظـــات الأولى فجمـــع الرقيـــب الناجين ونجح في التملص من العدو. بقيت جثث الملازم الأول والقتلى الآخرين بين أيدي العدو كما بقي بين يديه ستة عشر حصانا وثمانية عشر سيفا وأربـــع عشرة بندقية كارابين. أما الأنصار فكانوا قد انسحبوا عند بداية المعركة تقريبا

بعد أن استعادوا ثلاثة آلاف من الغنم لكنهم خسروها أثناء الليل كما قتل منهم عشرة.

12. اَنْوآذِيبُو:

هاجمت عصابة يتراوح عدد أفرادها بين الثلاثين والخمسة والثلاثين رجلا من اَرْقَيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ حوالى الساعة العاشرة من مساء 22 يوليو1908 مزرعة السيدFrancoules ونهبوها. وما إن علم المركز، حتى خرج الملازم الأول **Berthome** برقيين أوروبيين وثمانية عشر رام لملاحقتهم فأدركوهم حوالى الساعة الرابعة صباحا واستردوا ما سلبوه وجرحوا منهم رجلا وغنموا جملا وبندقية.

ثانيا

هجوم اَتْلاَمِيدْ وقبائل آدْرَارْ والمنشقين في تَـگَـانَتْ.

1. معركة المَيْـــــانْ:

في إبريل، كانت فصيلتا جمالة تَگَانَتْ قد شُكّلتا وقد أُلّفتا تحت قيادة النقيب مانجين تجمعا من مائة وأربعة عشر رام وثلاثين جمالا ورشاشين. كانت هذه القوة، بشرط أن تبقى متجمعة، قادرة على تحدي كل صولات اَتْلاَمِيدْ وأهل آدْرَارْ.

كان النقيب مانجين ينوي، خلال شهري يونيو ويوليو 1908، أن ينتجع مراعي الحاذ في الْخَطْ، شمالي تجَگْجَه، وأن يتفقد نقاط المياه الواقعة بين تَگَانَتْ وآدرار. كانت هذه النوايا معروفة لدى اَتْلاَمِيدْ، إذ أن وحداتنا كانت عرضة لمراقبة أولاد ساَسِي وهم بطن من إِدَيْشَلّي أذنا لهم بالرعي في

أراضينا[1]، ولكنهم هربوا إلى الشمال في نهاية شهر مايو. وقد كان النقيبُ حُذِّر من تعرضه لهجوم لكنه لم يقدر أن من الضروري أخذ ذلك في الاعتبار[2] .

في الثاني من يونيو، أرسل النقيب من اَلْوَاَشيدْ الملازم الأول گوسيي ومعه رقيب أوروبي وثلاثون رام وأربعة جمالة، لاستطلاع طريق اَغْيوُنْ لَبْـــقَـــرْ بينما سار هو بباقي الفصيل إلى تَالْمَسْتْ.

ترك النقيب مانجين حيث ترك يـــوم 09 يونيـــو الطبيـــب البيطـــري Amiet والرقيبين Evrard وLaroque de وتسعة وأربعين رام ورشاشـــا وبعـــض الجمالة والنساء والجمال العاطلة.

ذهب النقيب من تَالْمَسْتْ ومعه الرقيـــب Megnin وثمانيـــة وعـــشرون رام ورشاشا وجمالان وثلاثة رعاة وخادم كلهم مسلحون، لمحاولة حفر آبار قـــرب مرعى من الحاذ يبعد ثلاثين كيلومترا عن تَالْمَسْتْ وخمسة عشر كيلومترا عن المَيْـــنَـــانْ.

ورغم أنه لم يصل إلى نتيجة فقد تمركز صباح 13 وسط المراعي بعد أن أرســـل إلى الطبيب البيطري يأمره أن ينضم إليه بباقي المفرزة. ذهبت سُخرة من ســـبعة رجال إلى آبار المَيْـــنَـــانْ. أقيم المعسكر على ربوة في ميدان من تموجات تبدو سهلة المراقبة لكن تقاطعـــات الكثبان شكلت مسالك تسمح بالاقتراب سرا حتى مئات الأمتار من المعسكر بينما يناوب حارس واحد والجمال مطلقة ترعى قريبا.

---

[1] هكذا! (المترجم).

[2] بعث التلاميذ رسالة مليئة بالتحدي والفروسية إلى مانجين يتوعدونه بغزوه في مثل عدد رجاله وبهزيمته. وقد صدقوا وعيدهم. لمراجعة فحوى الرسالة انظر:

Gillier(Commandant Brevetté): La Penetration en Mauritanie:ed: Libraire Orientaliste Paul Geuthner. Paris. 1926. P:165. (المترجم)

بدأ الهجوم عند منتصف النهار وأطلقت الرصاصات الأولى من مسافة تقل عن خمسين ومائتي متر. طوق المهاجمون الذين ناهز عددهم خمسين ومائة، الرماة البالغ عددهم واحد وعشرين والذين تجمعوا حول النقيب وهو يحاول تشغيل الرشاش لكنه تعطل فقتل عليه. قتل الرقيب ميگنين في نفس اللحظة تقريبا وتساقط الرماة الواحد تلو الآخر لتتوقف النيران من جهتنا بعد نصف ساعة من بداية القتال. وكان التلاميذ قبل أن يهاجموا المفرزة قد قتلوا رجال سخرة الماء السبعة.

2. تالْمَسْتْ:

كان البيطري آمييت قد انطلق مساء 13 للانضمام إلى النقيب وحوالى منتصف النهار سمع الرماة المناوبون في المرعى تبادلا قويا وقصيرا لإطلاق النار وعثروا على آثار ثلاثة بيظان راكبي جمال جاؤوا لمراقبة معسكر تَالْمَسْتْ.

عند الرحيل افتقدت بعض الحمير فكُلِّف الرقيب Oualo ومعه عريف وسبعة رماة بالبحث عنها. مع بزوغ يوم 14 رتب السيد آمييت معسكره في موقع ممتاز على ربوة مرتفعة تكفها نتوءات صخرية. وبينما كان الجنود مشغولين في تنزيل الحمولة ظهر اَتْلاَمِيذْ الذين كانوا قد باتوا قريبا وهاجموا فورا.

اشتد القتال منذ البداية فالعدو ازداد جرأة نتيجة لنجاحه في اليوم السابق ولديه ذخائر وافرة ورغم ذلك ردت صولاته نتيجة القيادة الحازمة للرقيبين أيفرار ولاروك .

تطوعت بعض نساء الرماة لتزويد مقاتلينا بالذخيرة فقتلت إحداهن. وأصبحت الحالة حرجة نحو منتصف النهار إذ قتل ثمانية من الرماة الأربعين وجرح تسعة؛

إلا أن ظهور دورية الرقيب والو في وقت كان الجميع محاصـــرين ويـــزدادون إرهاقا، حسم مصير المعركة.

لم يتردد والو في الهجوم فحمست هذه النجدة الضعيفة رجالنا فاندفع كل من لم يصب منهم بجراحهم نحو اَتْلاَمِيذْ الذين تراجعوا مسرعين ربما ظنا منهم أن مفرزة گوسبي قد وصلت.

كلفتنا المعركة عشرة رماة وجمالا واحدا وامرأة قتلى، كما جرح جمالان وتسعة رماة. وكذلك فإن سبعة وتسعين ومائة جمل إما قتلت أو أخذها العدو. لم نخسر أسلحة ولا ذخائر أما التلاميذ فقد تركوا على الميدان ثلاثين جثة وخمس بنادق.

في اليوم التالي لحق آمييت بتَجَـــگْـــجَه التي كان الملازم الأول گوســـبي قـــد وصلها يوم 12. أصبحت فصيلتا الجمالـــة بحاجـــة إلى أن يعـــاد تـــشكيلهما وخصوصا إلى أن يعاد إركابهما وهذا ما لم يكتمل إلا إبان انطلاق رتل آدْرَارْ.

3. معركة آرْزَاكْ والرشيد:

خلال شهر يوليو 1908 استقر محمد المختار وَلْد حامَدْ زعيم كَنْتَه المسن المرتد يوم اَتْيمْلاَنْ بالرشيد مع كنته المنشقين وبعض إِدَيْشَلِّي أولاد التَّـــاكِي وأهـــل اَحْجُورْ أي نحو خمسين ومائة مقاتل وتحصن في القرية القديمة منتظـــرا تعزيزات من آدْرَارْ ومعلنا عزمه على احتلال القسم الشمالي من واحة تِجَـــگـــجَه.

انضم كَنْتَه الذين كانوا يجنون التمور في وادي الرشيد مظهرين ولائهم لنا، إلى زعيمهم السابق. وفي كل يوم تقريبا كانت مجموعات صغيرة من النهابين تجوس حول تِجَـــگْـــجَه، حتى إن بعض المجرمين الجسورين طردوا ذات ليلة قطيعا من وسط القرية.

لم يكن عديد حامية تجَكْجَه كافيا للتأثير الناجع على تجمع الرشيد فوصلت التعزيزات المطلوبة ابتداء من 10 حتى 14 أغسطس 1908 وهي تتشكل من السرية المحمولة من الكتيبة السنغالية الأولى (النقيب **Malafosse** والملازم الأول **Tranchant**) وخمسة وثمانين رجل من سرية الجرية(النقيب **Camy** والملازمان الأولان **Marquenet** و**Sechet**) وفصيلة مدفعية الكتيبة (الملازم الأول **Robert**) وفصيل فرسان أكَيْرْتْ (الملازم الأول **De La Brière**).

أبلغ حاكم الدائرة حوالى الساعة التاسعة من يوم 10 أغسطس وكان الفرسان وصلوا لتوهم وبدؤوا يحطون سرجهم أن مفرزة من ثلاثين رجل قد انتزعت قطيعا من البقر والغنم من على بعد عدة كيلومترات من المركز.

انطلق النقيب **Bontemps** فورا مع فصيل الخيالة وفصيلة رماة (الملازم الأول ماركيني) لمطاردة النهابين فأدركهم في واد آرژَ الَّ[1] وأجبرهم على الهرب بصولة من الفرسان جرح خلالها الملازم الأول دي لا بريير والرقيب **Vuillemni**. بقي خمسة رجال من المغيرين على الأرض واستعيد القطيع المكتسح.

ارتحل الرتل مساء 15 أغسطس تحت قيادة الرائد **Chambert** قائد كتيبة موريتانيا وحاكم دائرة تكَانْتْ. ضم الرتل بالإضافة إلى المفارز المذكورة خمسة وثمانين من رماة السرية الأولى (النقيب بونتان والملازم الأول دوفور)، وفي الساعة 09 من صباح يوم 15 كانت مقدمته قد احتلت ذروة تسيطر من نحو ثلاثمائة وألف متر على قرية الرشيد.

---

[1] الراء ساكنة مفخمة. (المترجم).

بدأ القصف فورا لكنه كان قليل التأثير فأجبرنا العدو حينئذ على الخروج من نتوء صخري يقع شمال القرية واستؤنف القصف من مسافة ثمانمائة متر، وأما البيظان الذين كانوا يحتلون السور، فقد هربوا منذ قذائف المدفعية الأولى. أما المقاومة الأساسية فكانت عند الصخور المحاذية للوادي وفي الأشجار الكثيفة التي على جوانبه.

هرب العدو نحو الساعة الثانية ظهرا. جرح ضابطا صف أوروبيان وقتل أحد الرماة وجرح ستة آخرون.

ثالثا

هجوم اَتْلاَمِيدْ وقبائل آدْرَارْ والمنشقين في لَبْرَاكْنَه.

1. اشتباك الْعَزْلاَتْ:

فاجأت عصابة يناهز عددها الخمسين من البيظان يقودهم وَلْد الدَّيْدْ قافلة من فصيلة التموين يواكبها رقيب درك محلي ورقيب حرس وثمانية حمّالين.

بدأ الهجوم ظهر الرابع من يونيو 1908 عند آبار الْعَزْلاَتْ بين ألاَگْ وبُگّه. كانت المفرزة غير محترسة والأسلحة والتجهيزات موضوعة على العربات، فاقترب المهاجمون حتى مسافة خمسين متر دون أن يحس بهم أحد. وقبل أن يأخذ الرجال وضعا قتاليا للدفاع عن أنفسهم سقط رقيب الدرك وحرسيان فهرب الباقون متخلين عن القافلة. نهب البيظان العربات وجرّحوا البغال بخناجرهم.

2. لَتْفَتَارْ:

يوم 14 أكتوبر 1908 رجعت من مركز الْمَجْرِيَّه قافلة قوامها خمسون وخمسمائة ثور كانت قد حملت من گُورْگُولْ مؤنا غذائية للرتل ويحرسها الرقيب Allard وأربعون رجلا من السرية المحمولة وحوالى عشرة أعوان.

يوم 15 هاجم هذه المفرزة بعيد مغادرهّا لتفتار مائة مسلح كمنـــوا لهـــا علـــى الطريق. انسحب العدو بعد قتال دام أكثر من ساعة آخذا معه كـــل الـــثيران تقريبا بعد أن خسر ثلاثة عشر قتيلا بينما قتل منا الرقيب آلار وأربعة رمـــاة، كما جرح أربعة رماة آخرين.

بعد ظهر نفس اليوم، احتلت جماعة من البيظان ينبـــوع الْمَجْرِيَّـــه وحاولـــت الاستيلاء على قطيع المركز؛ لكن بعض قذائف المدفعية وصليات الرشاشـــات كانت كافية لطردهم.

3. خط التلغراف في لَـــتْـــفَـــتَـــارْ:

عند منتصف النهار تقريبا، من يوم 26 نوفمبر1908، حاصرت عصابة من ستين بيظاني، مراقبين اثنين واثني عشر عاملا يمدون خطا للتلغـــراف على بعد أربعة كيلومترات من لَتْفَتَارْ فقتلوا سبعة من العمال وأوقعوا جروحا خطيرة بالمراقبين كما استولوا على تسع بنادق كارابين.

وهكذا، فبين مارس ونهاية نوفمبر 1908 ارتفعت خسائرنا إلى ثلاثـــة ضـــباط وخمسة ضبـــاط صف وأربعة وثلاثين ومائة رام قتلى إضافة إلى جـــرح ســـبعة أوروبيين (من كل الرتب) وأربعين عونا محليا.

زعزع نشاط أعدائنا الملحوظ والإخفاقات المتكررة التي ألحقوها بنا وغـــاراتهم المتابعة ثقة محكومينا بدرجة كبيرة حتى شاع أننا نستعد لإخلاء تَـــگَـــانَتْ؛ مما سبب إحباطا حقيقيا لأصدقائنا.

ورغم المصاعب المتنوعة الناجمة عن خمول أو سوء نية القبائل ورغم عـــصابات النهابين التي تتجول مسيطرة على كل المنطقة التي نحكمها فإن الرجال كـــانوا يتجمعون في المجريه وكذلك العتاد والقوات والدواب الضرورية للرتـــل[رتـــل

آدْرَارْ[1]. وكان ذلك إنجاز الرائد Claudel الذي تولى قيادة موريتانيا قبـــل ذلك. لقد عرف كيف ينقل إلى الكل حيويته ونشاطه وثقته في النصر.

[1] التوضيح من المترجم.

القسم التاسع

رتـــــــل آدْرَارْ (01 دجمبر1908– 15 نوفمبر1909)

اَتْرَارْزَه ، لَبْرَاكْنَه، تَــگـــاَنَتْ وگرْگل خلال سنة 1909.

أولا: رتل آدْرَارْ. واحتلال أطار

1. التكوين: تكون رتل آدْرَارْ المشكل في غرة دجمبر 1908 كما يلي:

– الأركان:

- العقيد گورو قائدا للرتل.
- الرائد اكلوديل قائد كتيبة موريتانيا قائدا مساعدا.
- النقيب خارج الإطار جيرهارد مساعدا للعقيد وقائما بوظيفة رئيس أركانه.
- الملازم الأول خارج الإطار Letang مكلفا بمصلحة الآبار والخرائط.
- بُلْمَقْدَادْ مترجم رئيسا من الدرجة الأولى مترجما.

- الأركان الصغرى:

- ثلاثة ضباط صف.
- عريفان.

– كتيبة موريتانيا:

ـــ السرية الأولى: النقيب بونتان .

- الملازم الأول دوفور.
- خمسة ضباط صف أوربيون.
- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

ـــ السرية الثانية: النقيب كامي .

- الملازم الأول سيشيه.
- أربعة ضباط صف أوروبيون.

- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

ـــ السرية الثالثة:

- النقيب بابلون
- الملازمان الأولان كوتانس وDuroc.
- خمسة ضباط صف أوروبيون.
- أربعة وسبعون من ذوي الرتب والرماة.
- شيخ ناحية من نواحي النهر، بيلا بيرام.
- أربعة وتسعون تكروري.

ـــ السرية الرابعة:

- النقيب Chretien.
- الملازمان الأولان de Beligonde وآندريه.
- خمسة ضباط صف أوروبيون.
- أربعون ومائة من ذوي الرتب والرماة.

ـــ فصائل الجمالة:

- النقيب Plomion.
- الملازمان الأولان گوسبي وماركينيه.
- ثلاثة ضباط صف أوروبيون.
- أربعة عشر ومائة من ذوي الرتب والرماة.

- سبعون ومائتان من جمال الركوب.

ـــ فصيلة المدفعية:

- النقيب Robert.
- سبعة أوربيين.
- تسعة عشر إفريقيا.

ـ فصيل الرشاشات:

- الرقيبان Gehin و Navonne.
- ثمانية رماة معارون من السرايا.

ـــ فصيل الفرسان:

- الملازم الأول دي لا بريير.
- ضابط صف أوروبي واحد.
- تسعة وعشرون من ذوي الرتب والفرسان.

ـــ الأنصار البيظان:

- النقيب Dupertuis.
- الملازم Violet
- رقيب درك جزائري واحد.
- أربعة وستون نصيرا.

ـــ القافـــلة :

- الملازم الأول Gauthier.
- ضابطا صف.
- مترجم.

- مائتان وثمانية وخمسون جمالا.
- تسعمائة وخمسون جملا للحمل.

ـــ مصلحة الصحة:

- الطبيب الرئيس من الدرجة الأولى **Amy**.
- الطبيب المساعد من الدرجة الأولى **Eberle**.
- ممرضان.

زيادة على الذخائر الفردية وذخائر فصيلة الرماية حوى الرتل:

- 228700طلقة من عيار 86 و33264 طلقة من عيـــار 74 و514 قذيفـــة مدفعية وشهب الإشارة (130 جملا).
- **160.000** فرنكا (10جملا).
- معدات طبية (28 جملا).
- قافلة المياه 6280 لترا (60 جملا).
- أقواتا أوروبية لثلاثة أشهر ومحلية لشهرين (405 جملا).
- معدات المطابخ والأرشيف (75 جملا).
- مواد غذائية للمطبخ التعاوني واحتياط الأدوات المتنوعة (34 جملا).
- 300 ثور للنحر.

2. مراحل نشاط الرتل:

يمكن تقسيم عمليات الرتل التي امتدت من 06 دجمبر 1908 إلى 15 نـــوفمبر 1909 إلى أربع فترات:

1 - الزحف إلى أطار من السادس دجمبر 1908 حتى التاسع يناير 1909.

2 - فترة الانتظار - تنظيم التموين - إركاب وحدات الجمالة: مـن 09 ينـاير حتى أواسط يونيو.

3- احتلال الواحات والعمليات المضادة للمنشقين من منتصف يونيو حتى نهاية سبتمبر 1909.

4 - تفريق الرتل من نهاية سبتمبر حتى 15 نوفمبر 1909 وتنظيم آدْرَارْ.

3:الزحف إلى أطار:

غادر الرتل الْمَجْرِيَّه يوم 06 دجمبر1908 ووصل إلى قرية أَوْجَفْتْ يوم 22 بعد أن اتبع الطريق المار بالنقاط المائية: دَكَّلْ – تَمْرَه[1] – العين الْخَظْرَه – تاَلَغْزَه – اَعْوَيْنَاتْ اَزْبَلْ – حاَسِي مَعْطَلّ[2]– ظَايَةْ الطَّفْلَه – تيمنيتْ.

بدا أن التلاميذ وأهل آدْرَارْ لم يشعروا بحشد القوات الذي تم في المجريه ففاجأهم قدوم الرتل تماما. أما أول خبر وصلهم فقد جاءهم به مولى لمحمد المختار ولـد حامد كان موجودا في حاَسِي مَعْطَلّ[3] يوم 17 دجمبر ونجح في الهرب.

ورغم ذلك فمنذ وصـولنا إلى أَوْجَفْتْ أصبحنا مـراقبين بـشدة وأفـادت المعلومات أن العدو قد تجمع في يَغْرَفْ. استؤنف الزحف يوم 24 بهذا الإتجـاه عبر الْوَادْ لَبْيَظْ وفي المساء أقيم المعسكر في واحة وَادْ تُولْـگَـادْ الصغيرة.

4: اشتباكات شمط وتيفجار:

في صباح اليوم الموالي (25 دجمبر)[4]خرجت دورية من سبعة عشر نصيرا تحـت قيادة رقيب الدرك الجيلالي لاستطلاع مخارج الوادي في اتجاه أَمَاطِيلْ. وأثنـاء

---

[1] تنطق كواحدة التمر دون تعريف. أوردها الشاعر الشعبي سدوم ولد انجرتُ (ت 1223هجريه) في بعض قصيده الشعبي.

[2] باللام المغلظة المشددة المفتوحة. (المترجم).

[3] باللام المغلظة. (المترجم).

[4] التوضيح من المؤلف. (المترجم).

رجوعها، توغلت هذه الدورية بتهور وعلى بعد كيلومترات قليلة من الرتل في عنق بشعب شَمَّطْ للشرب فوقعت في كمين كاد يقضي عليها بأكملها[1].

سمعت المراكز التي تحرس المرعى تبادل إطلاق النار فذهب النقيب دوبيرتـــوي ووصل في الوقت المناسب لمنع العدو من الإجهاز على الجرحى.

قُتل ثلاثة عشر وجُرح خمسة من الثمانية عشر.

استأنف الرتل مسيره نحو الساعة الثامنة من يوم 26 وتوقـــف عنـــد الـــساعة الخامسة مساء بعد أن ترك عن يساره عنق تِيفُجَّارْ.

كانت المسافة المقطوعة قصيرة، ومع ذلك فقد زج بالسرية الثالثـــة وفـــصائل الجمالة مرات عديدة ضد المجموعات التي تسيطر على القمم المحاذية للـــوادي.

أبيدت في الوادي دورية من عريف وستة رجال من السرية الأولى أثناء عودها إلى المعسكر .

يوم 27 نزل الرتل في أَمَاطِيلْ وهو نقطة مياه غزيرة ومراعي جيدة واقعة على بعد كيلومترات جنوب ممرات حَمْدُونْ. وتعتبر هذه الممرات في الحقيقة خط الـــدفاع الرئيس الذي يحمي أطار وأمَّل العدو إيقافنا عنده كما أوقف أهل آدرار إِدَوْعِيشْ سنة 1893. لذلك وطوال النهار ظلت مجموعات من البيظان تترائى لنا على بعد نحو كيلومترين من المعسكر في اتجاه حَمْدُونْ.

5: الالتقاء مع الرائد افريرجان – معركة آزْوَيْـگَـه:

في اليوم الموالي، علمنا من مصدر أمين أن الرائد افريرجان وصل بمفرزة إِينْشِيرِي إلـــى اَقْرَارَةْ لَفْرَصْ وخاض اشتباكا قويا في إِيِبِي. وأفادت معلومات أخرى أن الامير[سيدَ احْمَدْ[2]]ربما يكون عازما على التقدم بكل قواته لمواجهتـــه. قـــرر

[1] يقال إن قاتل بكار قتل في هذه المعركة. (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم.

العقيد أن يتحرك فورا لتحقيق الاتصال مع الرائد افريرجان، برتل خفيف مكون من السرايا الأولى والثانية والرابعة وفصيلة جمالة والمدفعية والأنصار. أما النقيب بابلون فقد بقي في أَمَاطِيلْ مع القافلة وتحت تصرفه السرية الثالثة وفصيلة جمالة وفصيل الخيالة وفصيلة رشاشات وبعض الجمالة البيظان.

غادر الرتل الخفيف أَمَاطِيلْ بعد ظهر 29 دجمبر وفي غرة يناير 1909 حقق الاتصال مع الرائد افريرجان عند اَزْوَيْـگَـه.

كانت مفرزة إِينْشِيرِي قد ذهبت من أَقْـلاَلْ فاَيْ يوم 12 دجمبر ووصلت اَقْرَارَةْ لَفْرَصْ يوم 23. تكونت هذه المفرزة من:

- السرية الرابعة من الكتيبة السنغالية الرابعة (النقيب DureuiL والملازمون الأوائل Girard وPelud وديونيس).
- الطبيب المساعد **Cazeneuve**.
- فصيلة رشاشات.
- أربعين من الأنصار.

بعد ذلك تمركز الرائد افريرجان في آزْوَيْـگَـه في موقع ممتاز حصنه بعناية فائقة وأرسل في 28 دجمبر الملازم الأول جيرار إلى الجبل بسبعين رام لطرد تجمع قوي معاد لم يفتأ يطلق النار على المعسكر. كان الاشتباك حادا وكلفنا أربعة قتلى وعشرة جرحى.

اجتاز الرتل الخفيف معززا بمفرزة افريرجان مرتفعات إِيبِي ووصل أَمَاطِيلْ يوم 06 يناير بعد أن خاض اشتباكا قصيرا في مضيق تِيفَجَّارْ.

6. معارك أماطيل:

خلال زحف العقيد إلى آزْوَيـْگـَـه، صد النقيب بابلون هجـــومين قـــويين قام بهما اَتْلاَميدْ وأهل آذْرَارْ الذين كانوا قد تجمعوا أمام مضايق حَمْدُونْ.

تكون معسكر أمَاطِيلْ من حظيرة رئيسية ومنشأتين صغيرتين تدافعان عن الآبار، يحامي في إحداهما الرقيب **Matillo** وخمسة عشر رام وفي الثانية المساعد فيكس والرقيب گهين وستة عشر رام ورشاش واحد. ولم تكن حظيرة المنشأة الأخيرة قد اكتملت بعد.

شرع العدو صبيحة الثالثين في مهاجمة المرعى إلا أن الملازم الأول گوسي الذي كان يتولى الحراسة مع فصيلتين استطاع كبحه فاندفع معظم المهاجمين في نفـــس اللحظـــة تقريبا إلى المعسكر بعد أن أزاحوا فصيلة الملازم الأول كوتانس التي كـــان النقيـــب بابلون قد أرسلها في استطلاع إلى الشمال منذ بداية العملية.

استخدم البيظان الربوات الصغيرة التي تغطي السهل واستطاع ما يناهز الستين منهم أن يقتربوا حتى حوالي ثمانين مترا من المنشأة التي يدافع عنها المساعد فيكس فقتل هو وتسعة رماة واندفع العدو محاولا الاستيلاء على الرشاش لكن الرقيب گهين استطاع إنقاذه. ثم عاد ضابط الصف هذا، على أثره، مبرهنا على شجاعة وبرودة أعـــصاب تستحقان الإعجاب، وانتزع من البيظان جثة المساعد.

مكن هجوم مضاد قوي يقوده النقيب بابلون والملازم الأول **Duboc** من استعادة المنشأة التي احتلها البيظان. وفي نفس الوقت، قام الخيالة بإحاطة على يمين المهـــاجمين أجبرهم على الانسحاب. جرت تقوية المنشآت بعد الظهر وأحيطت بحظيرة عرضـــها ثمانية أمتار مزودة بتروس مدفعية وبأكياس الرمل.

واصلت نساء أطار القدوم بطبولهن، أثناء الليل، لشحذ همم المقاتلين. تجدد القتال في الساعة الثامنة من اليـــوم المـــوالي وأظهـــر العـــدو شـــجاعة جنونيـــة. تقـــدمت مجموعة من خمسين ومائتي رجل لم يطلقوا رصاصة واحدة رغم نـــيران بنادقنـــا

ورشاشاتنا حتى وصلوا المنشآت المتقدمة ولما عجزوا عـن الاسـتيلاء عليهـا تجاوزوها واندفعوا إلى المنخفض حيث الآبار بين المعسكر والمنشآت الدفاعية.

ورغم تعرضه لنيران متقاطعة فقد تشبث العدو بالأرض وكان لابد من هجومين مضادين قادهما الملازمان الأولان Duroc[1] و دي لا ابريير لإجبـاره علـى الانسحاب.

كلفنا هذان الاشتباكان مقتل المساعد فيكس والرقيب Moricard ورقيـب إفريقي وعريف وثلاثة رماة،كما جرح النقيـب بـابلون والملازمـان الأولان كوتانس وگوسبي وأحد عشر إفريقيا منهم رقيب من الخيالة. أما العدو فخسر أكثر من خمسين قتيلا.

7. اقتحام مضايق حَمْدُونْ ــ وصول الرتل إلى أطار:

غادر الرتل أَمَاطِيلْ بعد ظهر السابع من يناير وعسكر في المساء عنـد مـدخل الهضبة المشرفة على مضايق حَمْدُونْ.

في صبيحة اليوم التالي، أخرج نسق القتال تحت إمرة الرائد اكلوديل والمتكـون من الأنصار، السرايا الأولى والثانية والرابعة، فصائل جمالة راجلـة، المدفعيـة وفصيلة الرشاشات، البيظان من مكامنهم في المنحدرات الصخرية المشرفة على وَادْ سَـگَـلِّيلْ وأكملت بعض قذائف المدفعية هزيمتهم.

لم يبد أعداؤنا إلا مقاومة ضعيفة بعد أن ثبطت الصولات الفاشلة التي قاموا بها في أَمَاطِيلْ هممهم. جرح الملازم الأول Letang وقتل أحد الرماة.

أما الشيخ حَسَنَّه، الذي شهد المعركة، فقد رجع مع طريق الشمال معلنا أنـه ذاهب لطلب تعزيزات من والده وحتى من السلطان إذا لزم الأمر.

---

[1] Dubocوأحيانا Duroc. والأرجح أنه Duboc الذي كتب بعد ذلك كتابا عن موريتانيا.

وفي الثامن من يناير [1909][1]، وصل العقيد إلى مدخل أطار، حيث ترفـــرف الراية البيضاء.

ثانيا

فترة الانتظار:(التموين ــ إعادة إركاب وحدات الجمالة) –عملية اللَّبَّه–عملية أَغَسْرَمْتْ–عملية الْمَجْرِيَّه–قافلة **Frèrejean**.

1. فترة الانتظار:(التموين ــ إعادة إركاب وحدات الجمالة):

وصلنا إذن إلى آدْرَارْ. ولإظهار نيتنا في البقاء فيه، شرعنا فورا في بناء مركز من الحجارة على بعد بضع مئات من الأمتار عن منازل أطار. ورغم ذلك فإننـــا لم نتلق إعلانا للولاء من أحد، باستثناء سكان القرى. فر الأمير واَرْڤَيْبَاتْ وأكثر أولاد غَيْلاَنْ وظل بإمكانهم، خصوصا في الشتاء، أن يعتاشوا من قطعان إبلهم في المناطق الصحراوية خارج آدْرَارْ. أما إِدَيْشَلِّي، أنصاف الرحل، الـــذين يربـــون الماعز ويزرعون القرائر فقد اختبؤوا في الجبل لكنهم أجبروا علـــى الرجـــوع [لأماكنهم الأصلية][2] بفعل احتلالنا للمنطقة وتأثير دوريات استطلاع قواتنـــا الراجلة. ولم يكن التفكير في بلوغ أولاد غَيْلاَنْ واَرْقَـــيْبَاتْ ليخامرنا ونحن لا نملك وحدات جمالة. كان التعب ووعورة الطريق قد قضيا علـــى جمال الفصائل ولهذا لم يكن ممكنا أن يعاد إركاب الوحدات إلا في المناطق الجنوبيـــة وذلك ما يتطلب أشهرا كثيرة.

وعلى كل حال، فإن نشاطنا في موسم جني التمور سيكون أكثر فائدة كما أن تدخل الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ الذي يعول عليه المنشقون سيكون على الأرجـــح في تلك الفترة. وإذا كانت كل قواتنا، في ذلك الأوان، متجمعة، وإذا اســـتطعنا،

---

[1] التوضيح من المترجم.
[2] التوضيح من المترجم.

بشكل متزامن، حرمان المنشقين من الوصـــول إلى الواحـــات وطاردنـــاهم إلى كثبانهم حين تجعل الحرارة الحياة شديدة القسوة وتفرض على المخيمات التجمع حول الآبار، فسنكون شبه متيقنين من أننا سننال خلال عدة أسابيع طاعة كـــل قبائل آدرار، بل وربما طاعة أَرْقَــيْبَاتْ.

قضينا نهاية الشتاء والربيع إذن في إعادة إركاب الجمالة وتأمين الميرة والحصول على طاعة إِدَيْشَلّي وطرد أولاد غَيْلان وأَرْقَــيْبَاتْ نحو الشمال ببعض العمليات المحدودة. وأخيرا، في محاولة تشتيت الأحياء المعادية.

منذ الوصول إلى أطار وطوال فترة بقاء الرتل فيها، أي حتى أواســـط فبرايـــر، جابت المنطقة وحدات استطلاع وعادت بطاعة قسم من إِدَيْشَلّي وبعض أولاد غَيْلاَنْ.

-غادر الرائد اكلوديل يوم 15 يناير 1909 بمفرزة مـــن ســـريتين وفـــصيلة رشاشات وقطعة مدفعية، باحثا عن قافلة كلفت قوات تَــگــاَنتْ بحراســـتها حتى تاَلَگْـــزْ ه. عادت المفرزة والقافلة إلى اطار يوم 11 فبراير دون حـــوادث سوى غارات على بعض أحياء إِدَيْشَلّي التي نزلت إلى السهول ابتغاء المرعـــى لسوامها.

لم يعد إبقاء وحداتنا في أطار يستجيب للضرورات السياسية والعسكرية ولذلك تم تفكيك الرتل مؤقتا.

أرسلت السرية الثالثة لتلقي قافلة آتية من السودان [مالي اليوم] تحرسها فصيلة جمالة كِيفَه.

نزل النقيب ابلوميون وفصائل جمالة الكتيبة إلى تَــگــاَنتْ لإعادة الإركاب.

قرر العقيد فورو التوجه إلى المنطقة الجنوبية من آدْرَارْ بالسريتين الثانية والرابعة وبفصيلة من السرية الخامسة وقطعة مدفعية والرشاشات والأنصار. مكنت هذه الحركة جمالنا من الاستفادة من مراعي أخصب من تلك القريبة من أطار وسهلت حماية القوافل الآتية من تَـگـانَتْ أو من اَتْرَارْزَه.

وفي الختام، جعلتنا تلك الحركة قريبين من الأمير وقسم من اَرْوْيْـاَتْ الذين ذُكروا في آكْشاَرْ. أقام العقيد، أولا في سهل يَغْرَفْ، ثم في تيزَگـي جنوب مرتفعات إيِبي، حتى يونيو.

بقيت الوحدات التالية في أطار تحت قيادة الرائد اكلوديل:

- السرية الأولى.
- ثلاث فصائل من السرية الخامسة.
- قطعة مدفعية.
- بعض الأنصار.

2. عملية اللَّبَّه:

وصلت قافلة السودان وفصيلة جمالة الملازم الأول Paquette إلى تيزَگـي يوم 23 مارس. قام الملازم الأول، فورا، بتشكيل غزي للعمل ضد مخيمات آكْشاَرْ.

يوم 29 مارس، غادر النقيب دوبيرتوي ومعه الملازمون الأوائل پـاكيت وبيلود وViolet وأربعة ضباط صف أوروبيون وسبعة وخمسون سنغاليا وخمسة وعشرون ومائة نصير وجمال وفاجأ يوم أول إبريل المخيمات المنشقة شمالي اللَّبَّه. حاول العدو شن هجوم معاكس بعد الظهر وفي الليل لكن تم صد بسهولة.

غنمنا اثنين وتسعين ومائتي رأس من الإبل وأربعمائة وألفا من الغنم وخمسة وعشرين حمارا وسبع بنادق. قُتل منا أحد الأنصار وعُدَّ أحدُ الرماة في عداد المفقودين. هرب الأمير وارْقَيْبَاتْ إلى الشمال.

مكنتنا تجربتنا المكتسبة والنتائج التي حققناها من تخفيض قواتنا الراجلة. ومن جهة أخرى، ظهرت الحاجة الماسة إلى قبضة قوية تدير التموين في تَـگَـانَتْ وآفْطُوطْ وگُـورْگُـولْ وتستخدم بشكل أفضل القوات التي تحتل هذه المناطق.

تلقى الرائد اكلوديل الأمر أن يترل إلى تَـگَـانَتْ مرورا بشَنْـقِيطِ وأَوْجَفْتْ. وقد أخذ معه السرية السادسة التي ستحرس قافلة إعاشة متجهة إلى أطار.

تم تخفيض عديد هذا المركز ، ليتكون فقط من السرية الأولى وقطعة مدفعية وفصيلة من السرية الخامسة التي انضمت فصيلتاها الأخريان إلى العقيد في تِيزَگّـي.

غادر الرائد اكلوديل أطار يوم 18 ابريل ووصل إلى شَنْـقِيطِ يوم 23 من نفس الشهر. وأثناء مرور مجموعة من النهابين قرب القرية يوم 24، أدركها الملازم الأول آندريه وأجبرها على التخلي عن ستمائة شاة مسروقة وثمانية جمال.

في أوجفت، تلقى الرائد اكلوديل الأمر بالذهاب إلى تِيزَگّـي فوصلها يوم 06 مايو. ويرجع هذا الأمر المخالف لما سبق إلى ظهور اَتْلاَمِيدْ من جديد.

3. معركة أغسرمت:

أُرسل النقيب بابلون إلى أَغَسْرَمْتْ ومعه السرية الثالثة وستون نصيرا وبعض القطعان، لأن آبار تِيزَگّـي لم تكن كافية لكل قطعان الرتل.

في يوم 28 ابريل1909، وقبل سطوع الصبح هاجم مائة من اَثْلاَمِيدْ وأربعون منشقا يقودهم وَلْد عَيْدَّه نفسه، النقيب بابلون. نجح العدو في الدخول إلى المعسكر لكنه طُرد بهجوم قوي نفذه الرماة والأنصار تحت قيادة النقيب دوبيرتوي والملازمين الأولين فيولي وكوتانس.

ترك العدو اثني عشر رجلا على الميدان بينما قتل منا النقيب بابلون [1] ورواميان وجرح ستة أفارقة. جاءت عصابة اَثْلاَمِيدْ هذه من اَصْمَارَه مع الْوَلِي وَلْد الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ الذي استقر في منطقة توُرِينْ.

4. معركة الْمَجْرِيَّه:

بعد غارة أَغَسْرَمْتْ، نزل اَثْلاَمِيدْ إلى تَــگَـاَنتْ وحاولوا يوم 03 يونيو اكتساح جمال النقيب ابلوميون قرب الْمَجْرِيَّه لكن الملازم الأول گوسبي الذي كان يحرس المرعى صدهم بعد أن قتل عشرة من رجالهم. أما خسائرنا فكانت أربعة قتلى وثلاثة جرحى من الرماة.

وفي بداية يوليو، عثرنا مرة أخرى على مجموعة المتعصبين هذه في آدْرَارْ.

ذهبت السرية الثانية يوم 05 مايو للإلتحاق بالثالثة في أَغَسْرَمْتْ وأُمرت السريتان بالتقدم تحت قيادة الرائد فريرجان إلى أَگَـلاَلْ فَايْ حيث ينتظر أن تصل قريبا قافلة يقودها الملازم الأول أوبير آمر فصيل اَتْرَارْزَه.

ظلت السرية الثانية في آوْكَارْ لرعي جمالنا أما الثالثة فقد كلفت بحراسة القافلة المتجهة شمالا مع جمالة اَتْرَارْزَه.

5. قافلة افريرجان:

تعرضت المفرزة التي يقودها افريرجان، بين اَعـكـيْلَةْ التَّعْجَه وأَگَـلاَلْ فَايْ، لحادث خطير بسبب الحرارة الشديدة. ورغم الاحتياطات المتخذة (احتياطي من

---

[1] قتله سيدي ولد الكوري في خبر طويل. استشهد سيدي بعد ذلك في أم التونسي. (المترجم).

الماء بلغ 2000 لتر، الروايا التي بعثها الملازم الأول أوبير) فقد كانت الخسائر مؤلمة: أحد عشر قتيلا وواحدا وثلاثين مفقودا.

ورغم هذا الحادث، استطاعت القافلة مغادرة أَگــلاَلْ فــاَيْ يــوم 25 مــايو ووصلت تِيزَگــــي يوم 03 يونيو ومعها الشيخ سِيدياً الذي جــاء اســتجابة لطلب من العقيد.

ثالثا

احتلال الواحات والعمليات ضد المنشقين: اَجْوَالِي- تحضير الهجوم-كَصْرْ الطَّرْشَانْ-اَظْهَرْ.

أُخلي معسكر تِيزَگــــي يوم 08 يونيو. وقد آن الأوان لمنع أعدائنا من جــني التمور. تقع أهم واحات آدْرَارْ في البَاطَنْ (منطقة أطار) واَظْهَرْ (مناطق أَوْجَفْتْ وشَنْــقِيطِ ووَدَانْ).

بينما تراقب حامية أطار واحات البَاطَنْ، اتجه الرائد اكلوديل ومعــه الــسرية الرابعة وثلاث فصائل من الخامسة ورشاشان وعشرة أنصار إلى أَوْجَفْتْ ليقــيم مركزا مؤقتا و يتجهز للتصدي للأعداء في منطقتي شَنْــقِيطِ ووَدَانْ.

رجع العقيد ومعه باقي القوات (السرية الثالثة وفصيل أوبــير وقطعــة هــاون ورشاشان والأنصار) إلى أطار وهو المركز الحقيقي للمنطقة في موسم التمــور، لإعداد العمليات الحاسمة التي ستبدأ عندما يصل النقيب ابــلوميون.

1. اشتباك اَجْوَالِي:

ظهر 08 يوليو، ذُكرت مجموعة من ثمانين من اَتْلاَمِيدْ (الذين سبق ذكرهم في أَغَسْرَمْتْ والْمَجْرِيَّه) وأربعين من اَرْقَــيْبَاتْ و أَوْلاَدْ بَسْبَعْ في واحــة اَجْــوَالِي على بعد سبعة كيلومترات تقريبا من أَوْجَفْتْ.

بعث قائد المركز المؤقت الملازم الأول آندريه لطـــردهم. لم يبـــدإ القتـــال إلا الخامسة بعد الظهر وبعد اشتباك قوي، تميز خلاله الرقيب Lefevre، طردنـــا تْلاَمِيدْ من الواحة. لكن الظلام حال دون أن يكون نجاحنا حاسما. قتـــل أحـــد رماتنا وجرح تسعة آخرون.

2. تحضير الهجوم[للسيطرة على الواحات]:

وصل النقيب اپلوميون إلى أطار يوم 21 يوليو ومعه فصائل جمالة الكتيبة وخمسون رجلا لتعزيز سرايا الرتل وخمسون وأربعمائة جمل. بدأ الهجوم فورا. أكدت كل معلوماتنا الاستخبارية أن العدو منقسم إلى مجموعتين: أولاد غَيْلاَنْ وقسم من اَرْقَـــَـيْاَتْ في منطقة وَداَنْ بنما يوجد أولاد الشيخ مَاء الْعَيْنِـــينْ وَاَتْلاَمِيدْ وبعض أحياء اَرْقَـــَـيْاَتْ في توُرِينْ والْعَرْقِـــيَّه. وجهنا أولى ضرباتنا إلى تجمع اَظْهَرْ.

عمل الرائد اكلوديل، الذي سيلحق به جمالة النقيب اپلوميون، على الهـــضبة في اتجاه وَداَنْ. أما النقيب دوپيرتوي ومعه الأنصار وفصيل اَتْرَارْزَه فسار بمحـــاذاة سفح الجبل لاستقبال الهاربين الذين قد يتجهون صوب توُرِينْ.

3. اشتباك كَصَرْ الطَّرْشَاَنْ:

كان العقيد، يوم 27 يوليو، يتفقد القوات الراكبة المتجمعة في واد آزوگـــــي على بعد كيلومترات من أَطَارْ، عندما علمنا أن مفرزة قويـــة مـــن التلاميـــذ واَرْقَيْاتْ يقودها الولي ولد الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ وصلت إلى كَـــصَرْ الطَّرْشَـــانْ. وعند منتصف النهار، تقدَّمت استطلاعات العدوِّ حتى أصبحت على بعد عـــدة كيلومترات فحسب من المركز. تلقى النقيب دوپيرتوي الأمر بالتحرك لـــيلا، بالقوات الراكبة، إلى شمال كَصَرْ الطَّرْشَانْ وأن يهاجم عند انبلاج الصبح.

أما العقيد، فقد توجه مباشرة من أطار إلى كَصْرْ الطَّرْشَانْ وتحت إمرته السريتان الأولى والثالثة والمدفعية وفصيلة رشاشات.

وصل الجمالة عند الساعة الخامسة والنصف صباحا قرب معسكر العدو المقام في واحة عند سفح مرتفع صخري. وعند بداية الاشتباك، احتل أَتْلَاميدْ هذا المرتفع الصخري.

اندفع الملازم الأول افيولي إلى الواحة بشجاعة أمام رجاله من الأنصار فقتل في نفس اللحظة تقريبا وبدأت معركة عنيفة حول جثته التي بقي يدافع عنها رقيب الدرك شارل وعدة من الأنصار.

عززت جمالة أَتْوَارْزَه ثم فصيلة Pollet Mugrier خطنا الذي يتقدم بصعوبة وسط الحيطان والزرائب التي تقسم الواحة إلى سلسلة من المزارع الصغيرة.

عند الساعة السادس، أطلق النقيب دوبيرتوي الملازم الأول أوبير مع فصيلة Bertome لاحتلال المرتفع الصخري وأسندت هذه الحركة بنيران فصائل النقيب ابلوميون. تراجع العدو أمام هذه الهجمات المتتالية وفر تاركا خيامه وأمتعته وما يقارب العشرين جملا.

خسر العدو عشرة قتلى. أما خسائرنا فكانت قتيلين (الملازم الأول افيولي ونصير) وأربعة جرحى (ثلاثة رماة ونصير).

عطلت بعض الحوادث مسير قوة العقيد وحين وصل حوالى الساعة السادسة والنصف وجد المعركة قد انتهت منذ قليل.

غادر النقيب دوبيرتوي كَصْرْ الطَّرْشَانْ يوم 30 يوليو ومعه القوات الراكبة.

يوم 07، أغسطس وصل الجنرالGaudrelier القائد العام إلى أَطَارْ وكان العقيد غورو قد تقدم حتى أَوْجَفْتْ لتلقيه ومعه السرية الثالثة. بدلت هذه

الوحدة في المركز المؤقت قوة الرائد اكلوديل الذي غادره يوم 22 يوليو ووصل شَنْـــقِـــيطِ يوم 27 من نفس الشهر.

4. عمليات اَظْهَرْ والباطَنْ:

1. مفرزة اكلوديل:

ترك الرائد اكلوديل السرية الرابعة في شَنْــقِيطِ وغادر هذه النقطة يــوم 28 يوليو مساء ومعه السرية الخامسة وفصيلة رشاشات وأربعون نصيرا. بعد مسير سريع، وصل إلى وَدَانْ صبيحة 31. وجدنا أحياء أولاد غَيْلان واَرْقَـــيَّاتْ التي علمت بقدومنا، تستعد للرحيل. لكن مقاتلي هذه الأحياء، الذين ظنوا أنهـــم لا يواجهون إلا مفرزة ضعيفة، صمموا على الصمود.

هاجمنا بقوة فانسحب العدو من مواقعه وترك بين أيدينا عددا كبيرا من النـــساء والصبية وكل أمتعته وثلاثة قتلى وجريحين إصاباتهما بالغة وفي المقابل جرح منـــا ثمانية رماة.

ترك الرائد اكلوديل النقيب **Dubreuil** ومعه اثنان وخمسون رام في موقع ممتاز التنظيم وشرع في تعقب العدو يوم 01 أغسطس ففاجأ يوم 04، عند الماحلـــه، أحياء اَرْقَـــيَّاتْ وقتل منهم ثلاثة رجال وسلبهم ثلاثين وثلاثمائة من الإبل.

سار الرائد بعد ذلك إلى الْبَيِّظْ حيث اتصل بأنصار النقيب دوبيرتـــوي الـــذين يقودهم رقيب الدرك **Dibbes**.

2. مفـــرزة دوبيرتوي:

بعد ذهابه من كَصْرْ الطَّرْشَانْ في الليلة الفاصلة بين يومي 30 و31 يوليو، أفرز النقيب دوبيرتوي، في اليوم الموالي، فصائل جمالة النقيب ابلوميون وأرســـلها إلى وَدَانْ وشَنْــقِـــيطِ لتكون تحت تصرف الرائد كلوديل.

وصل دوبيرتوي يوم الثاني أغسطس إلى مضيق آغماسو فاستقر فيه مع سنغاليي فصيل أوبير ودفع بالجمالة والأنصار إلى الْبَيِّظْ.

أدرك ديب بعض اَرْقَــيّات الهاربين يوم 04 فقتل منهم تسعة وسلبهم ستمائة من الإبل.

3. آغماسو:

في يوم 07 أغسطس، اصطدمت بالنقيب ابلوميون، عنــد آغماســو، أحيــاء نغموشه – أولاد تـَـگــدي[1] كانوا يحاولون بلــوغ اَظْهَــرْ، بعــد أن تبعــوا اَرْقــيّاتْ في مرحلة أولى أثناء هربهم، فسلموه أسلحتهم وإبلهم.

4.عملية تورين:

تؤكد كل المعلومات التي حصلنا عليها، هروب الأمير وبعض اَرْقـــيّاتْ إلى تورين والعركڤيه؛ ولهذا، بدا من المناسب استغلال ذعر العدو.

أعاد الرائد كلوديل إلى آغماسو الأنصار وفصائل النقيب ابلوميون التي التحقت به يوم 06 أغسطس [1909][2] ثم أمر النقيب دوبيرتوي ببدء المطاردة فــورا ووجه الملازم الأول بيرتومي إلى أطار ومعه كل الغنائم.

غادر الغزي [أي المفرزة الفرنسية][3] مساء التاسع أغسطس وبعد أن قطع كثبان آمقطير[4] فاجأ يوم 15 صباحا قرب آبار تُورِينْ تجمعا كبيرا من اَرْقــيّاتْ. قتلنا أربعين رجلا وغنمنا ثمانا وعشرين بندقية وألفين من الإبل. وقد أثقلتــه هــذه

---

[1] أولاد تكدي من العويسيات وليسوا من نغموشه كما ورد في موسوعة المختار ولد حامدون. (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم.

[3] التوضيح من المؤلف.

[4] منطقة صحراوية في الشمال الموريتاني بين طريق القوافل الشرقي والطريق الغربي. ذكرها البكري باسمها الراهن في القرن 11. (المترجم).

الغنائم، تخلى النقيب دوبيرتوي عن المطاردة فرجع إلى أطَارْ حيث وصل يوم 23 أغسطس.

مكنت هذه الغزوات المربحة في البَاطَنْ وتُورِينْ من إعـادة إركـاب الجمالـة وتشكيل مجموعتين من الجمال ذهبت إحداهما مع حراسة الجنرال واسـتطاعت إرجاع السرية الثانية والمؤن التي كانت تتراكم في هذا الوقت في آوْكَارْ، بينما ذهبت المجموعة الثانية مع السرية الثالثة للإتيان عن قافلة في الْمَجْرِيَّة. نفـذت هذه الحركات في الأيام الأخيرة من شهر أغسطس.

5.عملية الجـل:

رغم أهمية النتائج المحققة في الشهر الذي تولى آنفا، فإن الهدف المراد لم يكن بلوغه قد تم، بعد إذ كان التلاميذ وأنصارهم اَرْقَيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ[1] ما يزالون في منطقة الْعَرْقِـيَّه ويمثلون في آن واحد خطرا وتشجيعا [للفرنسيين على مواصلة العمليات أو للذين لم يلتحقوا بعد بالمستعمر على مواصلة المقاومة][2].

لا يمكن اعتبار نشر السلم في آدْرَارْ نهائيا ما لم يتم إجبار أبناء الشيخ مَاء الْعَيْنِينْ على الرجوع إلى اصماره؛ لذلك مايزال على الوحدات المحمولة أن تبذل جهدا جديدا.

تم التجمع في تنغراده شمال كصر الطرشان. تشكل الغزي تحت القيادة المباشرة للعقيد كورو من فصيل اَتْرَارْزَه وفصائل جمالة الكتيبة وأربعة وأربعـين ومائـة نصير.

---

[1] الظاهر حسب السياق أن المقصود أولاد غيلان. (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم وجملة المؤلف كما نرى تحتمل أحد هذين التأويلين أو هما معا. (المترجم).

تشكل نسق ثان بقيادة النقيب گيرهارد وضم الملازم الأول Gibo Lami وضابط صف أروبيا وأربعة وثلاثين سنغاليا واثنين وخمسين نصيرا وكلف بإحضار قافلة تموين من ثمانين ومائة جمل إلى الجَّلْ.

غادر الغزي تَنْقرادَه في الليلة الفاصلة بين 05 و06 سبتمبر وبلغ نقطة المياه المسماة أَمْ الْبَلْ عند كَدْيَةْ الجَّلْ بعد ظهر يوم 09 سبتمبر 1909.

أمضت قوة الاستطلاع يومي 10 و11 في السير إلى جانب الجبل واستقرت يوم 13 في مراعي الطنْطائه فوجدت الأحياء المعادية قد ذهبت منذ خمسة أيام إلى آدْرَارْ سَطَّفْ وخسرت في هربها قسما من أغنامها بل وحتى من إبلها.

وصل النسق الثاني مساء يوم 17 سبتمبر 1909. عادت القوات الراكبة يوم 20 متجهة إلى الجنوب، بينما سارت فصائل جمالة الكتيبة ومعها خمسون نصيرا إلى شَنْقِيطِ لتكون تحت تصرف الرائد اكلوديل. ورجع باقي الغزي إلى أَطَارْ.

رابعا

تفريق الرتل وتنظيم آدْرَارْ:

1. تفريق الرتل: حققت العمليات المنفذة في أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر نجاحا تاما:

- قدمت كل قبائل آدْرَارْ طاعتها باستثناء الأمير وعدد من أولاد سَلْمُونْ وأهل اَحْجُورْ.
- حضر إلى أطار يوم 07 اكتوبر محمد ولد الخليل رئيس أولاد موسى وهم بطن من اَرْقَيّاتْ وطلب الأمان باسم القسم الأعظم من اَرْقَيّاتْ الساحل وأولاد اَدْلَيْمْ.

- يوم 17 اكتوبر، نزل فصيل الملازم الأول أوبير وعدد من الأنصار إلى[1] اَتْرَارْزَه.
- يوم 21 أكتوبر، وصلت إلى أطار، السرية الثانية وقافلة آوكار.
- يوم 06 نوفمبر، أوصلت السرية الثالثة قافلة تَـگَـانَتْ، إلى شَنْـڤِيطِ.
- يوم 15 نوفمبر، تولى الرائد اكلوديل قيادة آدْرَارْ وفي نفس اليـوم غـادر العقيد گـورو شَنْـڤِـيطِ راجعا إلى اَنْدَرْ ومعه السرية الرابعة من الكتيبة السنغالية الرابعة (الخامسة في مسير الرتل).

2. تنظيم آدْرَارْ: بعد ذهاب السرية الرابعة من كتيبة موريتانيا التي ستعود إلى تَـگَـانَتْ يوم 01 دجمبر، أصبحت القوات المتروكة في آدْرَارْ تتكون من:

- السرية الأولى (النقيب بونتان) والسرية الثالثة (النقيب **Roussel**) في أطار.
- السرية الثانية(النقيب كامي) في شَنْـڤِيطِ.
- فصيلة المدفعية: قطعة منها في أَطَارْ وقطعة في شَنْـڤِيطِ.
- فصيلتي رشاشات: إحداهما في أَطَارْ والأخرى في شَنْـڤِـيطِ.
- القوات الراكبة التي يقودها النقيب اپلوميون وقد شكلت مجموعتين:
- مجموعة في المنطقة الشرقية تحت القيادة المباشرة للنقيب اپلوميـون وتـضم خمسين نصيرا وفصيلتي كتيبة موريتانيا اللتين كانتا ضمن الرتل.
- مجموعة في المنطقة الغربية بين آدْرَارْ والمحيط تحت قيادة الملازم الأول دوفور وتضم مائة نصير والفصيلة الثالثة من جمّالة الكتيبة وهي الفصيلة التي أعـاد

[1] في الأصل "من أتْرَارْزَه" وما أثبتناه هو الصحيح حيث شاركت الفصيلة في معركة اَكْصَيْرْ الطَّرْشَانْ وكانت ضمن قوات الحملة منذ بدايتها. (المترجم).

الملازم الأول Mugner Pollet تشكيلها (لم تكن هذه الفصيلة موجودة منذ اَكْجُوجَتْ).

تم تكليف مجموعة دوفور، أساسا، بتحقيق التماس مع أحياء اَرْقَيْبَاتْ.

خامسا

اَتْرَارْزَه – لَبْرَاكْنَه – تَكَانَتْ – وكُورْكُلْ خلال سنة 1909:

كان نشاط الوحدات التي تحتل هذه المناطق قد وجه لتجميع وحراسة قوافل تموين رتل آدرار. نعمت اَتْرَارْزَه بهدوء شبه مطلق. نشط منشقو هذ المنطقة ومنشقو لَبْرَاكْنَه في لَبْرَاكْنَه وكُورْكُولْ فقط. تكبدت القبائل التابعة لنا خسائر كبيرة، لكنها ظلت تزودنا بالمعلومات بشكل متأخر وسيء جعل من المستحيل حمايتها بنجاح.

تم سلب بعض البُرُدِ كما قطع خط التلغراف مرات عديدة على غرار ما جرى في السنة السالفة.

في تَكَانتْ، شن غزي من إِدَيْشَلّي هجوما فاشلا، قرب فَوْقْ، على قافلة قادمة من كِيفَه، تحرسها جمالة عَبْدِي وَلْد اَمْبَارَكْ، رئيس تجَكْجَه.

وفي سبتمبر، اكتسح هذا الغزي خمسين ومائتين من إبل إدوعلي.

قام أهل الكديه بغارات على قبائل كُورْكُولْ. وأهل الكدية هؤلاء، هم مجموعة ألداء من إِدَوْعِيشْ، يترأسهم عثمان ولد بكار، غادروا آدْرَارْ خلال

الأشهر الأخيرة من 1908 وعاشوا منذ تلك الفترة في الجبل قـــرب مخيمـــات أحيائهم الأصلية· وفي شهر مارس [1909][1] ، لجؤوا إلى الحُوْظْ·

في شهر اكتوبر، قدم اَهْمَيْمَدْ وهو الزعيم السابق لأولاد احمد، طاعته·

حضر وَلْد الدَّيْدْ ومعه مساعداه ولد مَخْطَارَ أمُّ واِسَلْمُ وَلْد ابراهيم اَخْلِيلْ، يوم 18 دجمبر، أمام حاكم دائرة اَتْرَارْزَه وطلب الأمان·

---

[1] التوضيح من المترجم.

القسم العاشر

أحداث سنة 1910 في مناطق الجنوب وآدْرَارْ·

في دجمبر 1909، خلف المقدم Patey العقيد گُــورُو، مفوضا للحكومة العامــة[1]·

تميزت سنة 1910 باطراد التقدم في نشر السلم وبالمتابعة الدقيقة لتنظيم البلاد·

1· مناطق الجنوب:

نعمت اَتْرَارْزَه ولبراكنه وگُــورْگُــولْ وگِيدِي مَاغَا بهدوء مطلق· أما القبائــل الــتي عانت كثيرا على مدي السنتين الماضيتين والتي فرضنا عليها تــضحيات كــبيرة، فقــد استفادت أخيرا من السلم الموعود، فتمكنت من إعادة تشكيل قطعان ماشــيتها ومــن ممارسة الفلاحة والتجارة·

استسلم آخر المنشقين: أولاد احمد وأولاد نَغْمَاشْ في يناير· عثمان ولد بكار وأهل الْكَدْيَه في مارس· لم تسجل إلا حادثة نهب واحدة ففي يوليو، اكتــسح أهــل اَحْجُــورْ قــرب أَگَــيَرْتْ سبعين من إبل تَاگَّــاطْ وسلبوا قافلة صغيرة من اَجْيُولَا[2]· علم الملازم الأول Bourguignon وكان في كَصَرْ الْبَرْكَه ومعه جمالته بالغارة، فأسرع علــى إثــر أهــل اَحْجُورْ وأدركهم قرب تِيزَگّـــي، فقتل منهم رجلين واستعاد الإبل والبضائع المسروقة·

2· آدْرَارْ:

في آدرار وإلى الغرب من هذه المنطقة:، كانت ما تزال توجد بعض عناصــر الفوضــى؛ فبالإضافة إلى الألداء الذين يشكلون عصابتين إحداهما تناهز السبعين مــن أولاد غَــيْلان والأخرى تناهز الستين من إِدَيْشَلِّي، كان علينا أن نضع في اعتبارنا الغزيان الآتيــة مــن جنوب المغرب وكذلك النهابين الذين يجدون المأوى قرب Villa Cisneros (الدَّاخْلَه)· لكن القبائل الداخلة في الطاعة، خصوصا اَرْقَيْبَاتْ في آدْرَارْ والرعيان في تَــگَــــانتْ، قدمت لنا عونا مفيدا·

---

[1] أي حكومة عموم غرب افريقيا. (المترجم).

[2] تجار متنقلون من افريقيا الغربية. (المترجم).

في شهر فبراير، حطم أنصار الملازم الأول دوفور في تَازْيَازَتْ مجموعة من أولاد اَدْلَـيْمْ حاولت، دون أن تنجح، اجتياح إبلنا في المرعى·

في شهر مارس، قضى اَرْقَـيْبَاتْ التابعون لمحمد ولد الخليل، المجتمعون في تِيجرِيتْ، على غزي من عشرين ومائة من أَوْلَادْ بَسْبَعْ قادمين من وَادْ نُونْ ولم يتمكن منهم من الهرب إلا خمسة رجال فقط[1].

في مايو، نزل منشقو أولاد غَيْلان إلى تَـگـانَتْ فقتلوا رئيس اَشْرَاتِيتْ احمد ولد الْمَختار قرب تَنْوَاعدِينْ، ثم طردهم تجمع محاربي إِدَوْعِيشْ وحضور جمالة النقيب ابلوميون، فعادوا إلى آدْرَارْ·

يوم 13 يونيو، هاجموا[منشقو أولاد غَيْلان[2] عند حَاسِي الْعَرْڤُوبْ، قافلة تموين يحرسها العريف Bakary Traoré وعشرة سنغاليين وسبعة عشر جمالا ونصيرا· بعد اشتباك دام ساعات كثيرة في ميدان صخري، انسحب العدو وقد خسر ما يناهز العشرة قتلى· قتل منا ثلاثة رماة ونصيران كما جرح عريف واحد·

نزل الأمير السابق وَلْد عَيْدَه من الشمال ومعه عصابة من اَرْڤَيْبَاتْ فمر على وَدَانْ واتجه إلى الْحَوْظْ حيث لجأ المنشقون، شيئا فشيئا· وقد طرد جمالتنا آخرهم من آدْرَارْ في شهر اكتوبر·

وسيوفر الْحَوْظْ، الذي كان مايزال غير محتل ولا تتجول فيه وحداتنا، ملجأ وقاعدة لأعدائنا خلال سنة 1911، ينطلقون منها لشن غاراتهم على القبائل الخاضعة لنا·

في شهر مارس، قامت قوات آدْرَارْ الراكبة، يقودها النقيب ابلوميون، باستطلاع النقاط المائية بين أَطَارْ واَلْوَاذِيبُو·

وفي شهر أغسطس، زارتْ مفرزةُ القسمَ الشرقي من اَظْهَرْ بين وَدَانْ وأبيار تَلّينْ·

---

[1] هذا الغزي معروف في تاريخ المنطقة بغزّي لمْدَنْ. (المترجم).

[2] التوضيح من المترجم.

القسم الحادي عشر

سنة 1911 - رتل تيشّيتْ (1911 – 1912) ونهاية التوسع الترابي حوادث سنة 1912.

أولا: سنة 1911.

ابتداء من سنة 1911، أصبح حفظ أمن موريتانيا وما يتبعه من تحقيق للسلم الداخلي وتنظيم للبلاد، مهام ترتكز بدرجة تكاد تكون حصرية على النشاط الفعال لقواتنا المحمولة. وخلال هذه السنة، زيد عدد وحدات الجمالة وتم تحسين تنظيمها.

تم إنشاء فصيلة رابعة في آدْرَارْ كما تم تشكيل فصيل خدمة محلية في تَگانتْ. حصل البيظان، الذين دخلوا هذه الوحدات بأعداد أكبر من ذي قبل، على وضعية مكتتبين نظاميين وعلى حق الاستفادة من التقاعد.

تعطي مشاركة العنصرين السنغالي والبدوي أفضل النتائج، ولكن بشرط أن تتم المحافظة على تفوق السود، فمنهم وحدهم ينتظر "ولاء" في كل الظروف وشجاعة" دائمة". إن الخدمة العسكرية التي خضع لها المقاتلون البيظان، باختيارهم، قربتهم منا ومكنتنا من ملاحظة أن طاعتهم، رغم حداثتها، كانت صادقة وصريحة.

يتمتع داخل البلاد بسلم شبه تامة بينما، وحدها، التخوم الشمالية والشرقية مضطربة.

مع بداية السنة، ازدادت مجموعة اَرْڤَيْبَاتْ ولد الخليل بما يناهز المائتي خيمة من يـَڤُـوتْ. وقد حاول حاكم الدَّاخْلَه، الإسباني، الذي قدم في دجمبر 1911

لزيارة حاكم آدْرَارْ، إقناع الوافدين الجدد بالخضوع للسلطات الإسبانية مؤكدا لهم أنه لن يطلب منهم أية ضريبة· لكن قدوم الرائد **Vinvertermenlen** إلى تِيرَسْ ومعه قوات النقيب **Beugnot**، وضع حدا لتردد هذه الأحيـــاء، فقرروا قبول شروطنا·

من يناير إلى ابريل 1911، زار جمالتنا المنطقةَ الواقعةَ بين اَنْوَاذِيبو وسَبْخَةْ الجَّــلْ وحافظوا على التماس مع القبائل التي دخلت في الطاعة حديثا· كانــت هــذه القبائل تتحمل، بامتعاض شديد، متطلبات إدارتنا، رغم ضــآلتها· وفي نهايــة السنة، عاد ما يقارب المائة خيمة من هذه القبائل إلى الشمال·

حاول اَرْڤَيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ وبعض أَوْلَادْ بَسْبَعْ المنشقين، أن يقومــوا بــبعض أعمال النهب في أرضنا· ![1]

في يوليو، اكتسح غزي من نحو أربعين بندقية، مائتين وخمسين من إبــل أَوْلَــادْ بَسْبَعْ الموالين لنا جنوب انواكشوط فاستولى هؤلاء على نفس العدد تقريبا مــن إبل الأحياء المعادية·

في نوفمبر، اكتشفت آثارُ عصابة قوية من الأعداء قرب بير معطلّــه، فنــهض الملازمان الأولان اشميت وبيرتومي لمطاردها· انقسم النــهابون إلى مجموعــات كثيرة، تم إدراك إحداها قرب اَتْوَيْزّكتْ فخسرت أربعة رجال بينما ســقطت الأخرى[2] في كمين نصبه لها الملازم الأول بيرتومي فهربت وتركت ثلاثة قتلى، من بينهم رئيسها·

في نفس الفترة، سار غزيان مضادان أحدهما من أولاد عَمَّنِّي والثاني مــن أولاد آكْشَارْ وأولاد سِلّه فسلب الأول من منشقي أولاد اَدْلَيْمْ ما يناهز المائــة مــن

---

1 هكذا! (التعجب من المترجم).

2 هكذا! (التعجب من المترجم).

الإبل شمال حاسي دَمَّسْ بينما سلبهم الثاني خمسين ومائة عند مدخل السَّاقْيَــه الْحَمْرَه.

تمتع أولاد غَيْلان وأهل اَحْجُورْ واَرْڤَيْبَاتْ —حوالى مائتي وخمــسين بندقيــة—، الذين جمعهم أمير آدْرَارْ السابق وَلْد عَيْدَّه، في الْحَوْظْ، بأمان تام في تلك المنطقة محميين بصورة ما، بالتعليمات الصادرة لنا بعدم التوغل فيها. وقد نظمت تلك المجموعة عدة غزوات، لا في موريتانيا فقط، بل كذلك في أعالي نهر الــسنغال ونهر النيجر.

نجحت قوات الجمالة والأنصار الموريتانية في إلحاق عدة هزائم بهم:

– قبيل مغيب شمس يوم 21 مارس، فاجأ الملازم الأول بورغينيون، الذي يراقب تخوم آدْرَارْ وتَــگَــانتْ، ما يناهز الثلاثــين من أهل اَحْجُورْ في منطقة عَــيْنْ الْخَظْرَه، لكنهم نجحوا في الهرب تحت جنح الظلام. طارد الملازم الأول الهاربين وأدركهم في اليوم التالي عند مرتفعات آغْنَمْرِيتْ. تمترس النهابون في الحشائش الملتفة المحاذية للصخور حتى تم إخراجهم منها، بعد صمود شديـــــد، وتركوا بين أيدينا واحدا وأربعين جملا منها اثنان وعشرون برواحلها كما تركوا بندقية من نوع 74. قتل أحد رماتنا وجرح منا آخر.[1]

– فاجأ نفس الضابط يوم 12 سبتمبر1911، عند الْمَيْنَانْ، عصابة من منــشقي أهل التَّنَاكِي وأهل خَيَّارْ قادمة من آدْرَارْ فسلبها عشرة جمال وبندقية من نــوع 74 وكل أمتعتها.

1 ذكر جيليه أنه قتل من المقاومين ثلاثة وجرح اثنان، وتختلف روايته قليلا من حيث مجريات الأحداث. انظر: ص 243 (المترجم).

– في شهر يناير[1]، قتل الرَّغْيَانْ رجلين من أولاد غَيْلان المنشقين عند كَرْكَدْ لبيظ[2].

– في شهر اكتوبر 1911، أدرك رقيب الدرك الجزائري Lemori وهو من فصيل تَـگَـانتْ، بعد مطاردة شديدة، عصابةً من النهابين، قتل منهم رجلين وسلبهم بندقيتين وأحد عشر جملا.

أما منطقة الساحل[3]، وهي التي لم تتعرض للنهب منذ سنوات كثيرة مما جعلها خالية من أي تنظيم دفاعي نهائي وقوي كما في موريتانيا، فقد أصبحت غرضا دائما لرجال وَلْد عَيْدَّه. بل إن فصيل جمالة كيفَه[4]، تعرض في شهر مايو 1911 لكارثة حقيقية: قُتل الملازم الأول Demassez وأحد عشر رام وجُرح رقيبٌ أوروبيٌّ وستةُ رجال كما خسرنا في هذه الحادثة ثلاثين جملاً وإحدى عشرة بندقية كارابين[5].

–تكاثر الغزيان في نهاية السنة وهاجم المنشقون بنجاح أَزَلَايْ [قافلة] تَاوْدَنّي. ليس من الممكن، بدون نتائج سلبية كثيرة، أن تترك في الْحَوْظْ، على بعد أيام من تِجَـگْـجَه وكيفَه، هذه المجموعة التي يقودها الآن أمير آدْرَارْ السابق وَلْد عَيْدَّه.

---

1 ليس واضحا من سياق النص أهو يناير 1911 أم يناير 1912 لعدم توالي التاريخين السابق واللاحق. (المترجم).

2 أو غورغول لبيظ؟ (التساؤل من المترجم).

3 يعني بها هنا المناطق الشرقية من البلاد وكذلك المناطق الشمالية من جمهورية مالي الحالية (المترجم)

4 ذكر الرائد جيليه أن عدد أفراد هذا الفصيل يبلغ ثلاثة وعشرين جمالا. جيليه ، 244.

5 تختلف الروايات حول من نفذ هذه العملية ولكن أغلبها متفقة على أن المنفذين من المنطقة.

إن استمرار وجود هذه المجموعة، من وجهة النظر السياسية، تـــشجيع لكـــل الغاضبين كما أن حجمها يمكن أن يزداد سريعا. وهي تخلق في الحوظ والساحل وأزواد حـــــالة نفسية قد تصبح خطيرة. وإذا بدأت قبائل مَشْظُوفْ ولَقْلَالْ الكبيرة العدد بالتحرك في المنطقة المنظمة جزئيا فقد تكلفنا من الجهد والمال أكثر بكثير من ما تكلفه عملية لفرض الأمن في منطقة قريبة مـــن مراكزنا ويمكن أن تنفذها قوات المناطق المجاورة وحدها.

قُرِّرَ القيامُ بهذه العملية في نوفمبر [1911] على أن تنفذها قـــوات موريتانيـــا وقوات تَنْبُكْتُو، فتنطلقان في وقت واحد؛ الأولى باتجاه تِيشِّيتْ والثانية باتجـــاه وَلَاتَه.

ثانيا:

رتل تيشيت(1911-1912) وانتهاء التوسع الترابي:

تجمع الرتل يوم 08 يناير 1912 عند بُوعَرْ على بعد خمسة وعشرين كيلـــومتر شرق تِجَـــگْـــجَه وتكون من:

- قائد الرتل: المقدم پـــاتي مفوض الوالي العام في موريتانيا.
- جمالة آدْرَارْ: النقيب بنيو .
- جمالة البيظان:
- ضابط صف أروبي.
- ضابط صف جزائري.
- واحد وثلاثون من حرس الجمالة البيظان.
- ثلاثة عشر راع مسلح.
- فصيلة الجمالة الثالثة:

- الملازم الأول بورغينيون.
- ضابطا صف أوروبيان.
- ستة وأربعون من ذوي الرتب والرماة.
- اثنان وعشرون من جمالة البيظان.
- اثنا عشر راع مسلح.
- <u>فصيلة جمالة مؤقتة:</u>
- الملازم الأول ماركينيه.
- ضابط صف أوروبي.
- ستة وعشرون من ذوي الرتب والرماة.
- ستة وثلاثون من البيظان.
- <u>جمالة تَـگـَـانتْ:</u>
- النقيب أوبير.
- الملازمان الأولان **Faiori** و **Psichari**
- ضابط صف أوروبي.
- ستة وثمانون من الحرس الجمالة اَتْكَارِيرْ والبيظان.
- خمسة رعاة مسلحين.
- <u>سرية المسير:</u>
- النقيب **Verdier**.
- الملازم الأول **Bertembourg**.
- 04 ضباط صف أوروبيون.
- ثمانية وتسعون من ذوي الرتب والرماة.

- <u>الأنصار اتكارير التابعين لرئيس الكـــانتون(chef de canton) بـــيلاً بيرامْ:</u>
- رقيب أوربي.
- خمسة وأربعون نصيرا.
- <u>الأنصار البيظان غير المؤطرين:</u>
- خمسة وثلاثون نصيرا.
- <u>فصيلة رشاشات:</u>
- ضابط صف حراق.
- الإداري Daireaux.
- ستة رماة.
- <u>فصيلة الخدمات الصحية:</u>
- الطبيب الرئيس من الدرجة الثانية Fulconis.
- ممرض.
- محلي.
- <u>القافـــلة:</u>
- النقيب Querillac.
- ضابطا صف أوروبيان.

بعد أن أكدت الاستخبارات أن تِيشّيتْ غير محصنة، تركت في تِجَــگْـــجَه فصيلة هاون 80 جبلي يقودها الملازم الأول Le Moaligou كان مقـــررا أن تكون ضمن الرتل.

يوم 09 يناير، أُرسل النقيبُ بنيو وجمالة آدْرَارْ إلى آبار أَمْ لَعْوَيْتْـقَـاتْ لإنارة تقدم الرتل. تحركت بقية الرتل يوم 10 يناير وأدركت النقيبَ في اليوم التـالي 11 يناير.

في صبيحة هذا اليوم 11، قدم رسولان مـن تِيـشّيتْ يحمـلان المعلومـات الاستخبارية التالية:

1. بعد أن أتى المنشقون بغنائمهم من أَزَلَايْ[قافلة]تَاوْدَنّي إلى وَلَاتَه[1] توجهوا إلى تِيشّيتْ.

2. وصل وَلْد عَيْدَّه ووزيره احمد ولد ابراهيم ولد مَـگَـيَّه ومعهمـا بعـض أفراد عصابتهما آقْرَيْجيتْ، يوم 7 يناير.

معركة تِيشّيتْ:

قرر المقدم پـاتي أن يرسل فورا إلى تِيشّيتْ قوة من الجمالة، كافيـة لإزاحـة أعدائنا، ولو كانوا متجمعين ومطاردتهم بشدة. كُلفت مجموعةُ النقيـب بنيـو بتنفيذ هذه الغارة فتركت أَمْ لَعْوَيْتْـقَـاتْ عند الساعة الخامسة بعد ظهر يوم 11 يناير.

بعد أن قطعت هذه القوة مسافة ثلاثين ومائة كيلومتر في ليلتين ويوم واحـد، فاجأ جمالتنا المنشقين على تمام الساعة السابعة والنصف من صباح يوم 13 يناير فوجدتهم يغادرون تِيشّيتْ تتبعهم مطاياهم متجهين إلى آقْرَيْجيتْ حيث كـانوا سينضمون إلى رفاقهم ويعتزمون مهاجمة إحدى فصائل جمالتنا في منطقة الْمَيْنَانْ.

---

[1] مدينة في ولاية الحوض الشرقي. وهي قديمة تأسست في القرن 6هـ/12م. ذكرها الرحالة ابن بطوطة بعد أن زارها سنة 753هـ/1352م. ظلت لقرون حاضرة العلم ومحج طلابه في منطقة بلدان الساحل كلها.

بدأ القتال الشديد، على أطراف الواحة أولا، ثم في الكثبان الرملية. وكان القتال راجلاً أحيّانا ومن فوق ظهور الإبل أحيانا أخرى. قُتل احمد ولد ابراهيم ولد مَـگَـيَّه وولْد الفَيْداَّرْ وتسعةٌ من أفضل المحاربين وأُصيب وَلْد عَيْدَّه بجرح بالغ فأُسِر[1]. غنمنا إحدى عشرة بندقية وعشرين راحلة ولم نخسر إلا قتيلا واحدا من الأنصار.

–وصل القسم الرئيس من الرتل يوم 12 يناير 1912 إلى قانب. تلقى الرقيب الجزائري أدن بن الشيخ أمرا بالصعود مع ستة عشر من الأنصار إلى اَظْهَرْ عبر مضيق فَمْ اَجَارْ ثم التوجه إلى الشمال الشرقي للالتفاف على تِيشّيتْ من جهة آبار بِيرْ الطَّالَبْ. وأُمِرت قوةُ الاستطلاع هذه بمطاردة المنشقين الذين قد يهربون في ذلك الإتجاه.

عثر أدن بن الشيخ يوم 14 يناير على آثار مجموعة من الهاربين فلاحقهم وفرَّقهم بعد أن قتل منهم رجلا وسلبهم أحد عشر جملا للركوب. قُتل في هذا الاشتباك أحدُ أنصارنا وجُرح اثنان.

وصل النسق الثاني من الرتل عبر طريق البَاطَنْ إلى تِيشّيتْ بعد ظهر يوم 15 يناير.

–أفاد الملازم الأول بورغينيون، وكان قد احتل بفصيلته يوم 14 يناير قرية آقْرَيْجيتْ، أن محمد محمود وَلْد سِيدِي لَكْحَلْ هرب مع أربعين رجل إلى آلَجِي نقطةِ المياهِ المهمةِ الواقعةِ بين آقْرَيْجِيتْ ووَلَاتَه وأن دوريةً قوية من الأنصار تتبع أثره.

[1] ذكر جيليه أن عدد قتلى المقاومة لم يتجاوز ثمانية من بينهم ول مـگـيه. (المترجم).

أُمِر فصيلُ تَــگَــانتْ بالانضمام إلى الفصيلة الثالثة. كُلّف النقيب أوبير قائدُ الجمالة باستقبال الدورية والتحرك ضد تجمع آنْجِي إذا اســتدعت الــضرورة ذلك.

أُرسِل الملازمُ الأولُ ابسيشاري وعشرون من الأنصار جنوبا لإرجاع الأحيــاء الهاربة والقبض على المنشقين الذين قد يكونوا لجؤوا إليها.

احتمل المقدم وكل القوات الموجودة يوم 21 يناير 1912 إلى آقْرَيْجِيتْ لإسناد النقيب أوبير إذا دعت الحاجة لذلك.

قرر النقيب أوبير مهاجمة وَلْد سِيدِي لَكْحَلْ بعد أن علم أنه يتمركز مع عشرين ومائة رجل في عنق آنْجِي. لكن المنشقين وقد علموا بخطة النقيــب، انــسحبوا سريعا إلى وَلاَتَه.

بعد أن نفذ مهمته في الجنوب، تمركز الملازم الأول ابسيشاري للمراقبة في منطقة قائبْ. ثم وجد وهو على بعد خمسين كيلومترا جنوب أَمْ لَغْوَيْتْــفَــاتْ آثــار عصابة لجأت إلى المرتفع الصخري الذي يشكل الحافة الشرقية لتَــگَــانتْ.

وجد الملازم الأول العدو وقد احتل موقعا قويا جدا بين الصخور المتناثرة عنــد سفح المرتفع ومع ذلك فقد استطاع إخراجه من مكمنه ومطاردته حتى مــسافة ستة كيلومترات. خسر العدو قتيلين وغنمنا منه بندقيتين بينما قُتِل أحدُ أنصارنا في اللحظات الأولى للاشتباك.

أخليت منطقة العمليات المخصصة لقوات موريتانيا تماما.

ماتزال قوات تَنْبُكْتُو لم تحتل ولاته بعدُ. ومن جهة أخرى، أجبرتنا حالة الغموض في شمال آدْرَارْ وفي مخيمات أَرْڤَيْبَاتْ على إعادة قوات بنيو إلى الشمال.

غادر الرتل تِيشّيتْ يوم 26 يناير 1912 ووصل يوم 28 إلى قائبْ وتفرق من هناك:

- واصل جمالة آدْرَارْ إلى منطقتهم عبر الْمَيْنَانْ ودَخْلَةْ بُوسَيْفْ.
- أُمِر فصيلُ تَـگـانَتْ بمطاردة المنشقين الذين قد يرجعون إلى منطقة قائبْ– تِيشّيتْ – آقْرَيْجيتْ وأن يكون على اتصال بجمالة كيفَه وأخيرا أن يستطلع منطقة ركيز أَفَلَّه.

أُنشيء قطاعُ تِيشّيتْ المتجول ورجع المقدم پاتي ومعه باقي القوات إلى تِجَـگْـجَه فوصلها يوم 12 فبراير.

يوم 13 فبراير1912، اتصل النقيب أوبير، عند آنْجي، بالعقيد **Roulet** قائد مفرزةِ تَنْبُكْتُو الذي كان قد دخل ولاته يوم 27 يناير 1912 دون إطلاق رصاصة واحدة.

– واصلت عصابة ولد سيدي لكحل عيثها في تَـگـانَتْ وأَرْقَـيْبَه والحافات الشرقية لـگُـورْگُـلْ. ولقدرتها الكبيرة على الحركة وانقسامها إلى مجموعات يصعب الإمساك بها وكذلك لاستفادتها من المتواطئين معها في الأحياء الموالية لنا، نجت هذه العصابة من مطاردة مفارزنا لها، مدةً طويلةً.

– رغم هذا كله، أدرك الملازم الأول **Maignan** مقيم [حاكم] اَمْبُودْ يوم 23 مايو 1912 عند مضيق اَگْـواْسَه نحو ثلاثين من أهل اَحْجُـورْ دخلوا تَـگَـانَتْ ثم انسحبوا إلى لَعْصَابَه، ففرقهم[1].

– يوم 23 نوفمبر، نجح النقيب أوبير في مفاجأة تلك العصابة وهي متجمعة في أَزَوَاذْ كَدَامَه على بعد حوالى عشرين ومائة كيلومتر شمال غربي وَلَاتَه. خسر

[1] ذكر جيليه أنه قتل منهم ستة وأسر واحدا بينما جرح ضابط صف أوروبي وقتل جنديان. ص 254. (المترجم).

المنشقون ثلاثة عشر قتيلا وخمسة اسرى وثلاثة عبيد وخمس عشرة بندقية سريعة الرمي ومراكبهم وأمتعتهم.

– يوم 28، أُدرِك وَلْد سِيدِي لَكْحَل وخمسةٌ وعشرين من الهاربين فتركوا على الميدان ثلاثة رجال وثلاث بنادق.

لم نتكبد أية خسارة في الاشتباك الأول[يوم 23][1] بينما كلفنا الثاني مقتل سبعة جمالة من البيظان وجرح أربعة.

– في آدْرَارْ، تغير موقف اَرْؤَيّاتْ الخاضعين لنا وخصوصا في الأشهر الأخيرة من السنة وكان علينا أن نواجه احتمال انشقاقهم القريب. ولكننا لم نر في هذا التغيير إلا نتيجةً لحركية هؤلاء البدو الذين يندبون حريتهم ويأملون أن يعودوا إلى غزواتهم المربحة. جُمعت ثلاث فصائل جمالة تحت إمرة الملازمين الأولين **Martin** و**Merello** في تِيجرِيتْ لمراقبة هذه الأحياء.

–دخل عدد كبير من الغزيان القادمة من جنوب المغرب إلى أراضينا ومارسوا النهب.

–في ابريل 1912 مر أحد هذه الغزيان وعدد أفراده أربعمائة رجل بتخوم آدْرَارْ واتجه إلى الْحَوْظْ حيث استولى على مئات الإبل. لكن النهابين، أثناء رجوعهم، وجدوا قواتنا تحرس ممرات حاجز تَـگَـانتْ.

–أدرك النقيب**Cautellier** مجموعة أولى منهم يوم 19 اكتوبر عند فَـرْدْ اَجَـارْ[2] ثم مجموعة ثانية يوم 21 عند أَمْ جَرْدَانْ. خسر اَرْؤَيّاتْ في هذين الاشتباكين أربعة قتلى وسبعة عشر أسيرا. كما استُرِدَّ منهم إثنا عشر عبدا كانوا قد سرقوهم، بالإضافة إلى 500 من الإبل. جُرح منا ضابط صف أوروبيٌّ ورقيبٌ إفريقي وجمالَيْن من البيظان.

[1] التوضيح من المترجم.
[2] هكذا ورد في النص ولعل المقصود فم أجار. (المترجم).

القسم الثاني عشر

سنة 1913

مفاجأة اَبْيِرَاتْ اَحْمَيْنْ – رتل اَصْمَارَه – وَادْ التَّـفْـلِيَّاتْ – بُوتَلِّيسْ.

في نهاية 1912، تزايدت انشقاقات اَرْقَيْبَاتْ الخاضعين لنا وذلك نتيجة لعوامل ثلاثة:

– إعلان الْهَيْبَه نفسه سلطانا على المغرب في مراكش.

– الدعاية النشطة التي يمارسها المبعوثون القادمون من وَادْ نُونْ.

– عودة أهل مَاء الْعَيْنِينْ لاحتلال اَصْمَارَه.

ورغم هذا كله، بقيت كل القبائل مترددة، ولم يكن بوسعها التصديقُ الكامل بأنباء هزائمنا في المغرب كما ينشرُها وبتحيزٍ كبيرٍ مبعوثو الْهَيْبَه. قررت جماعات اَرْقَـيْبَاتْ إرسال وفد إلى الشمال للتحقق من صحة هذه الأحداث. ذهب الوفد نهاية نوفمبر 1912 فوجد في السَّاقْيَه الْحَمْرَه محمد لَقْظَفْ ولد مَاء الْعَيْنِينْ الذي تولى قيادة الأعمال العدائية ضدنا ونجح في تجميع تَكْنَه واَرْقَـيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ. ولدى وصوله (محمد لَقْظَفْ) إلى اَصْمَارَه وجد غزيا كبيرا قيد الإعداد للاتجاه إلى أَزَوَادْ فغير هدفه لمهاجمة مفارزنا في آدْرَارْ. وسيفاجيء هذا الغزي مجموعة الملازم الأول مارتين ويكاد يقضي عليها.

1. مفاجأة لَبْيْرَاتْ:

كنا، في مطلع سنة 1913، نجهل تماما الدعاية المنظمة في صفوف اَرْقَيْبَاتْ ونشاطَ أولاد مَاء الْعَيْنِينْ في جنوب المغرب وتوحدَ قبائل السَّاقْيَه الْحَمْرَه ضدنا.وقد حرص محمد ولد الخليل على عدم إطلاعنا على تلك الأنباء. ورغم ذلك فقد شاع نبأ تشكُّلِ غزي كبير في الشمال لكننا اعتقدنا أنه، كسابقيه، يريد اكتساح إبل القبائل الخاضعة لنا في آدْرَارْ أو تلك الموجودة في الْحَوْظْ

وأَزَوَادْ. لم يقدر أحد أن هذا الغزي سيجرؤ على مهاجمة مفارزنا وكان الجمالــة على ثقة مطلقة بالأمان. أُهملت الإجراءات الأمنية الأكثر ضـــرورةً فَخدمـــةُ الحراسة غيرُ كافية ليلا ولا توجد استطلاعات بعيدة المـــدى ولا دوريـــاتٌ ولا مداومة. وكان الانضباط متراخٍ. أما الرمـــاة وخاصة حرسُ الجمالة فلم يكونوا فقط غير مجهزين [بأسلحتهم][1] أثناء الليل بل إنهم كانوا لاينامون في مـــواقعهم القتالية وكثيرٌ منهم قد جعل ذخائرَه في حقائب عليها أقفالُها.

وأخيرا، لم تكن شرطة الموقع مقامة فالحركة داخل المعسكر غير منظمة والرجال والنساء والصبية يتجولون بحرية وبأعذار متعددة دون التحقـــق مـــن هوياتهم.

كانت حالة مجموعة مارتين في الأيام الأولى من يناير 1913 هي التالية:

- ذهب الملازم الأول موريلو ومعه ثمانية عشر رام وسبعة جمالة من البيظان لاستقبال المقدم Mouret الذي يقوم بجولة تفقدية في آدْرَارْ.
- ينقسم باقي المجموعة الذي يتبدى في منطقة لَبّيْرَاتْ إلى:
- الرقيب Raynal وسبعة وعشرون رام يحرسون البئر.
- الملازم الأول مارتين ومعه رقيبا الـــدرك Bain وPelatan والرقيـــب Tissier وثمانية وخمسون رام وخمسون جمالا من البيظان وستة وعشرون راع مسلح. يوجد هذا القسم في المرعى على بعد عدة كيلومترات ولديه كامل الإبل.

أُقيم المعسكرُ على شكل مستطيل متجه من الشمال إلى الجنوب، يحتل الرمـــاة واجهتيه الكبيرتين والبيظان واجهتيه الصغيرتين. لم تقم زرائب مـــن الأشـــواك

---

1 التوضيح من المترجم.

لانعدام الأشجار في المنطقة كما لم تحفر خنادق محيطة بالمعسكر. اقتصرت خدمة الحراسة على مركز واحد يفرز حارسين عند طرفي خط زاوية هـذا المستطيل ليلا.

تمكن الغزي، الذي بلغ تعداده حوالى الثلاثمائة رجل، من الإختباء مدة يومين على بعد كيلومترات قليلة، دون أن نكتشف وجوده. ونجح جاسوسان منه في الدخول إلى المعسكر يوم 09 يناير مدعيان أنهما تاجران متجولان وجاباه في كل الاتجاهات.

اقترب العدو ليلا بعد حصوله على المعلومات الكافية وتأكده من تحقيق المفاجأة ثم هاجم بحيوية كبيرة قبيل طلوع الصبح.[1]

هاجمت موجة أولى ثم موجة ثانية الواجهةَ الشمالية التي يشغلها بعض البيظان فقُتل عدد منهم وهم نيام وهرب الآخرون. وفي نفس اللحظة، أحاطت مجموعتان أخريان بالواجهتين الشرقية والغربية فاكتُسِح المعسكرُ من كل الجهات. حدثت بلبلة فظيعة وأُجبِر الرماةُ، الذين استيقظوا مذعورين، على الانزياح جنوبا مع النساء والدواب.

خرج الملازم الأول مارتين ورقيبا الدرك پـن ويـالاتان وسط الأعداء، من خيامهم المنصوبة قرب الواجهة الشمالية. زحف الملازم الأول على ركبتيه بعد أن جرحت فخذه فوأخذ يفرغ مسدسه على المعتدين إلا أنه قتل في نفس اللحظة تقريبا.

---

[1] أي فجر العاشر يناير 1913 (المترجم).

أما الرقيب پـاين وكانت لديه بندقية كارابين بدون ذخائر فقد سيطر عدة رجال عليه وأمروه أن يقول لا إله إلا الله فوثب على أحدهم وعض شدقه فقطعها فسيطر عليه المهاجمون وقتلوه.

أطلقت النار على بالاتان عند خروجه من خيمته فسقط في مواجهة العدو دون محاولة للهرب أو تفكير فيه.

كان الرقيب تيسيي نائما قرب الواجهة الجنوبية فنجح في تجميع ستة رماة وثلاثة جمالة من البيظان وانسحب بهذا العدد الصغير، مواجها سرب الكلاب[1] الذي يطارده، نحو صخرة تبعد خمسين مترا لكنه قُتل قبل بلوغها وسقط من كانوا حوله بدورهم. سيطر الغزي خلال دقائق على المعسكر ولم يفلح في الهرب إلا بعض الرماة ونحو ثلاثين من البيظان.

بلغت خسائرنا: خمسين سنغاليا وسبعة عشر جمالا من البيظان[2]. استولى العدو على خمس ومائة بندقية كارابين وأكثر من عشرين ألف طلقة وخمسمائة من الإبل وكل أمتعة وأقوات وتجهيزات الجمالة.

وصل بعض الجرحى والرعاة إلى الرقيب راينال مساء نفس اليوم وأعلموه بالكارثة فبادر إلى حفر خندق حول معسكره واستعد لهجوم محتمل. لكن القسم الأكبر من الغزي رجع إلى الشمال بغنائمه واتجهت منه بضع مجموعات فقط إلى الجنوب لسرقة[3] الإبل.

---

[1] الظاهر من هذه اللغة غير اللائقة أن معركة لبيرات أثرت لسنوات طويلة في الذاكرة الاستعمارية. (المترجم).

[2] أي 67 يضاف إليهم الأوروبيون الأربعة فيكون العدد الإجمالي 71. (المترجم).

[3] هذه الشتيمة تأتي بعد خسائر فرنسية كبيرة كما رأينا. وكذلك صفة indigènes في الإحالة التالية. (المترجم).

يوم 15، رجع الملازم الأول موريلو بمفرزته. ويومي 17 و18، وصـل علـى التوالي النقيب گيرهارد مع ستين بندقية ثم فصيل الملازم الأول بيرتوميه. أديت مراسم الشرف الأخيرة للقتلي ورجع الجميع إلى أَطَارْ حيـث يجمـع المقـدم Mouret عناصر المطاردة.

2. رتـل أصْمَـارَه:

تلخصت معركة لَبَيْرَاتْ لدى سكان البلاد[1] في التالي: مفرزة فرنسية يتجـاوز عدد أفرادها الثلاثين والمائة، جيدةُ التأطير ومزودةٌ بكل ما تحتاجه من ذخـائر، هزمتها وكادت تبيدها مجموعةٌ من البيظان تقل عن الثلاثمائة لم تمن إلا بخـسائر طفيفةٍ نسبيا.

لا نستطيع أن نترك الاعتقاد في تراجع قيمتنا العسكرية يقوىَ، في بلد، القاعدةُ الوحيدةُ لسلطتنا فيه، هي سمعةُ وهيبةُ قواتنا. لذلك، كان لا بد من رد سـريع وقوي عـلى هذه العملية. قرر المقدمُ موريه مطاردة[2] النهابين أو على الأقـل تلقين المخيمات التي انطلقوا منهـا درسا قاسيا.

أ. التكوين:

يوم السابع فبراير 1913 تجمعت في تَيَارَتْ مفرزةُ جمالةٍ مـن مـائتي بندقيـة[3] وتمفصلت كالتالي:

- المقدم موريه، قائدا.
- النقيب لمواليغو والملازم الأول Dop ومساعدان.

---

[1] Indigènes. (المترجم).

[2] لم يكن إدراك الغزي معقولا ولا مقدرا بعد حوالى شهر من المعركة. بل كان الهدف الانتقام من أهل المقاومة في تلك المنطقة. (المترجم).

[3] هكذا في الأصل لكن مجموع ما ذكره من قوات هو 431 رجلا دون فصيلة الرشاشات التي لم يحدد عدد أفرادها! (المترجم).

- الدكتور Moutet، قائدا للمفرزة الصحية.

-<u>المجموعة الأولى</u>: النقيب گيرهارد .

- الملازم الأول موريليو .
- ضابطا صف أوروبيان.
- خمسون رام.
- أربعة وثلاثون جمالا من البيظان.
- الملازم الأول ماركينيه .
- ضابطا صف أوروبيان.
- خمسة وأربعون رام.
- إثنان وعشرون رام من البيظان.

-<u>المجموعة الثانية</u>: الملازم الأول بيرتومي.

- الملازم الأول Lecoutey.
- ضابطا صف أوروبيان.
- إثنان وأربعون رام.
- ستة وخمسون من جمالة البيظان.

-<u>المجموعة الثالثة التابعة مباشرة للمقدم</u>:

- فصيلة رشاشات.
- ضابط صف أوروبي.
- أربعة رماة.
- خمسون ومائة متعاون.
- تسعة مترجمين وأدلة.

وزعت على الرجال أقواتُ خمسة أيام وحملت القافلة أقواتَ أربعين يوم وستّمائة وألفَ لتر من الماء في براميل حديدية. كما حملت أربعمائة وأربع عشرة ألــف طلقة.

أُزيلت عقباتٌ كثيرة إذ لم يحمل الأوروبيون أسرّةً ولا خياما ولا مطابخ واكتفى كل واحد منهم بوضع أدواته الشخصية في حقيبة جلدية حملها على جمله.

ب. المسير:

تحركت قوة الاستطلاع من تَيَارَتْ يوم التاسع فبراير 1913 فمرت بتَازَاديِــتْ ولَبْحَرْ ثم بلغت قــَلْتَةْ لَمْنَاصَرْ يوم 21 من الشهر.

-أدركت مجموعةٌ من المتعاونين أُرسِلت يوم 18 فبراير، مجموعةً معاديةً تنــاهز الثلاثين فقتلت منها خمسة رجال وغنمت خمس بنادق، ثلاث منها مــن نــوع كارابين 92 كما غنمت مسدسا وبوصلة وبعض معــدات الرمــاة وواحــدا وعشرين جملا، ثمانية منها للفصائل[التي هوجمت في لَبْيَرَاتْ][1].

وجدنا مرتفعات الزَّمُّورْ خالية، تدل كل الآثار فيها على أن ســاكنيها اتجهــوا شمالا. استأنف الرتل مسيره يوم 22 فبراير 1913 ومر بعَكْلَاتْ اَمــْگــَــــالَه وتوقف يوم 28 صباحا على بعد عدة كيلومترات من اَصْمَارَه.

ج. دخول اصْمارَه:

استفاد عنصر استطلاع أرسلناه بعد الظهر، من عاصفة رملية شديدة، فاقترب من الزاوية التي بدت له خالية. اتُّخِذت كل الإجراءات لاجتياحهــا لــيلا وإن كان الدخول من أبوابها الخمسة في وقت واحد غير ممكن فهي قرية حقيقيــة، ممتدة الأسوار.

---

[1] التوضيح من المترجم.

نبهت أصوات الرجال والدواب وسط حجارة المنازل المتهدمة والأزقـــة أحـــدَ اَتْلَاميـــدْ ففر هاربا ونجا من المطاردة. في الصباح وجدنا خارج الزاوية عبدا في عريش أخبرنا بالتالي:

- قدم محمد لَقْظَفْ، أخو الْهَيْبَه، إلى هنا قبل أشهر مع ما يقارب المائـــة مـــن اَتْلَاميـــدْ.
- محمد لَقْظَفْ هو الذي أرسل غزي لَبَّيْرَاتْ.
- محمد لَقْظَفْ يعد الآن غزيا ثانيا أقوى من الغزي السابق لمهاجمة مفارزنا بـــل والمركز المقام في مدينة أَطَارْ.
- تتجمع المخيمات الآن في واديَيْ آرْنِي وتَارْنِي على بعد مائتي كيلومتر شرق اَصْمَارَه.

1. معركة واد التـــكَليات:

غادر الرتل اصماره يوم الثاني مارس 1913 متجها شرقا وأرسل استطلاعا عاد في اليوم التالي برجلين أكدا المعلومات السابقة وأن الْهَيْبَه يـــستعجل تـــشكيل الغزي الذي يقدر أن يتكون من ثمانمائة مقاتل.

لم يعد التردد ممكنا وأصبح من الملح أن نحاول بلوغ هذا الغزي وتفريقه لخطورته على آدْرَارْ. عَسْكَرَ الاستطلاع يوم السادس مارس في المكان الذي كان فيه ابن مَاء الْعَيْنِينْ قبل ذلك بأيام. وفي السابع مارس، توقف عند عَكْلَاتْ تَلْزَلْ عنـــد سفح لَحْمَادَه.

هربت القبائل مسرعة بعد أن أنذرها التلميذ الهارب من اَصْـــمَارَه ولجـــأت إلى الجبل. وكانت مطاردتهم في هذا الميدان الشديد الوعورة والملائم للكمائن تعني

إلقاءنا بأنفسنا في الفخ المنصوب لنا. وقد أصبح واجبا علينا إضافة إلى هذا كله، التفكير في الرجوع لأن الأقوات بدأت تنفد.

اتجه الرتل جنوبا يوم 08 مارس صباحا قاصدا نقطة المياه المسماة لَفَّيْرَه فأقــام يومي الثامن والتاسع في وَادْ تــقــلّيَاتْ منتظرا طليعتين أرسلت إحداهما صباح يوم 07 لاستطلاع منبع وَادْ تَارْنِي وتركت الثانية يوم 08 مارس على الطريــق لاستقبال الأولى وإيصالها إلى الرتــل.

لم تعد الطليعتان حتى صباح يوم التاسع مارس فدفع القلق على مصيرهما قيــادة الرتل إلى إرسال مجموعة تناهز الثلاثين متعاونا كلفتها بالرجوع إلى النقطة التي تركت فيها الطليعة الثانية والإتيان بها إن وجدتها وأُمرت هــذه المجموعــة، أن ترجع ليلا مهما كانت نتيجة المهمة.

في الساعة الخامسة مساء من نفس اليوم، سُمِع إطلاقٌ نار من جهة الطريق الذي سلكه الرتل في اليوم السالف، فأُمِر فصيلُ بيرتــومي بــالركوب والإســراع لتخليص رجالنا بينما يستعد باقي الرتل لاتباعه.

وهذا ما حصل: علمت الطليعة المرسلة في يوم 07، من بعض النساء في مخــيم صغير أن العدو يستعد لاتباعنا عندما يجد فرصة ملائمة فانسحب رجالنــا وزاد عددهم في الطريق بانضمام الطليعة الثانية ومجموعة الأعوان.

في مساء يوم 09، أدرك تجمعٌ معادٍ يضم بعض الفرسان الطليعــتين والأعــوانَ فهاجمهم ونجح في قطع الطريق أمامهم فلجؤوا إلى صخرة ظلــوا فيهــا حــتى وجدهم الملازم الأول بيرتومي.

بعد اشتباك قوي، نجح الملازم الأول في صد المهاجمين وكانوا أكثر من ثلاثمائة فانسحبوا وراء سلسلة صخرية تقع على مسافة تقل عن كيلومتر واحد شمال ميدان الاشتباك.

خلال هذا الاشتباك، الذي لم يكن إلا بين مقدمةٍ وساقةٍ[1]، خسر العدو خمسة عشر قتيلا وعشر بنادق ومسدسا واحدا وثلاثة عشر رجلا[2]. أما خسائرنا فكانت مقتل عونين وجرح ثلاثة جمالة وعون واحد. تجمع الرتل حوالى الساعة السابعة مساء حول الصخرة التي كانت ملجأ طلائعنا. واصل العدو إطلاق النار المتقطع على مواقعنا طوال الليل، بينما استمرت التعزيزات تصل إليه في كل لحظة. وكنا نسمع أصوات رجال القبائل وانتماءهم كما نسمع شتائمهم وتهديدهم لنا. وأحيانا سمعنا تكبيرهم ودعاءهم.

فاقت القوات التي تعين علينا أن نواجهها ثمانمائةَ رجل أكثرهم مسلحون ببنادق خفيفة مزودة بذخائر كثيرة–لأن النار التي كانت عنيفة بدرجة استثنائية منذ البداية، ظلت كثيفةً حتى نهاية المعركة. وقد كان الأعداء يحمسهم ويزيدهم تطرفا محمد لَقْظَفْ وأحد إخوته يسمى امربيه ربه وهو الشاب ذو الثمانية عشر عاما الذي تميز بنشاطه وبكرهه لنا.

مكنتنا الصيحات والدعوات والنيران الموقدة وتلك المطلقة على دورياتنا من تحديد شبه دقيق للمواقع التي يحتلها العدو؛ فوضع المقدم موريه خطته ليلا:

- كُلِّفت الفصيلةُ الثالثة التابعة لميريليو بالتقدم قليلا، عند انبلاج الصبح، إلى صخرة تقع خارج ميمنة العدو وخلفها إلى حد ما. وأُمِرت هذه الفصيلة

[1] أي مقدمة جيش المقاومة وساقة الفرنسيين. (المترجم).
[2] هكذا في النص ولم يحدد هل أسروا أم جرحوا. ولعله يقصد 13 جملا. (المترجم).

بإطلاق النار على العدو، من هذا الموقع، مع أول ضوء للصباح فإما أن تصيب مجنبته وإما أن تصيبه من الخلف.

- أُمِرت فصيلةُ الملازم الأول ماركينيه بمهاجمة قلب العدو، عند ضوء الصباح، على أن تسند تقدُّمَها رمايةُ الرشاشات وفصيل أوبير المتمركز، كاحتياط، على الصخرة.
- يلتف المعاونون على ميسرة العدو، في نفس اللحظة، ويهددون خط انسحابه.

ورغم هذه الخطة، إلا أن سوء الحظ قد جعل هذه المناورة لا تنفذ كما خُطِّطَ لها. وهذا ما جرى:

- أخطأت فصيلة ميريليو الإتجاه منذ البداية، فأصبحت في مواجهة الحاجز الصخري الذي تحتمي به ميمنة العدو. ورغم أن الفصيلة أفلحت بهجوم مفاجيء في اتخاذ موطيء قدم على هذا الحاجز، إلا أن البيظان لم ينهزموا مما اضطر رجالنا شبه المطوقين أن يقاتلوا من مسافات قصيرة. ما إن اتضح النهار وأدرك الملازم الأول ميريليو الوضع الذي توجد فيه فصيلته حتى بدأ يحاول التخلص والتقدم أكثر، يسارا، متبوعا بنصف فصيلة **Vilain**. ولما كانت هذه المناورة تتم تحت نيران قوية وفي ميدان مكشوف قُتِل الملازمُ الأول وجُرِح الرقيبُ وسقط رماة وحرس كثيرون قبل أن ينسحب الباقون بسرعة.

وأثناء تجميعه لهذه القوة، أصيب النقيبُ كيرهارد إصابة قاتلة بينما بقي نصف فصل راينال، حتى قبيل نهاية المعركة، متشبثا بموقع العدو ومقاتلا بقوة ومعنويات لا مثيل لها.

- كانت فصيلة ماركينيه قد تحركت مبكرة، لكن الرشاشات التي كان يجب أن تسندها تعطلت فلزم تفكيكُها وتنظيفُها فلم تشارك في المعركة إلا بعد أن أُجبِرت الفصيلةُ على التوقف والالتصاق بالأرض، لتعرُّضِها لنيران قوية وتحولت المعركة إلى معركة استنزاف.

- لم يدم الحماس الذي ذهب به المتعاونون طويلا. وبما أن العدو لم يظهر استعدادا للهرب، فتراجعوا إلى مستوى فصيلة ماركينيه. وعندما أنهوا ذخائرهم، وهذا ما فعلوه سريعا، لجؤوا إلى حُفَرِ الصخرة وشقوقِها للاحتماء.

بعد قتال عنيف، استمر عدة ساعات، أُجبِر الأحياءُ من نصف فصيلة راينال على التراجع وكان من الوارد أن يصبح الموقفُ حرجا.

- صمدت فصيلة ماركينيه، القادة بامتياز، أمام محاولات العدو تطويقها، لكنها بقيت وحيدة على خط النار.

ظهرت بوادر التعب على العدو وقدرنا أن ذخائره ستكون بدأت تنفد.

- حوالى الساعة العاشرة صباحا، أمر المقدمُ حرسَ جمالة فصيل بيرتومي بالركوب، معزَّزِين بعدد من الأعوان. كُلِّفت هذه المفرزةُ، التي ناهز عدد أفرادها السبعين رجلا تحت إمرة رقيب الدرك Buis، بتنفيذ حركة دائرية واسعة حول ميسرة العدو. وعندما رأى البيظانُ هذه القوةَ تهدد خط تراجعهم، تركوا القتال وهربوا إلى الشمال.

انتصرنا ولكن بثمن غال؛ فقد كانت خسائرنا يومي التاسع والعاشر مارس 1913، كالتالي:

- القتلى والمصابون إصابات قاتلة:

- النقيب گيرهارد.
- الملازم الأول ميريليو.
- 18 رام.
- 04 من الحرس.
- 05 من المتعاونين.
- الجرحى:
- ملازم أول.
- ضابط صف أوروبي.
- 20 رام.
- 15 حرسيا.
- 04 متعاونين.

أي خمسة وستون[1] رجلا خارج المعركة. وترك العدو على الميدان ثمانية وتسعين قتيلا منهم الخمسة عشر الذين قُتلوا في اليوم السابق. وحمل كثيرا من الجرحى. وأفادت المعلومات التي حصلنا عليها بعد ذلك أن عدد القتلى ومن قضوا بعيد المعركة متأثرين بجراحهم بلغ ثلاثين ومائة رجل. غنمنا ستا وعشرين بندقية سريعة ومسدسا واحدا وسبعة عشر جملا.

ما إن اختفى العدو، حتى جمعنا قتلانا ودفناهم ثم جمعنا من ميدان المعركة الأكياس الفارغة والرواحل المنكسرة وحرقنا أودفنا ما لم نستطع حمله[2].

[1] هكذا في الأصل ولكن مجموع من ذكرهم سبعون رجلا بين قتيل وجريح أي خارج المعركة. (المترجم).
[2] دفنوا كل شيء حتى الأكياس ولم يدفنوا قتلى عدوهم ! (المترجم).

اتجه الرتل، مساء نفس اليوم، إلى لفيره، فوصلها عند تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي. ومن لفيره، واصل الرتل مسيره، مباشرة، وعلى امتداد ستين وثلاثمائة كيلومتر عبر مفازة لا ماء فيها، إلى كَدْيَةْ الجّلْ. وعند عند نقطة مياه تَازَادِيتْ، دفن النقيب گيرهارد يوم 15 مارس 1913. وكان قد توفي قبل يومين، متأثرا بجراحه.

وصلت قوة الاستطلاع إلى أَطَارْ يوم 28 مارس 1913 .

إن هذه الغارة، التي نفذت بسرعة ونجاح عبر مناطق جرداء لم نكن قد وطئناها من قبل ومعارك وَادْ تــةْ لَيَّاتْ على بعد ثمانمائة كيلومتر من قاعدتنا وكــذلك الرجوع الذي جرى دون حادث رغم حمل الكثير من الجرحى والطــول غــير العادي لمراحل لا ماء فيها، أمور تظهر النتائج العظيمة التي وصل إليها ضباطنا وضباط صفنا في تكوين وتدريب[1] الجمالة.

إن معركة العاشر مارس 1913، هي بحق المعركة الأعنف الــتي قــدر لنــا أن نخوضها في موريتانيا حتى ذلك التاريخ. لقد مكنت شجاعة وأناة وصلابة الأطر الأوروبيين والرماة ورغبتهم المتقدة في الثأر لقتــلى لَبَيْرَاتْ من النــصر علــى عدو متفوق عددا، قوي التسليح، احتل موقعا قويا وأظهر شــجاعة متطرفــة حقا[2]. لكن هذه المعركة أكدت لنا أننا يجب، أمام عدو خطــير، ألا نعتمــد إلا على سنغاليينا[3].

أعيدت هيبة جيوشنا إلى قلوب أعدائنا. وأعيدت إلى قلوب محكومينا وذلك ما لا يقل أهمية. ولكن كان علينا ألا نغتر بالاعتقاد الخاطــيء أن هــذا النجــاح

---

[1] Dressageفي الأصل. (المترجم).
[2] ولا ذكر للجمالة والبيظان ولا لمتعاونيهم. ولا عزاء. (المترجم).
[3] ولا عزاء للمتعاونين من أبناء البلد. (المترجم).

سينهي أنشطة النهابين. في الصحراء، يلذُ الغزوُ الغزوَ وتبقى أقسى الدروس الملقنة للبدو قليلة الفائدة ما لم تتم السيطرة على مجالات تنقلهم وقواعد تموينهم.

انشقت أغلبية اَرْقَيّبَاتْ، التابعين لنا، بعد مفاجأة لَبَيْرَاتْ، ولم يبق سوى ما يناهز الثلاثين خيمة متجمعين حول محمد وَلْد الْخَلِيل.

في شهر ابريل 1913، لوحظ قدوم غزي من حوالى ثمانمائة رجل من اَرْقَيّبَاتْ وتَكْنَه انقسم إلى عدة مجموعات إحداها قادها اَمْحَيْمَّدْ وَلْد محمد وَلْد الْخَلِيلْ الذي أجبر والده والأحياء التي ظلت مخلصة له، على الذهاب شمالا. أما بقية المجموعات فنزلت جنوبا، محاولة الاستيلاء على الإبل في آدْرَارْ واَتْرَارْزَه.

تفادى النهابون بدقة جمالتنا بل وحتى المتعاونين معنا وفروا عند كل تماس معهم. لم يرجع النهابون إلا بغنائم قليلة، بعد أن خسروا سبعة وخمسين رجلا.

واصل محاربو اَتْرَارْزَه وآدْرَارْ الظهور كأفضل معاونينا. وفي اشتباك واحد، قَتل أميرُ اَتْرَارْزَه[1] إثنا عشر رجلا وأسر ستة وغنم اثنتا عشرة بندقية وبجزء من القطعان المسروقة.

أما الشاب وَلْد عَيْدَه[2]، أسير تِيشِّيتْ، الذي عُيِّنَ أميرا على آدْرَارْ استجابة لإلحاح كل السكان [أهل آدْرَارْ][3]، فقد أثبت شجاعته وحيويته وإخلاصه. وبعد أن شارك في رتل اَصْمَارَه وقاتل إلى جنب رماتنا فقد تكفل مع مجموعة الجمالة التي شكلها بحماية آدْرَارْ مما سمح لفصائل الجمالة بالاستراحة التي كانت في حاجة إليها [بعد معارك رتل اصْمَارَة السالفة الذكر][4].

---

[1] الأمير احمد لد محمد فال المشهور بولد الديد. (المترجم).
[2] الأمير سيد احمد ولد احمد ولد عيده. (المترجم).
[3] التوضيح من المترجم.
[4] التوضيح من المترجم.

2. اغـقَـيلة انمَادي:

في نهاية يوليو1913، فاجأ أهل احْجُوزْ التابعون لنا، حوالى الثلاثين من اَرْڤَيّات قرب اغْــقَــيْلَةْ اغاديب[1] فقتلوا منهم عشرة وغنموا 09 بنادق وأربعة جمال.

وأثناء هربهم إلى الشمال، حدد الأعداء مكان حظيرة فصائل الجمالة قرب لَبّيَار. وما إن رجع إلى مخيمه حتى قام قائد هذا الغزي،[اَعْلِ] وَلْد مَيَّارَه بتشيكل وتنظيم غزي جديد من أربعمائة رجل للقيام بعملية مماثلة لعملية لَبّيْرَاتْ الناجحة.

3. اشتباك بُوتَلّيسْ:

في اليوم الثالث من سبتمبر 1913 ذهب الغزي السالف من بِيرْ أَمْ اَڤْــرَيْنْ ووصل في الليلة الفاصلة بين يومي 17 و18 إلى مسافة قريبة من معسكر الجمالة.

أبلغت الاستطلاعاتُ الغزيَّ أن المعسكر محروس جيدا وأقوى من أن يُكتسح بسهولة فــقرر النهابون عندئذ مهاجمة المرعى فاقتربوا منه فجرا واختبــؤوا في مجــرى واد مشجر.

أعلنت حالة الطواريء فورا لكن الأعداء هاجموا بسرعة وقوة بينما الحرس المكونون من ثمانية وعشرين رام وستة وعشرين من حرس الجمالة يأخذون مواقعهم الدفاعية.

تفرق حرس الجمالة، متذرعين بمساعدة الرعاة على طرد الإبل نحو الحظيرة ولكنــهم في الحقيقة فعلوا ذلك ليهربوا.

أما الرماة الثمانية والعشرون فقد بقوا مشتبكين مع معظم العدو الذي انفصل منــه حوالى خمسين رجلا فقط للاستيلاء على الإبل. ضحت هذه المجموعة الــصغيرة مــن الرماة بنفسها وبشجاعة منقطعة النظير، لإنقاذ القطعان التي كلفت بحراستها.

كان اليوم عاصفا والرماة الموجودون عند الحظيرة على بعــد ثلاثــة كيلــومترات يتدربون على الرماية فلم يسمعوا أصوات الاشتباك أو يعلموا به حتى جاء راع أخبر الضباط بما جرى. أسرع الحرس الجمالة ومفرزة من الرماة وحينما وصــلوا ميــدان

---

[1] هكذا في الأصل والأرجح ما أثبتناه أي اَعْقَيلة انْمَادِي. (المترجم).

المعركة وجدوا كل شيء قد انتهى. قُتِل ستةٌ وعشرون من الرماة وجُرِح الإثنان الباقيان واستولى العدو على ثمانية وعشرين بندقية كارابين. لكن تضحية رجالنا لم تذهب سدى، فلم يستول العدو على أكثر من تسعين من الإبل.

لم تعط المطاردة التي نفذت فورا أية نتيجة فقد أُدرِك اَرْقَـيْبَاتْ عند الْبَـيَّظْ لكنهم رفضوا القتال وهربوا إلى الشمال مستفيدين من تفوق جمالهم[1].

بعد أن احتبأ اَرْقَـيْبَاتْ في كثبان أَمَقْطِير، اتجهوا إلى الْحَوْظْ حيث هزمهم وفرقهم فصيلُ جمالة وَلَاتَه، خلال شهر اكتوبر. وأثناء عودة الغزي إلى الشمال، قامت مجموعات منه، لم تتقبل الرجوع خالية الوفاض، بعمليات نهب في تَـگَـانَتْ وآدْرَارْ، فطاردها مسلحونا وقتل أهل اَحْجُورْ واَتْوَابِيرْ تسعة منهم وسلبوهم ثمانية بنادق وحوالى الخمسة عشر من الإبل.

أثَّرَت سنةُ 1913 بشدة في وحدات جمالتنا فأصبح مهما أن تُداوَى تلك الجراحُ سريعا كما أصبح مهما أيضا رفعُ معنويات وحداتنا والسكانِ التابعين لنا.

بدأت منذ نهاية 1913 عملياتٌ كبيرةٌ لشراء الجمال في كل موريتانيا وفي أعالي السنغال والنيجر.

وفي مدة ثلاثة أشهر، تلقت فصائل آدْرَارْ أربعمائة جمل مكنتها من استعادة القدرة على تأدية الدور الفاعل المنوط بها كما رُفِع عددُ الرماة إلى سبعة وخمسين في كل فصيلة وجُدِّدَ السلاحُ ومكنت قروض استثنائية من إعادة التزود بالتجهيزات الخاصة[2].

وفي منطقة أَبْيَارْ تَاگُـنَائتْ بشمال اَتْرَارْزَه، أسند تجمُّعٌ يتكون من خمسين رام قادمين من اَلْدَرْ وخمسين فارس وخمسين جمال، مقاتلي المنطقة.

كما عُزِّزت فصائلُ جمالة آدْرَارْ برماة فصيل اَتْرَارْزَه الستين وحرسه الستين.

---

[1] للإبل في حياة الموريتانيين مكانة قديمة وموقع متميز، لذلك استجادوها وتفننوا في مدحها والتغني بها. (المترجم).

[2] أي التجهيزات الضرورية الأخرى غير الأسلحة والجمال. (المترجم).

يمكن لهذين التجمعين اللذين، تغطيهما دوريات بعيدة المدى، أن يتجمعا خلال عدة أيام وهما قوة قادرة على مواجهة كل الاحتمالات.

وأخيرا، بدأ تكتل أعدائنا يتفكك. لم يهتم اَرْقَـيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ وئكْنَه باتباع الْهَيّبَه في مغامرته المغربية ولم يمتثلوا لإقتراحاته إلا بقدر ما كانت تخدم مصالحهم وعاداهم في النهب. وهم وإن كان ليس بمقدورهم الاستغناءُ عن سوق جنوب المغرب فإنهم مع ذلك يظلون متجهين إلى موريتانيا لأن مراعيها ضرورية لمواشيهم الكثيرة كما أنها توفر أهدافا معروفة لأعمال النهب التي يقومون بها[1].

في نهاية 1912، بدأ محمد ولد الخليل، الذي كان ما يزال رسميا قائد معسكر السلام، مفاوضات للحصول على الأمان. وقد حضر إلى أَطَارْ في ابريل 1913 ورافق أمير آدْرَارْ إلى داكار.

منعت الإجراءات الأمنية التي اتخذناها اللصوص، طوال الأشهر الأولى من السنة، من الاستمرار في نشاطاتهم. ولما شاع أننا نعد عملية جديدة في السَّاقْيَه الْحَمْرَه، انسحبت المخيمات حتى وادي دَرْعَه. ولكن اَرْقَيْبَاتْ وأولاد اَدْلَيْمْ عادوا إلى غاراتهم، في الصيف، بعد أن اطمأنوا إلى نوايانا.

– هاجم أنصارنا من أَوْلَادْ بَسْبَعْ يوم 23 مايو 1913 عصابةً أولى من أولاد اَدْلَيْمْ واَسْوَاعَدْ[2] عددها واحد وأربعون رجلا فقتلوا منها ستة عشر وغنموا عشرين جملا وتسع بنادق.

---

[1] ارتباط هذه القبائل بموريتانيا كما وضع الأروبيون حدودها أعمق بكثير مما ذكره، فهي بيظانية قبل الاستعمار ولادة الدولة الحديثة موريتانيا بحدودها الراهنة، تعودت أن تجوب اتراب البيظان منذ مئات السنين ترعى السماء حيث نزلت ولها في كل موضع أثر أو ذكرى. ولذلك دافعت عنها باستماتة. وليس العجب أن ترتبط أو تهتم بهذه الأرض ،أرضها، بل العجب أن يأتي أجنبي يقسم بخطوط وهمية نسيج جسد ثقافي وتاريخي وبشري واحد ثم يستكثر على أهله أن يرنو أحدهم ببصره نحو أخيه وداره وراء تلك الخطوط الجروح. (المترجم).

[2] أحد بطون ارقيبات. (المترجم).

- هرب الباقون من هذه العصابة شمالا وأخذوا في طريقهم مائة وخمسين جمل لأهل بَارِكَلّ[1] فطاردهم فصيل جمالة آدْرَارْ الثاني وأدركهم في كثبان اعْظَمْ لَفْكَارِينْ. هرب العدو متفرقا في كل الإتجاهات لكنه ترك ثلاث عشرة راحلة وعبدين وعشرين ومائة جمل مسروقة.
- غادرت مجموعة أخرى من ثلاثة وثمانين من اَرْڤَيَّاتْ وادي دَرْعَه ووصلت منطقة انْدَامَه[2] على بعد خمسين ومائة كيلومتر شرق تِيشِّيتْ. بعد تسع وعشرين ساعة من المطاردة المستمرة، أدركت مفرزةٌ من حرس فصيل تِيشِّيتْ هذه المجموعةَ عند الشَّبِّي فقتلت ثمانية منها وأسرت ستة وغنمت ستة وعشرين راحلة وعشرين بندقية. ضاع نحو عشرين رجل من المجموعة في الصحراء فماتوا عطشا. ولم نخسر سوى حرسي واحد.
- اتجه باقي هذا الغزي أي حوالى سبعة وأربعين رجلا إلى قائبْ واكتسح يوم 28 مايو قافلة حرة متجهة إلى مركز تِيشِّيتْ وقطع آوْكَارْ ونهب ثلاثمائة من إبل مَسُّومَه[3].

وأثناء عودته إلى الشمال بغنائمه، هاجمته يوم الثامن يونيو 1913 دورية من حرس الجمالة فقتلت منه أربعة رجال وأخذت منه ستة بنادق وأجبرته على التخلي عن ستين ومائتين من الإبل وإثني عشر عبد. ونجا اللصوص من التدمير بفضل الطبيعة الجبلية للمنطقة.

---

[1] بلام مغلظة. (المترجم).

2 لعله يقصد أزواد كدامه في منطقة الباطن بين ولاته وتيشيت. (المترجم).

[3] لم أجد ذكرا لهذا الحدث عند مجموعة مسومة في الحوض، أما الذي نعرفه وأدركنا أهلنا يحكونه فهو أن غزيا من ارقيبات قدم منطقة الحوظ في إحدى تلك السنين ومر بحي أهل بيه ففزع الناس واجتمعوا حول خيمة شيخنا الشيخ محمد محمود ولد بيه رحمه الله (ت:1918) ولاذوا بها والشيخ يقرأ في مصحفه فجاء زعماء الغزي فلم يقطع قراءته ولا قام من مكانه فعجبوا لسكينته ووقاره وطلبوا صالح دعائه بالنصر على الكفار ومن والاهم وانصرفوا لم يرزؤوا أحدا شيئا. وأثناء مسيرهم أخذ واحد منهم جارية لأهل آمَّيْتِيرْ من تلاميذ الشيخ كانت تحتطب ولما علم بها رؤساؤه ليلا ردوها وأعطوها قطعة من القماش "بيصة من الخنط" فعادت إلى أهلها بعد يوم سالمة غانمة. (المترجم).

– في نهاية يونيو، نجح هؤلاء النهابون أنفسُهم، مرة أخرى، في اكتساح بعض إبل اَشْرَاتيتْ وتَاگَـاطْ ثم قرروا العودة إلى الشمال بسرعة. وبعد أن قطعت هذه المجموعة أَم العيون، انقسمت قسمين تمكن جمالة آدْرَارْ من إدراكهما كلا على حده. أُدْرِك القسمُ الأول يوم 27 يونيو فخسر ستة رجال وست بنادق وتسعا وخمسين من الإبل وأربعة عبيد.

أما الثاني فأُدرِك، بعد مطاردة على امتداد ستين ومائتي كيلومتر، وخسر عشرة قتلى وخمس عشرة بندقية وكل ركائبه وغنائمه أي أكثر من مائتين من الإبل. أُجبِر الناجون على الهرب راجلين فتكبدوا خسائر أخرى بسبب الجوع والعطش. لم نخسر سوى قتيلين وعشرة جرحى.

تظهر هذه الانتصارات الرائعة يقظة وحيوية جمالتنا وتثبت جودة التنظيم الذي تم القيام به. أوحت هذه الانتصارات بالإضافة إلى المفاوضات التي شُرِع فيها مع منشقي الشمال، بالثقة لدى القبائل التي نحكمها وكانت الضمان الأمثل لطاعتها.

في هذا الجو من القوة والأمان، تناهت إلى البلاد الأنباء الأولى عن الحرب الأوروبية[1].

---

[1] أي الحرب العالمية الأولى التي استمرت من سنة 1914 حتى سنة 1918. (المترجم).

القسم الثالث عشر

موريتانيا أثناء الحرب(1914-1918)- وصل موريتانيا والجنوب الجزائري[1](استطلاع Augieras - Lauzanne: 1919-1920)

أولا: موريتانيا أثناء الحرب(1914-1918):

ما إن بدأت الحرب حتى توالت على الإدارة الفرنسية رسائل التأييد والطاعة من الزعماء المهمين والمشايخ[2] الأكثر تأثيرا . وطوال كل فترة الصراع، لم يتناقض موقف مَحْمِّينا، رغم الدعاية العنيفة الموجهة من أقصى جنوب المغرب ومن وَادْ اَذْهَبْ.

قدمت موريتانيا بين سنتي 1915 و 1918 ألفين ومائة وأربعين مجندا من العرق الأسود[3] أي حوالى 5% من العدد الإجمالي منهم[4] كما وفر السودان غالبية المتطوعين في فصيل جمالة تيشِّيتْ. أما البيظان، فقد قدموا حرس جمالة الفصائل الترابية Pelotons du territoire. وقُدِّمَ [من طرف الموريتانيين] للدفاع الوطني[5] :

---

[1] الحقيقة أن الاتصال الذي تم بين الوحدات الفرنسية في البلدين كان خطوة أخرى لفصل أجزاء اتراب البيظان بعضها عن بعض. (المترجم).

[2] هذا صحيح إلى حد كبير فلدينا نماذج من تلك الرسائل نثرا وشعرا تستدعي من الذاكرة افتتان بعض مشايخ مصر بضباط بونابارت رغم اختلاف الموضوعين. وإن كان ما سنلحقه يتعلق بأيام الحرب الثانية فإن قياس ما كتب في الحرب الأولى عليه، جائز. ينظر الملحق 7 مثلا (المترجم).

[3] في الأصل: recrues de race noire...(المترجم).

[4] يكون بذلك عدد السكان السودان آنذاك حوالى 42960 نسمة. (المترجم).

[5] وقدموا "مساهماتهم للدفاع الوطني" خلال الحرب الثانية. ولم يكن ذلك بطيب نفس بل تلبية لطلب من الإدارة الفرنسية لا يمكن رده. وزادت هذه الغرامات البلاد والعباد إنهاكا خلال سنين صعبة من الحروب والمغارم والجفاف. انظر: journal de l'A. O. F. Juillet 1940: ص:807 - 814. (المترجم).

- 3.400 طن من الدخن.
- 112 طن من Gousses de gonakies[1] .
- 5.600 ثورا أُرسِلت إلى مصنع التبريد في لِيَنْدّيان[2].
- 75.000 فرنك إلى مؤسسات الإعانة.

ثانيا: وصل موريتانيا والجنوب الجزائري:

ظلت حالة موريتانيا السياسية بين سنتي 1919 و1920 من أكثر الحالات إرضاء، سواء في آذْرَارْ أو باقي المناطق. فالزعماء والأعيان والسكان خاضعون وموالون لنفوذنا[3]. والضرائب تُجبى دون صعوبة. أما التجارة فتتسع وتصبح باطراد أكثر نشاطا بين الجنوب والشمال.

بدا أن كدية الجل الواقعة على تخوم آذْرَارْ والتي تتعاظم أهميتها كل يوم كملتقى للقوافل، ستكون المقرَّ المقبل للمقاطعة التي ستقام في آذْرَارْ.

ظلت حدود هذه الدائرة، التي يراقبها جمالتنا، مهابة طوال هذ الفترة. لم يأت أي غزي لإزعاج السكان الواقعين تحت حمايتنا ولا قوافل التموين المتنقلة بين مراكز الجنوب ومراكز الشمال وبين هذه الأخيرة وبين المخازن المتقدمة لأغذية الفصائل الجمالة.

---

[1] لم نجد الإسم العربي أو المحلي لهذا المنتج الغذائي. (المترجم).
[2] في السنغال.(المترجم).
[3] لعل الأسباب الأقوى كانت توالي الجفاف والأوبئة فسنة 1917 هي سنة "المغواس" أي وباء الحمى الصفراء وسنة 1920 هي سنة "العمايه الحمره" أو "لغميم لحمر" لانقطاع المطر وجدب الأرض وكثرة العواصف الرملية(المترجم).

ظلت بعض بطون القبائل المجاورة من اَرْقـَـيْبَاتْ والشيخ مَاء الْعَيْـنينْ[1] وأولاد اَدْلَيْمْ وَاَسْوَاعَدْ[2] وأَهْلْ السَّاحَلْ[3] تضم بعض المجموعات المنشقة عنـا. ولكـن زعماء هذه القبائل المهمين وخصوصا وَلْد الْخَلِيلْ والطَّالَبْ اَخْيَـارْ المـساندَيْنِ لقضيتنا والمتمسكين بها ساعدونا على معاقبة المنشقين المفسدين وعلـى إقنـاع المترددين بالانضمام إلينا. لا يمكننا أن ننهي هذه الدراسة عن تاريخ موريتانيـا دون تناول حدث يلخص وحده التقدم المحقق في الصحراء الغربية، سواء مـن الناحية السياسية أو من النواحي الجغرافية والعسكرية: إنه تحقيق الاتصال بـين موريتانيا والجنوب الجزائري عبر المنطقة الـصحراوية الممتـدة بـين هـاتين المستعمرتين على طول ثمانمائة كيلومتر.

كانت اللبنة الأولى لهذا الاتصال، قد وضعها الاستطلاع السياسي والجغـرافي الذي قام به الملازم الأول **Bernard** قائد الفصيل الثاني من جمالة آدْرَارْ، سنة 1919.

لقد ذهب يوم 27 نوفمبر وعاد يوم 17 دجمبر إلى الحظيرة بعد أن استطلع آبار بئر اَزْرَيْـڤَــاتْ[4] على بعد خمسة وأربعين ومائتي كيلومتر من الغَلَاوِيَّه.

في سنة 1920، تم وصل موريتانيا والجزائر بواسطة قوتيْ استطلاع ذهبتا في آن واحد من آدْرَارْ والصَّاوره، الأولى تحت قيادة الرائد **Lauzanne** والثانية تحت

---

[1] هكذا. وتحتها خط أحمر غير مطبوع وتقابلها علامة استفهام إما من المؤلف نفسه أثناء مراجعة عمله أو من قاريء تفطن إلى أن الشيخ مَاء الْعَيْنَينْ رحمه الله ليس قبيلة. (المترجم).

[2] الواقع أن هؤلاء بطن من ارقيبات. (المترجم).

[3] هكذا في النص وربما خلط أو أراد باقي قبائل أهل الساحل أي الشمال الموريتاني والصحراء الغربية بحدودهما الراهنة. (المترجم).

[4] هكذا. (المترجم (المترجم).

قيادة النقيب Augieras. وكانت لهذه المهمة أهداف سياسية وجغرافية وعسكرية معاً. وقد أرادت:

1. حماية بعيدة المدى لأَزَ كَايْ [قافلة] تَاوْدَنِّي.

2. استطلاع منطقة الحنك وآبارها.

3. أن تظهر للعناصر المنشقة من اَرْقَيْبَاتْ أن أحياءها ليست مستعصية على الغزو.

وكانت أهميةُ هذا الاستطلاع قد لفتت في السنة السالفة انتباهَ والِيَيْ الجزائر وافريقيا الغربية الفرنسية العامين فاتفقا بعد مشاورات بينهما أن تقوم القوات المحمولة الجزائرية والموريتانية بتنفيذ هذه المهمة الأمنية عبر الصحراء وحددا بئر لَمْزَرَّبْ في الْحَنَكْ، نقطة لإلتقائها يوم 23 دجمبر1920.

وقد لفت التقرير الذي وضعه النقيب أوغييرا، حول الوسائل والأساليب الملائمة لتنفيذ هذه المهة، نظر هذه القيادات العليا، بشكل خاص، واعتمدت في النهاية الخلاصات التي توصل إليها.

ولأن قوة الاستطلاع الموريتانية المكلفة بهذه المهمة تكونت من عناصر الفصيل الثاني من جمالة آدْرَارْ ، فقد أقيم، منذ بداية نوفمبر، ترتيب المراقبة الآتي في المنطقة:

1. الأنصار من أولاد اَدْلَيْمْ في القاطع الغربي.

2. فصيل الجمالة الأول في القاطع الشمالي الغربي.

3. فصيل اَتْرَارْزَه، الذي أبدل في الغرب بأولاد اَدْلَيْمْ، في القاطع الشمالي الشرقي.

4. قبائل اظْهَرْ[1] في القاطع الشرقي.

نُفّذ مخططُ الاتصال بدقة بعد أن أُعِدَّ سياسيا وعسكريا من طرف السيد Rivert والمقدم Gaden مفوض الحكومة العسكرية في موريتانيا والرائد لوزان حاكم دائرة آدْرَارْ.

تحركت مفرزة آدْرَارْ الاستطلاعية من الْغَلّاوِيَّه، قاعدة انطلاقها، يوم 05 دجمبر 1920، حاملة أقواتا تكفي أربعين يوما. وتشكلت كما يلي:

- الرائد لوزان قائد المفرزة.
- الملازم الأول Thoine قائد فصيل الجمالة الثاني.
- الرقيبان Pierson وBadaut .
- رقيبان سنغاليان.
- خمسة عرفاء سينغاليون.
- خمسون رام سينغالي.
- خمسة وعشرون من الحرس الجمالة.
- ثلاثون متعاونا.

أي ما مجموعه خمسة وثمانون بندقية[2].

مرت القوة، تباعا على بِيرْ اَزْ رَيْـقَـاتْ-بِير عَمْرَانْ-اَغْـفَـيْلَةْ التَّبْكَـه-لَمْغَيْطِّي-تَاكُـوجَالَتْ-لَمَّيْلْحَانْ. ووصلت دون حادث إلى آبار لَمْـزَرَّبْ يوم 23 دجمبر 1920 حيث انضم إليها في اليوم الموالي النقيب أوغيرا بقـوة تكاد توازيها حجما.

---

[1] أي اظهر آدْرَارْ. (المترجم).

[2] لكن مجموع من ذكرهم تسعة وثمانون إلا أن يكون استثنى الأوروبيين الأربعة عمدا. (المترجم).

اجتمعت المفرزتان عند لَمْـــزْ رَّبْ ثم غادرتاه يوم 26 دجمبر إلى اَعْيُــونْ عبــد المالك، و هي نقطة مياه دائمة التي كان من اللازم أن يجري اســتطلاعها مــن طرف جمالة موريتانيا وجمالة الجزائر معا وهو تصرف مهــم حيــال منــشقي لَــڤْــوَاسَمْ.

وقعت حادثة مؤلمة أثناء هذه العملية. لقد أرسل الرائد لوزان دورية من رقيب حرس وخمسة من الحرس ودليل لاستقبال النقيب أوغيرا وأثناء سيرها فاجأت هذه الدورية قطيعين من الإبل كان بعض النهابين قد اكتسحوهما مــن الحــوظ فأعادهما إلى المعسكر.

ولكن هذه الدورية أُرسلت في اليوم التالي على آثار قطيع ثالث، ولم تظهر بعد ذلك. وقد علمنا لاحقا أن الحرس أبيدوا جميعا بينما انضم دليلهم النوشــه[1] إلى المنشقين.

قَفَل الجزائريون إلى الشمال يوم 30 دجمبر وولى الموريتانيون إلى الجنوب يرافقهم النقيب أوغيرا ووصلوا إلى أَطَارْ عبر شمال مَقْطِير مستطلعين الخــط وجوانبــه ومارين تباعا باغْيون عبد المالك واغْــڤَيْلَةْ لَمَّيْلْحَه ولَمْحيْزَمْ وآوْشيشْ وبِــيرْ الطالب.

رجع النقيب أوغيرا إلى الجزائر، عبر اَنْدَرْ، لتقديم تقريره عن المهمة.

حفل هذا الاستطلاع بالنتائج وأنجز التالي:

- دفع كثيرا من الأحياء إلى الدخول في طاعتنا.
- أظهر لأَرْڤَــيّاتْ أن مضاربهم ليست بمنجىً من قواتنا.
- مكن من استرجاع قطعان سُلبت من منطقة الحوظ.[2]

---

[1] هكذا في الأصل ولعله اسم الدليل. (المترجم).
[2] ماذا كان المستعمر يفعل بالإبل التي يسترجعها؟ هل حقا يعيدها إلى أهلها؟ (المترجم).

- درب جمالتنا وعزز ثقتهم في أنفسهم بإيصالهم إلى المياه التي ينطلق منها العدو.

- مكن من معرفة ورسم خريطة مناطق واسعةلم تك قد اكتشف قبلُ.

إن هذه النتائج الممتازة تشرف أولئكَ الذين أعدوا تلك المهمة وأولئك الذين نفذوها.

وهكذا بدأت سنة 1920 بداية سعيدة، تبشر بأن موريتانيا التي أصبحت إحدى مستعمرات إفريقيا الغربية الفرنسية منذ فاتح يناير 1920، ستمضي قدما في طريق النمو والازدهار، بفضل جو السلم والاستقرار الذي هَيَّأهُ القادة والإداريون الذين تولوا المهمة النبيلة لإعداد والترسيخ التنظيم الراهن للبلاد.

الملاحق

الملحق 1.

الصفحة الاولى من الوثيقة

- 1 -

HISTORIQUE DES OPERATIONS MILITAIRES

entreprises en Mauritanie

-:-:-:-:-:-:-:-

AVANT PROPOS

-:-:-:-:-:-:-

Les limites de la Mauritanie sont dificiles à préciser. Au nord, entre la Seguiet el Hamra et l'Oued Noun, les Maures se mélangent aux populations marocaines; au nord-est, ils ne dépassent pas l'Iguidi et le Djouf; à l'est, ils vont jusqu'au Méridien de Tombouctou - quelques fractions vivent même en plein pays Touareg au Sud enfin, le Sénégal, de N'Diago à Kaédi et une ligne passant un peu au Nord de Sélibaby, de Nioro et de Goumbou représentent approximativement la ligne de démarcation entre les Noirs et les maures.

La Mauritanie n'a pas été toujours aussi étendue en XIe siècle les noirs l'occupaient jusqu'a plus de [illegible] Kilomètres au nord du Sénégal et on voit encore dans le Tagant et l'Adrar les ruines de leurs villages. Ils ont été progressivement refoulés vers le sud et au commencement du XIXe siècle, les maures avaient commencé la conquête de la rive gauche du fleuve; les princes du Oualo se reconnaissaient les vassaux des Trarzas dont l'autorité et les déprédations s'étendaient peu à peu sur le Djolof et le Cayor.

La plupart des tribus maures prétendent être d'origine arabe et bon nombre d'entre elles se donnent même comme ancêtre un compagnon du prophète, ahmed ben [dr] annar. En réalité presquetous les maures sont des berbères...........

الملحق 2:

الصفحة الاخيرة من الوثيقة.

119

Ces brillants résultats font honneur et à ceux qui ont préparé la mission et à ceux qui l'ont exécutée.

L'année 1920 s'ouvre ainsi sous d'heureux auspices et l'on peut prévoir que la Mauritanie qui est devenue Colonie de l'Afrique Occidentale Française depuis le 1er Janvier 1920, verra dans l'avenir son essor se développer toujours davantage grâce à l'atmosphère de paix et de tranquilité qu'ont su y apporter les Chefs et Administrateurs qui ont eu la glorieuse mission de préparer et d'asseoir son organisation actuelle.

رسالة إخبارية إلى الفرنسيين الملحق 3 الأصل.

Au nom de Dieu &c.........&c..........

De la part de à l'ami intime et sincère le Colonel Montané Capdebosc Représentant du Gouvernement Française en Pays Maure.

Salutations douces et parfumées &c........&c.........

Je t'apprends qu'un homme digne de foi est arrivé de l'Adrar et donne les renseignements suivants;

Ould Aida(Emir de l'Adrar)Ataman,Chef des Edouaich Abakak) Mokhtar Ould Ahmed(Chef des Adouaich Chrattit Mouhamed El-Mokhtar Ould El Hamid(Chef des Kounta)Wenn Sidi El Mokhtar Ben Mouhammed Mahmoud Ben Abdallahi(Chef des Ahel Sidi Mahmoud) Ben Benahi(........................) Mahmoud)Ahmedou(ancien Emir du Brakna) Sidi Ould Mouhammed Fall(ancien Emir du Trarza) ainsi que les autres notables et chefs marabôuts n'ont pas obtenu de Cheikh Ma-El-Ainin ce qu'ils désiraient.

Ce marabout est parti avec eux pour les conduire auprès du Sultan Abdul Aziz.

C'est le nommé El Kaouri Ould Embareck(qui était parti dans le Nord avec les chefs) qui est revenu dans l'Adrar où il a donné ces nouvelles.

L'homme sûr qui nous donne ces renseignements dit également que les Oulads Sidia(fraction des Ouled Ghailane ont tué le nommé Mouhammed Ould El Mokhtar Ould Soueid Ahmed(notable des Edouaich).

Les Oulad Sassi(fraction des Adeichilli) ont tué eux aussi un notable des Oulad Ali N'Toufa(Abakak)

Enfin les gens de l'Adrar molestent beaucoup les Edouaich dont ils enlèvent continuellement les biens de sorte que les Edouaich sont disposés à revenir aux français.

De leur côté les Oulad Bou Sba et les gens qui se trouvent avec eux (tels que les Oulad Delim) ont pillé des troupeaux appartenant aux diverses tribus maraboutiques de l'Adrar les Idelboussat, les Ahel Mouhamed Salouâ et les Tendagha.

En un mot l' Adrar dont les chefs sont absents, est en effervescence et la discorde existe entre ses habitants .

S'il y avait possibilité d' y aller en colonne en ce moment, et de faire arrêter les chefs au Maroc, cela activerait l' établissement de la paix.-.

Salut !

Le 22 Djoumadia El Akhirat 1325

Saint-Louis le 16 Août 1907

P T.C.
L'Interprête principal

Signé: Bou el Mogdad

W

P. M.Ch. Chef du Bureau politique.

رسالة مطبوعة عن الأصل المرفق الملحق 3

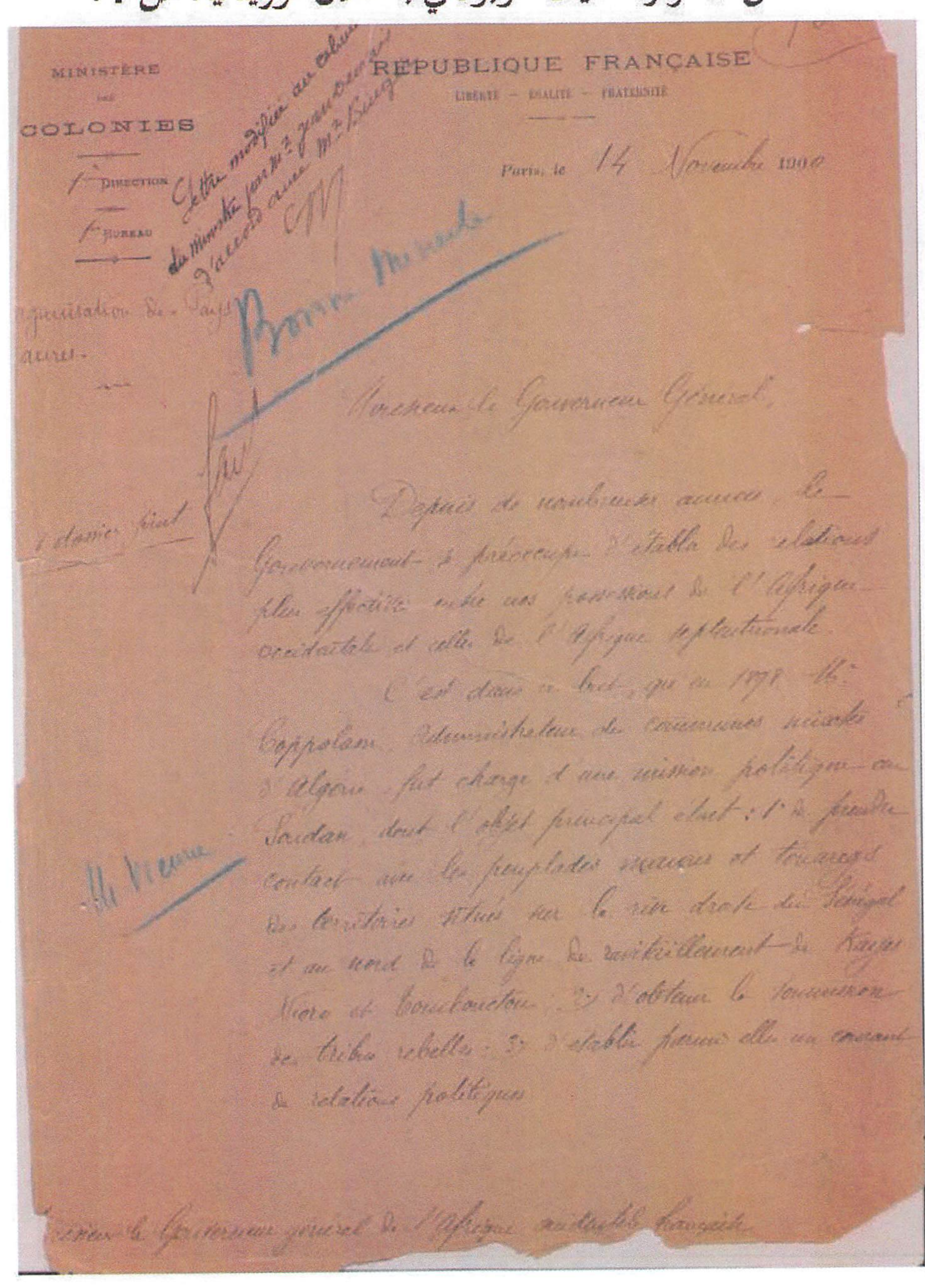
Au Nom de Dieu &c .....&c

De la part de ....à l'ami intime et sincère le Colonel Montané Capdebosc Représentant du Gouvernement française au pays Maure.
Salutations douces et parfumées &c ...
Je t'apprends qu'un homme digne de fois est arrive de l'Adrar et donne les renseignements suivants ;
Ould Aida (Emir de l'Adrar), Etsman, Chef des Edouaich Abakak) Mokhtar ould Ahmed (Chef des Edouaich Chratit), Mohamed El Mokhtar ould Hamid (Chef des Kounta) Benn Sidi El Mokhtar ben Mouhammed Mahmoud Ben Abdallahi (Chef des Ehel Sidi Mahmoud) Ben Benahi(..........) Mahmoud) Ahmedou (ancien Emir du Brakna) Sidi ould Mouhammed Vall (ancien Emir du Trarza) ainsi que les autres notables et chefs marabouts n'ont pas obtenu de Cheikh Ma-El-Ainin ce qu'ils désiraient.
Ce marabout est parti avec eux pour les conduire auprès du Sultan Abdul Aziz.

الملحق **4** رسالة الشيخ محمد المامون إلى أهل اعمر دكره ص**1**.

الملحق 4 ص2 (الطلسم)

الملحق 5 قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص 1.



MINISTÈRE DES COLONIES

1re DIRECTION

1er BUREAU

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LIBERTÉ – ÉGALITÉ – FRATERNITÉ

Paris, le 14 Novembre 1900

Monsieur le Gouverneur Général,

Depuis de nombreuses années le Gouvernement s'est préoccupé d'établir des relations plus effectives entre nos possessions de l'Afrique occidentale et celles de l'Afrique septentrionale.

C'est dans ce but, qu'en 1898 M. Coppolani, administrateur de communes mixtes d'Algérie, fut chargé d'une mission politique au Soudan, dont l'objet principal était : 1° de prendre contact avec les peuplades maures et touaregs des territoires situés sur la rive droite du Sénégal et au nord de la ligne de ravitaillement de Kayes, Nioro et Tombouctou ; 2° d'obtenir la soumission des tribus rebelles ; 3° d'établir parmi elles un courant de relations politiques.

Monsieur le Gouverneur général de l'Afrique occidentale française

الملحق **5** قرار تكليف كوبولاني باحتلال موريتانيا. ص **2**.

Le succès de cette mission fut complet ; par arrêté du 27 Xbre 1899, ce fonctionnaire fut désigné pour organiser au Ministère des Colonies le service des affaires Maures et Sahariennes rattaché à la Direction des Affaires d'Afrique.

Les études accomplies depuis lors il a été procédé par le dit service [illegible] que le moment était venu de donner aux projets mûris un commencement d'organisation.

À cet effet j'avais d'une part invité votre prédécesseur M. Chaudié à me faire connaître son sentiment tant sur l'opportunité de la mesure projetée que sur les moyens financiers qui lui paraissaient susceptibles d'en assurer la réalisation et j'avais d'autre part prié M. le Ministre des Affaires Étrangères de vouloir bien examiner la question et me communiquer, s'il y avait lieu, les objections quant aux conséquences diplomatiques, qu'il aurait à formuler à ce sujet.

M. Chaudié tout en exprimant certaines réserves et en indiquant la ligne de conduite qui lui paraissait devoir être observée s'est montré partisan de l'organisation à l'étude.

الملحق 6

كشف بالغارات والمعارك التي حدثت بين الفرنسيين والمقاومة وأوقعت خسائر بين 07 يونيو 1903 ونهاية 1920 كما وردت في الوثيقة.

التاريخ	المكان	الجهة المهاجمة	القائد الموريتاني	القائد الفرنسي	خسائر الموريتانيين	خسائر الفرنسيين
07 يونيو 1903.	بين اخروفه وسهوة الما	البيظان	غير معروف	مجهول	مجهول	مجهول
22 يونيو	قرب سهوة الما	الفرنسيون	غ.م	م.أ. Aubert	18 شهيدا	جرحى: -رقيب درك أوروبي. -خمسة من الخيالة.
ليلة 08 دجمبر	اكويبنات	البيظان	الأمير احمدو ولد سيد اعل	Coppolani	بعض الشهداء	-قتيلين من جمالة. - جريح من الرماة.
18 دجمبر	مخيم أحمدو	الفرنسيون	الأمير احمدو	النقيب Chauveau	لم تذكر	لم تذكر
28 دجمبر	مال	الفرنسيون	غ.م	النقيب Chauveau	لم تذكر	لم تذكر
17 فبراير 1904	ميت	البيظان	غ.م	النقيب Galland	33 إلى أكثر من 50 شهيد	لم تذكر
25 يناير 1905	حسيان بوهمات	البيظان	غ.م	غ.م	لم يذكر	قتيل واحد من الرماة.
26 يناير	تيورورت	البيظان	غ.م	م.أ Moulney	غ.م	غ.م
28 يناير	30 كلم من نواكشوط	البيظان	غ.م	غ.م	غ.م	قتل وجرح: -عريفين -سبعة جنود.
يوم ؟ فبراير	أم أكنينه	المتعاونون	غ.م	غ.م	غ.م	حوالي 150 قتيلا.
أواخر فبراير	درگل	البيظان	غ.م	المفوض Lestre de Rey	لم يذكر	-قتل 08 جمالة. -جرح المفوض.
10 مارس	تن شيبه	الفرنسيون	غ.م	النقيب Frerejean	لم تذكر	لم تذكر
الثلث الثاني من مارس	گومل	الفرنسيون	غ.م	النقيبان Chauveau و Payn	لم تذكر	لا خسائر
16 مارس	سهوة الما	الفرنسيون	غ.م	النقيب Duhalde	لم تذكر	-مقتل ثلاثة رماة. -جرح رقيب إفريقي و رام.
غرة ابريل	بوگادوم	الفرنسيون	الأمير بكار	النقيب Frerejean	استشهاد الأمير وآخرين لم يحدد عددهم	لم يذكر
12 مايو	تجگجه	البيظان	سيدي ولد مولاي الزين	Coppolani	استشهد سيدي و	-05 قتلى منهم Coppolan -10 جرحى.
03 يونيو	أشاريم	البيظان	لم يذكر	م.أ de La Vauguyon	لم يذكر	تاه 04 خلال العودة فماتوا عطشا.
05 يونيو	تجگجه	البيظان	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر
18 يونيو	تجگجه	البيظان	لم يذكر	م.أ de La Vauguyon	- 09 شهداء. - 10 جرحى.	-قتيلا واحدا من جمالة البيظان. -جريحان من الرماة.
25 اكتوبر 1906	النيملان	نصب البيظان كمينا لقوة الإستطلاع الفرنسية. ثم أجهز المتعاونون على	الشريف مولاي ادريس في مرحلة الكمين ثم المختار ولد حامد في المرحلة الثانية.	م.أ: De Franssu م.أ: Andrieux	أكثر من مائة شهيد وجريح.	-19 قتيل منهم 04 أوروبيين. -25 جريح.

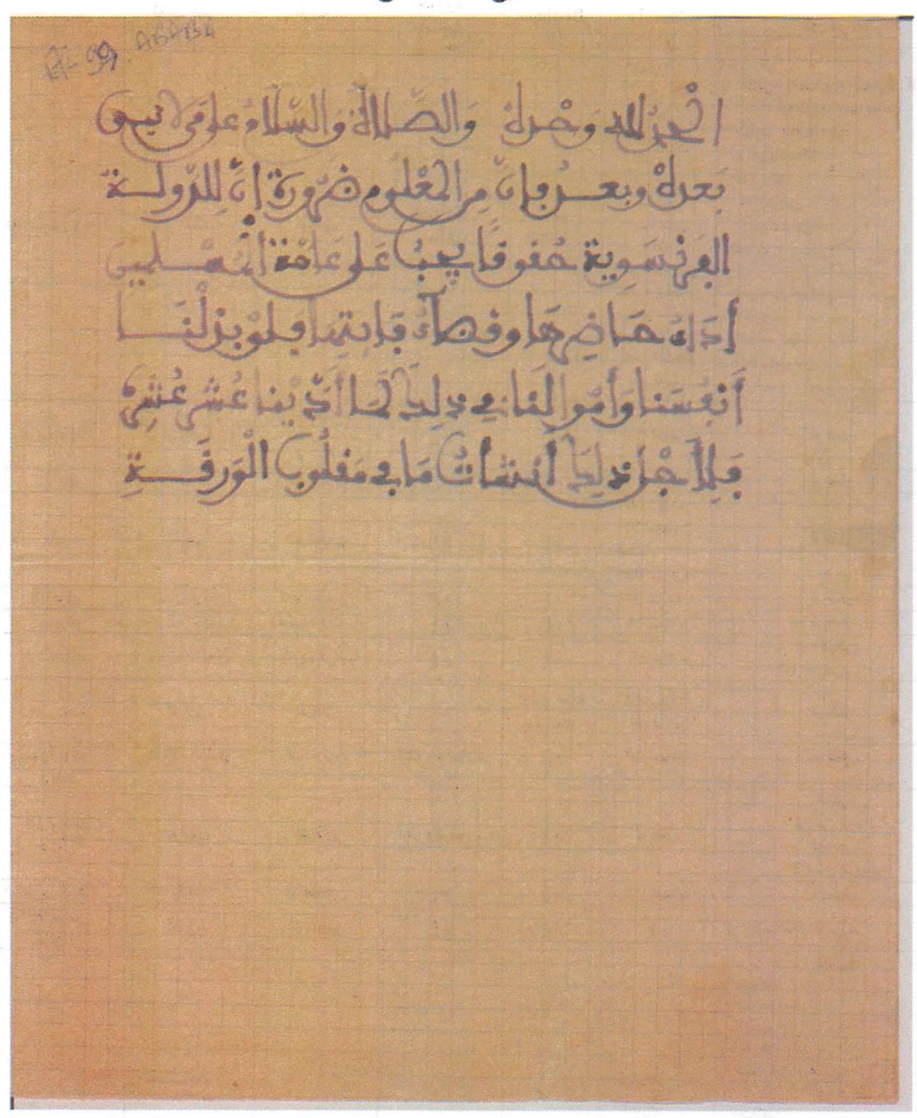
		بقيتها بعد انسحابها.				
10 نوفمبر	اعگيلة النعجه	الفرنسيون	غ.م	م.أ Berger	-13 شهيدا. -27 جريحا.	-قتيلان. -04 جرحى.
06 – 30 نوفمبر	تجگجه	البيظان	مولاي ادريس	النقيب Tissot	-69 شهيدا. -76 جريحا.	غير مذكور.
النصف الثاني من فبراير **1907**	أغبويت	مطاردة فرنسية لمهاجمين.	غ.م	م.أ Schmitt	– 07 شهداء.	غير مذكور.
نفس الفترة	كندلك	الفرنسيون	غ.م	م.أ Gouspy	ثلاثة شهداء	غير مذكور.
26 فبراير	سرك	الفرنسيون	اولد عساس	Corrard de Essarts	31شهيدا منهم الأمير ولد عساس	جريحان رقيب وفارس.
مارس	أحواز سهوة الما	مطاردة فرنسية لمهاجمين.	غ.م	الرقيب Labobd	-شهيدان. – ثلاثة أسرى.	غير مذكور.
ابريل	أحواز بتلمين	مطاردة	غ.م	م.أ Schmitt	غير مذكور.	غير مذكور.
غير محدد	اتويزكت	مطاردة	غ.م	م.أ Schmitt م.أ Gouspy	شهيدان	غير مذكور.
03 يوليو	أحواز بتلميت	قتال تصادمي	غ.م	م.أ Labonne	ثمانية شهداء	غير مذكور.
04 يوليو	آبار بوگطارة	الفرنسيون	غ.م	م.أ Labonne	ستة عشر شهيدا.	-قتيل من الرماة. -جريحان.
غرة سبتمبر	أگني أم ابحر	الفرنسيون	غ.م	م.أ Schmitt	شهيد واحد.	لم تذكر.
21 سبتمبر	آبار تن باب.	قتال تصادمي	غ.م	رقيب الحرس الجيلالي	لم تذكر.	لم تذكر.
غ.م	غ.م	الكاتبون للفرنسيين	غ.م	غ.م	05 شهداء.	لم تذكر.
غ.م	غ.م	المكاتبون	غ.م	غ.م	30 شهيدا.	لم تذكر.
19 يناير 1908	أم لعويتگات	قتال تصادمي	غ.م	م.أ Schmitt	04 شهداء	لم تذكر.
09 و 10 فبراير	اللبه ولبيرات	الفرنسيون	غ.م	النقيب Repoux	شهيدان	لم تذكر.
أوائل مارس	اگرارة لفرص	الفرنسيون	غ.م	النقيب Repoux	10 شهداء	لم تذكر.
16 مارس	أعگيلة الرگبه	البيظان	الأمير سيد احمد والأمير سيد ولد محمد فال.	النقيب Repoux	12 شهيدا	ق:النقيب وراميان. ج: Schmitt وآخر
05 ابريل	آبار دمان	البيظان	غ.م	غ.م	لم تذكر	-القتلى:رقيبان أوروبيان و 15 سنغاليا.
02 مايو	اگجوجت(ابيغيرة)	البيظان	لم يذكر	لم يذكر	لم تذكر	لم تذكر
21 مايو	امخينزات تمادي	البيظان	لم يذكر	م.أ Aubert	15شهيدا.	ق: 03 رماة. ج:رقيب أوروبي و03 رماة و03 جمالة.
04 يونيو	العزلات	البيظان	الحمد ولد الديد	لم يذكر	لم يذكر	قتلى: رقيب وحرسيان
13 يونيو	لمينان	البيظان	لم يذكر	النقيب Mangin	غ.م	-القتلى: 29 منهم النقيب Mangin والرقيب Megnin -أسير واحد.
14 يونيو	تالمست	البيظان	لم يذكر	Dr Amiet	30 شهيدا	12 قتيلا(جمالة ورماة+ امرأة). 11 جريحا.
22 يوليو	انوانيبو	البيظان	لم يذكر	م.أ Berthom	جريح واحد	لم تذكر.

				e		
24 يوليو–01 أغسطس 1908	بين واد لحطب وبرجيمات	البيظان	لم يذكر	النقيب Berger	06 شهداء.	28 قتيلا ومفقودا.
10 أغسطس	واد لزرگ	مطاردة فرنسية	لم يذكر	النقيب Bontemps	05 شهداء.	لم تذكر
15 أغسطس	الرشيد	الفرنسيون	لم يذكر	النقيب Bontemps	لم تذكر	ق:01 رام. ج:2 ضص أ+06رم
19 سبتمبر	برجيمات– اتويزكت	البيظان	غ.م	النقيب Frerejean	07 شهداء	لم تذكر.
15 اكتوبر	لتفتار	البيظان	لم يذكر	الرقيب Allard	13 شهيدا.	ق:الرقيب Allard و04 رماة. ج:04 رماة.
16–24 اكتوبر 1908	بير البركه– شگار وشمال تلك المنطقة.	مطاردة فرنسية	لم يذكر	م.أ Solere	لم يحدث اشتباك	33 قتيلا بينهم مساعد.
26 نوفمبر	لتفتار	البيظان	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر	قتلى:07 عمال. جرحى:مراقبا العمال.
28 نوفمبر 1908	لگويشيشي	مطاردة فرنسية	احمد ولد الديد	م.أ Reboul	لم تذكر	ق:22 + Reboul
25 دجمبر	شمط	البيظان	غ.م	رقيب الدرك الجيلالي	لم تذكر	13 قتيلا. 05 جرحى.
26 دجمبر	تيفجار	البيظان	غ.م	الرتل	لم تذكر	ق:06 + عريف.
28 دجمبر	ازويگه	الفرنسيون	غ.م	م.أ Girard	لم تذكر	القتلى: 04. الجرحى: 10.
30دجمبر 1908 – 01 يناير 1909	حمدون	البيظان	غ.م	النقيب Bablon	أكثر من 50 شهيدا.	ق:–مساعد Vix –رق.Moricard. –رق.غفريقي. –عريف+03 رماة ج:– نق.Bablon –م.أcoutance –م.أ Gouspy –رق.درك من الخيالة+ 10 الفارقة.
08 يناير 1909	واد سگليل	البيظان	لم يذكر	الرتل	لم يذكر	–قتيل من الرماة. –ج: م.أ Letang
01 ابريل 1909	اللبه	الفرنسيون	الأمير سيد احمد وارگيبات	النقيب Dupertuis	لم تذكر	–قتيل من الأنصار. –فقيد من الرماة.
28 ابريل1909	أغسرمت	البيظان	–الولي ولد الشيخ ماء العينين. –الأمير سيد احمد.	النقيب Bablon	12 شهيدا.	القتلى: –النقيب Bablon –راميان. الجرحى: – 06 الفارقة.
أواخر مايو	اعگيلة النعجه– فاي	الحر والريح	لا أحد	Frerejean	لا أحد	ق:11.مفقودون:31
03 يونيو	السجرية	البيظان	غ.م	م.أ Gouspy	10 شهداء	القتلى:04. الجرحى: 03
08 يوليو	أجوالي (قرب أوجفت)	الفرنسيون	غ.م	الملازم الأول Andre	لم تذكر	–قتيل من الرماة. –09 جرحى.
28 يوليو	اكصير الطرشان	الفرنسيون	الولي ولد الشيخ ماء العينين	النقيب Dupertuis	10 شهداء	القتلى:م.أ Violet ونصير واحد. الجرحى:04.
31 يوليو	وادان	الفرنسيون	غ.م	الرائد Claudel	–03 شهداء. –جريحان.	08 جرحى.

04 أغسطس 1909	المحلة	الفرنسيون	غ.م	الرائد Claudel	03 شهداء	لم تذكر.
04 أغسطس 1909	شمال أغماسو	الفرنسيون	غ.م	رقيب الدرك Dibbes	09 شهداء.	لم تذكر.
15 أغسطس	تورين	الفرنسيون	الأميـــــر و ارگيبات	النقيب Dupertuis	40 شهيدا	لم تذكر
فبراير 1910	تازيازت	البيظان	غ.م	م.أ Dufour	غ.م.	لم تذكر.
مارس (*)	تيجريت	البيظان	غ.م	محمد ولد اخليل	115 شهيدا.	لم تذكر.
مايو (*)	تنوادين	البيظان	غ.م	احمد ولد المختار ثم النقيب Plomion	لم تذكر	قتيل واحد هو احمد ولد المختار.
13 يونيو	حاسي المرگوب	البيظان	غ.م	Bakari Traore	حوالى عشرة قتلى	القتلى:05. الجرحى:عريف.
يوليو	أكيرت	مطاردة فرنسية	غ.م	م.أ Bourguignon	شهيدان.	لم تذكر.
مايو 1911	منطقة لعصابه	البيظان	غ.م	م.أ Deamassez	لم تذكر	ق:م.أ+11رام. ج:ض.ص.أ+06
نوفمبر 1911	اتويزكت	مطاردة فرنسية	غ.م	م.أ Schmitt	04 شهداء	لم تذكر
نوفمبر	قرب اتويزكت	مطاردة فرنسية	مطاردة فرنسية	م.أ berthome	03 شهداء	لم تذكر
يوليو أو سبتمبر 1911	أغنمريت (بين تگانت وآدرار)	الفرنسيون	غ.م	م.أ Bourguignon	لم تذكر	-قتيل واحد -جريح واحد
اكتوبر	تگانت	مطاردة فرنسية	غ.م	رقيب الدرك الجزائري Lemori	شهيدان	لم تذكر
يناير 1912	كركد لبيظ	المتعاونون	غ.م	غ.م	شهيدان	لم تذكر
12 يناير						
13 يناير1912	تيشيت	الفرنسيون	الأمير سيد احمد	النقيب Beugnot	-11 شهيدا. -أسر الأمير.	قتيل واحد من الأنصار
14 يناير	اظهر تيشيت	مطاردة فرنسية	غ.م	الرقيب الجزائري أدن بن الشيخ	شهيد واحد.	-قتيل من الأنصار. -جريحان من الأنصار.
الأسبوع الرابع من يناير	الحافة الشرقية لتگانت شمال ولاتة	مطاردة فرنسية	ولد سيدي لكحل	م.أ Psichari	شهيدان	قتيل واحد من الأنصار
19 و21 اكتوبر	فرد اجار ثم مجرديان	مطاردة فرنسية	غ.م	النقيب Gautellier	04 شـــهداء +17 اسيرا	ج:ض ص.أوروبي. رقيب إفريقي. 02 من جمالة البيظان.
23 نوفمبر	أزواد كدامه	مطاردة فرنسية	ولد سيدي لكحل	النقيب Aubert	-13 شهيدا. -05 اسرى.	لم تذكر
28 نوفمبر	غ.م	مطاردة فرنسية	ولد سيدي لكحل	النقيب Aubert	03 شهداء.	-قتلى07 من جمالة البيظان -الجرحى:04 ج.ب.
10 يناير 1913	لبيرات	البيظان		م.أ Martin	غير مذكور	القتلى: -م.أ Martin. -الرقيب Tissier. -رق.درك Pelatan. -رق.درك Bain. -50 سنغاليا.

						-17 جمالا من البيظان الجرحى: كثر.
18 فبراير	شمال أدرار	المتعاونون	غ.م	غ.م	05 شهداء	لم تذكر
09 مارس	لكليب لخظر	البيظان	احمد ولد حمادي.	م.أ Berthome	15 شهيدا.	-القتلى:-عونان. -الجرحى:04.
10 مارس 1913	واد التكليات	البيظان	احمد ولد حمادي	المقدم Mouret	الشهداء: 73 بقوا على الميدان. الجرحى: كثير من الجرحى حملهم المجاهدون وعلم الفرنسيون أن عدد من قضى منهم متأثرا بجراحه رفع عدد الشهداء إلى 130.	القتلى والمصابون عصابات قاتلة أودت بهم بعيد ذلك: -النقيب Gerhardt. -م.أMerellio . -18 رام. -04 حراس. -05 متعاونين. الجرحى: -م.أ. -ض.ص.أوروبي. -20 رام. -15 حرسيا. -04 متعاونين.
ابريل 1913	أدرار والرارزه	البيظان ثم مطاردات فرنسية	غ.م	غ.م	57 شهيدا.	لم تذكر.
23 مايو	الشمال	المتعاونون	غ.م	غ.م	16 شهيدا.	لم تذكر.
مايو	الشبي	الفرنسيون	غ.م	غ.م	-06 شهداء. -20 ماتوا عطشا. -06 أسرى.	لم تذكر.
08 يونيو	شمال أوكار	كمين فرنسي	غ.م	غ.م	04 شهداء.	لم تذكر.
27 يونيو	شمال أماليون	مطاردة فرنسية	غ.م	غ.م	06 شهداء.	لم تذكر.
أوائل يوليو	شمال أماليون	مطاردة فرنسية	غ.م	غ.م	10 شهداء	-قتيلان. -10 جرحى.
غير محدد	الرارزه	البيظان	غ.م	الأمير احمد ولد الديد	12شهيدا + 06 أسرى	لم تذكر.
نهاية يوليو 1913	اعكيلة السادي	المتعاونون	اعل ولد مواره	غ.م	10 شهداء.	لم تذكر.
18 سبتمبر 1913	بوتليس	البيظان	اعل ولد مواره	غ.م	لم يذكر	القتلى: 26 من الرماة. الجرحى: 02 من الرماة.
اكتوبر 1913	تكانت	المتعاونون	غ.م	غ.م	09 شهداء	لم تذكر
23 دجمبر 1920	لمزرب	الفرنسيون	غ.م	غ.م	غ.م	ق.ع.رقيب+06 حرس.
					الشهداء: الجرحى: الأسرى:	القتلى: -ضباط: -ضباط صف: -أروبيون: -أفارقة سود: -متعاونون وبيظان: الجرحى: -ضباط: -ضباط صف: -أروبيون: -أفارقة سود: -متعاونون وبيظان: مفقودون

الملحق 7: ص1



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي
بعده وبعد فإنه من المعلوم ضرورة أن للدولة
الفرنسوية حقوقا يجب على عامة المسلمين
أداء حقوقها وقضاء لبانتها ولو بذلنا
أنفسنا وأموالنا في ذلك لما أدينا عشر عشر
فالأجر لذلك أنشأت ما في مقلوب الورقة

الملحق 7: ص2.

قال يحض الناس ويحثهم على إعانة أهل الدولة الفرنسوية

حتم على الناس بذل المال في الجيش • لدولة فرانسا تسمو على الورى •

يا أيها الناس جودوا بالنفيس لنفعها • وبالألوف وجودوا بالملابس •

فإن المال في حفظهم زاد فقد بذلوا • أموالهم كالحصى البياضي •

ولتبعثوا أن الكفار قد عجلوا • لكن نكبهم الله فالأعراب في الحبس •

ويقذف الله رعبا في قلوبهم • حتى يلبسوا الهم من غير تلبيس •

إن الفرانسيس لا يبغون غدا زمنهم • ولو تغيب بين الحماة والقيسي •

فهي الجمار بأن الحرب يقصر ما • من عرفهم شاع في كل الأراضي •

فيخيب الله ما اختاروا وما عملوا • وأخزاهم وأبعدهم بتغريب وتقصي •

إن الضراغم لا تقوى لصولتهم • في مازق الحرب صولات الشماجع

اه

الملحق 8 الرد على النازية والدعوة لنصرة فرنسا ص 1.

من حيث القواعد الشرعية حتى في مقاصد الدين المحمدي
المقتضي لمصالح المعاش والمعاد وكذا في المهمات
السياسية فقد كان الواجب علينا وعلى سائر حملة الدين
الاسلامي إعانة الدول المتعاقدة على حرب أعدائها
المعتدين المنكرين للحقوق المحترمين لأنفسهم بالفضل
على سائر الشعوب الآدمية المخلوقين في زعمهم من
طينة غير طينة بقية البشر فهي عداوة النية في ذلك
أجر الشهيد المجاهد في سبيل الله تعالى إذا نوى المدافعة
عن نفسه والذب عن حريمه ونوعه الانساني ودينه الإسلامي
لأن دولة الألمان معادية للأديان كلها والأديان كما نص
ذلك من معاملتهم أهل الأديان فالمشهور منهم أن يفرق بين
الاسلام ودين اليهود ودين النصارى وفرقهم وجعلوا الجملة من
الدينين ما لا ينكره أحد من أحد لحديثهم ليهود الوطن الألماني
وأخذهم عقاراتهم ونضارهم ومنعهم العلماء والمسترشدين
والجملة والأغنياء وكانوا منهم وأعانوهم في الحروب الماضية
وغيرها من ممارساتهم ومن جناياتهم على الدين النصراني
الزجر لهم من سلطان متغلب في الوقت وأجلى البابا الرومي فحسب
بما لا يليق مشابهة ولا دليل أعظم على احتقار ذلك الدين
منهم إلى غير ذلك من هدم الكنائس وقتل الأحبار والنساء
المترهبات وغير وغير كل ذلك تكبرا على الناس وتخويفا
لخلق الله الواحد القهار وسعيا في الأرض بالفساد وأما
الدين الاسلامي فهو بحمد الله تعالى وشكره فليس المخالطة معهم

الانسانية

فحسب عامة الدين النصراني

الملحق 8 الرد على النازية والدعوة لنصرة فرنسا ص 2.

ومع ذا الطغيان فانا نزل على عزم اقتحامه

وعلى المحاولة لغزو الامة منها ما جرى لهم مع الروضة

الشريفة في الحكاية المشهورة وهي ان رجلين المانيين

قدما الى الارض الحجازية بقصد الحج والزيارة ثم جاورا بالمدينة

المنورة وجعلا يحفران بالليل حول الروضة ويجلسان بالنهار

في المسجد بقصد الصلاة الى ان فهم امر الجناب النبوي فكشف

الله امرهما بسبب ليس من ادراكهم حفظا من

الله تعالى لذلك الجناب وقال لي امام الحرم ان بقية الشباك المحيط

بالروضة الى الآن الحكاية وقد حدثنا رجل مسن ذو عقل وتجربة

من سكان ارض كمرون التي كان يحكم عليها الالمان قبل الحرب

الماضية وفيها مسلمون ومجوس بامور تقشعر منها الجلود

وتشمئز منها النفوس وتذوب منها العقول ما سمعنا مثلها

الا ما يروى من الموصوفين من اعتى مضر وجبابرة عاد وثمود منها

قتل الاطفال بادنى الذنب وغصب الاموال واغتصاب النساء

وما اكتفوا قبل ما عرفنه بالغش ان مثل من ابقى من الدول المتمدنة

المتحلية المحكوم عليها ومنها ما قال ان الغش منبه

وثوب السيئ انما يكون باجتهاد رجل واحد كبير الخلق فليكن

الكنيع فيموت بسبب ذلك الالاف الانفس الثمينة مرارا وذكر

كيفيات العذاب الهائلة منها الضرب بالحبال والعصي حتى

يموت الانسان ومنها ان الشخص يجعل في وعاء ويبسط

عليه ويمنع الاكل والشرب فيهلك فيه وقتا فقصير ومنها

انه يجعل في بير ويسد عليه فم البير فيتركه بعسكري يحرسه

الى

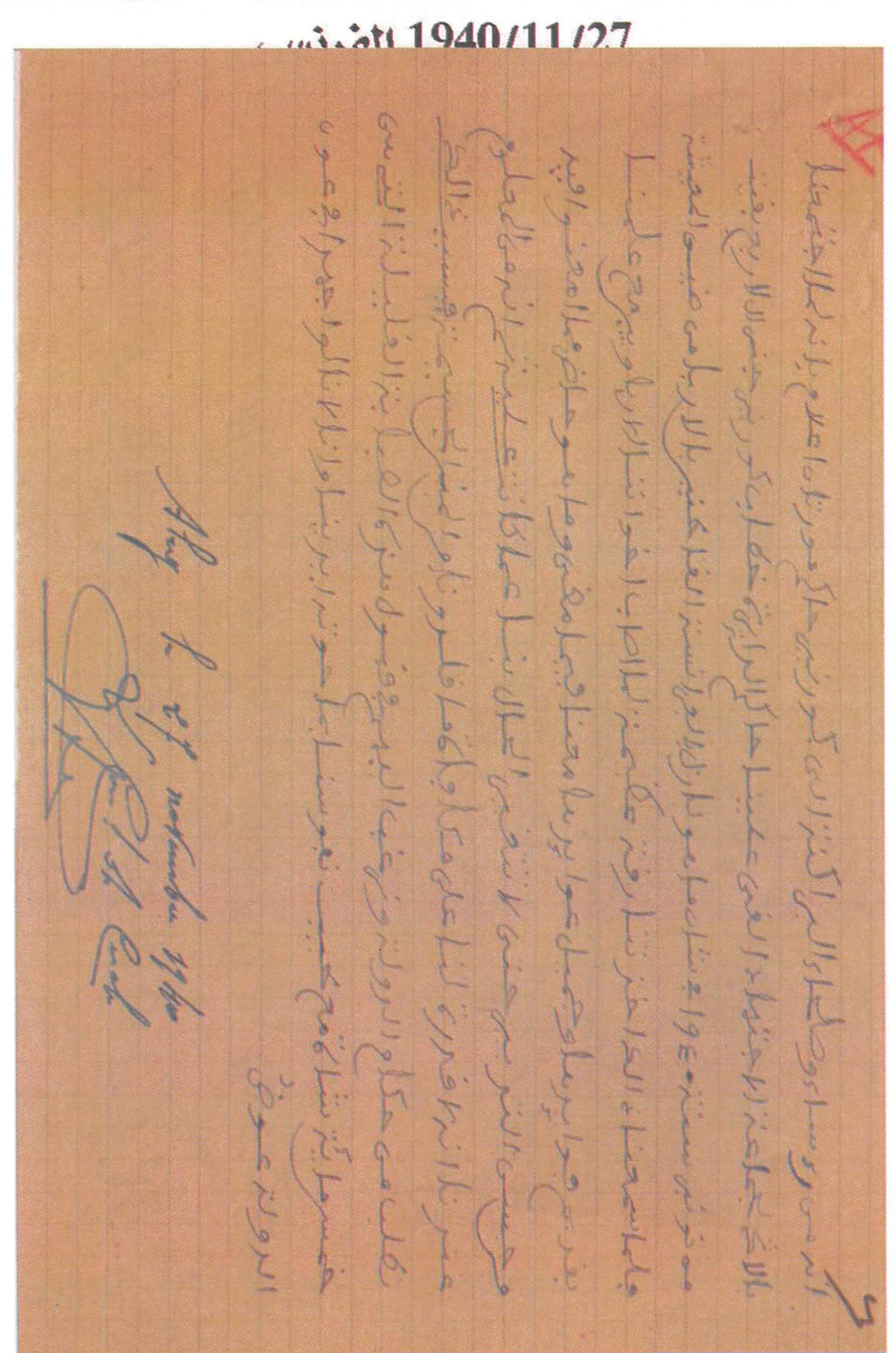
17 شوال 2

الملحق 9:

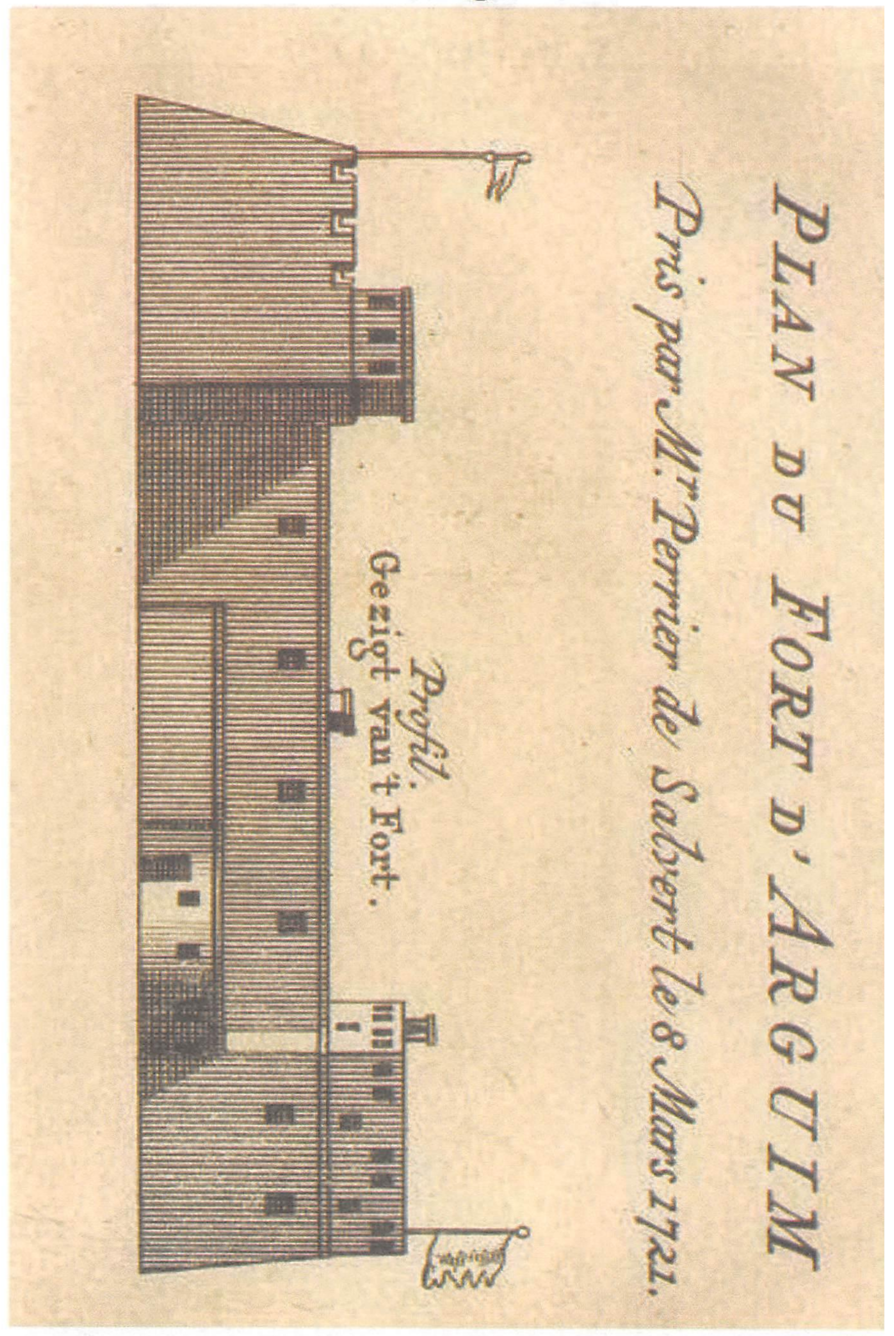
نص رسالة تبرع للمجهود الحربي الفرنسي بتاريخ

إنه من رءساء وصلحاء (منطقة كذا) إلى كورنير حاكم مورتان إعلام بأنه لما اجتمعنا ب(كذا) ألقي علينا حاكم الدائرة خطاب كورنير جنرال لأربع بقيت من نونبر سنة **1940** في شأن ما هو نازل بالفرانسة القاطنين بالاربا من ضيق المعيشة فلما سمعنا ذالك أخذتنا رقة عظيمة لما أصاب إخواننا الاورباويين مع علمنا بقديم فوائدها وقديم عوائدها معنا فيما مضى وما هو حاضر مما أمعنوا فيه من حسن التدبير حتى لا تتغير الحال بنا عما كانت عليه ثم إنه من المعلوم عندنا أنه لا قدرة لنا على مكافاة ما قلدونا من المنن الجسيمة فبسبب ذلك نطلب من حكام الدولة ونرغب إليهم في قبول هذه الصبابة القليلة التي هي خمس مايئة شاة مع طيب نفوسنا بما حوته أيدينا وأنا لا نالوا جهدا في عون الدولة عوض.

الملحق 9 صورة رسالة تبرع للمجهود الحربي بتاريخ 1940/11/27 الفرنسي

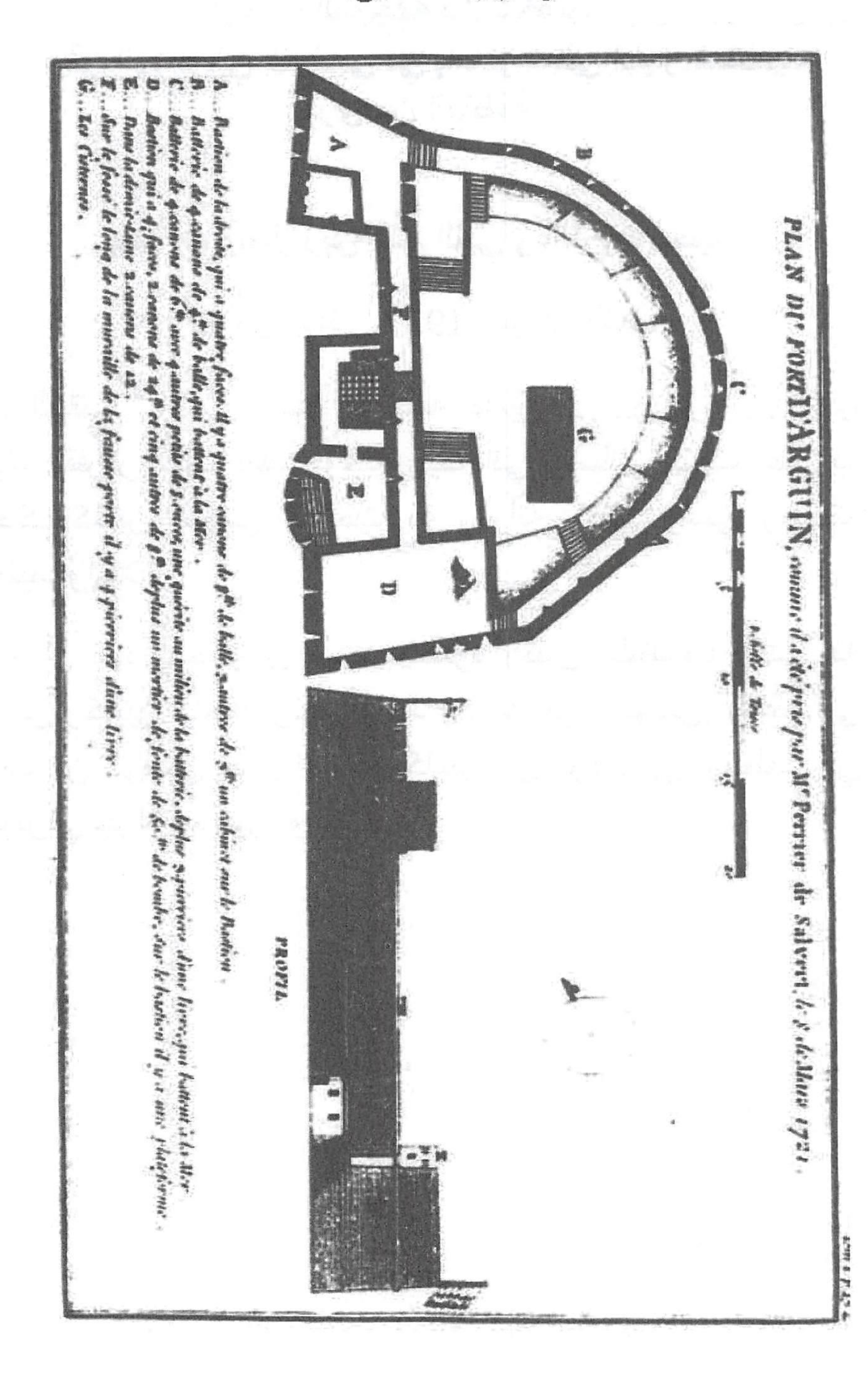


الملحق 10.



PLAN DU FORT D'ARGUIM
Pris par Mr. Perrier de Salbert le 8 Mars 1721.
Profil.
Gezigt van 't Fort.

آركين الملحق 10



الملحق11. نص الرسالة الموجهة من شخصية كبيرة من الحوض الشرقي إلى الوالي الفرنسي في باماكو تعطي أخبار شخصيات أخرى من المنطقة.

بسم الله وصل ربي على النبي وءاله والصحب

17 من سبتنبر 1937 سودان النعم

من الكاتب ....عفا الله عنه ءامين ......رئيس ......إلأى سيادة لقفرنر كلب بمك موجبه إليك أني وصلني كتابك على يد الحاكم كابتين النعمى وفرحت به وقرأته وعلى رأسي وضعته تعظيما وإجلالا.

اعلم أن سيد امحمد بن محمد محمود رئيس مشظوف بلغني أنه يصلي ركعتين واحمد رئيس أولاد بل هذا في الحوض. واعلم أني أحبك أن توصي علي الحاكم كابتين أن يرفق بي ويلطف بي ويوقرني جزاه الله خيرا والسلام.

فهرست الموضوعات